

مجلد علي بن أبي طالب

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٨ هـ

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— جزؤه الثامن —

« كلمة الجمع »

كتاب نشوار المحاضرة او جامع التواريخ تصنيف القاضي أبي علي
المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ من أمثل ما ألفه الاخباريون في
التاريخ والتراجم والاجتماع الاسلامي . وربما كان هذا المصنف نسيج وحده
في موضوعه . فهو لم يسرد وقائع التاريخ واخبار رجاله كما سرده غيره وانما
هو املى من خاطره اخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة
وكبار الكتاب والعمال الذين هم صفوة رجال الدولة العباسية في القرن
الرابع للهجرة .

ونكتفي بهذا القدر من التعريف بالكتاب — لما ان مجملنا ومجلته
واعضائه قد وفوه حقه من التقرير والتعريف به عند ظهور جزئه
الاول الذي نشره المستشرق المشهور العلامة الاستاذ مرجليوت احد اعضاء

مجمعنا . وكان ظفر بهذا الجزء في خزانة الكتب الوطنية يباريز منقولاً عن نسخة كتبت سنة ٧٣٠ هـ فاعتنى بتصحيحه وطبعه بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩٢١ م . في ثلاثمائة وصفحتين وقد اهدى نسخة منه الى مجمعنا . فكتب عليها الاستاذ رئيس المجمع تقريراً نشر في مجلد السنة الثانية من مجلة المجمع الصفحة ١٨٩ ، واستخرج منه الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع محاضرة بعنوان (صفحة من تاريخنا الاجتماعي) القاها في ردهة المجمع في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٢٢ م وقد نشرت في مجموعة محاضرات المجمع (جزء ١ ص ٣١٣) وكتب العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء المجمع عدة مقالات بعنوان (تفسير الالفاظ العباسية في نشوار المحاضرة) استخرجها من الجزء الاول المذكور ونشرت في مجلدي السنتين الثانية والثالثة من مجلة المجمع . كما بحث الاستاذ المغربي في تلك الالفاظ العباسية الواردة في الجزء الاول المذكور من جهة ثانية غير الجهة التي بحث فيها الاستاذ تيمور باشا ووضع ثلاث مقالات بعنوان (طاقة ازهار من كتاب النشوار) نشرت في مجلد السنة الرابعة من مجلة المجمع . ومن تتبع ما ذكرناه من تعاليق رئيس المجمع واعضائه على الجزء المذكور من (نشوار المحاضرة) ادرك قيمة هذا الكتاب وعرف شرف موضعه من مصنفات التاريخ والادب في الاسلام . وأسف ان لا يثر على غير هذا الجزء من (النشوار) والجزء الثاني الذي في مكتبة الاستاذ احمد تيمور باشا ، وتمنى لو برز الى حيز الطباعة والنشر شي من اجزائه الاخرى التي تبلغ احد عشر مجلداً . ومبغت بضع سنين ونحن وغيرنا نتحدث عن كتاب النشوار ونسأل

عن بقية اجزائه وهل عثر على شيء منها ، واذا المستشرق الكبير نفسه « الاستاذ مرجليوث » يرسل اليها الجزء الثامن من النشوار ويقول انه ظفر به مخروم الاول في المتحف البريطاني بارشاد صديقه لاسـ تاذ كركـ نو . وانه حقق بعض الفاظه وصحح بعضاً وترك تصحيح الباقي الى اعضاء المجمع . فهو يرغب اليهم ان ينشروه تبعاً في مجلتهم ثم يفرده على حدة في كتاب . فلبوا طلب الاستاذ . مرجليوث وقرروا في جلستهم المنعقدة في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ امر تصحيحه وطبعه في المجلة ثم نشره في كتاب على حدة كما اقترح الاستاذ والفوا لجنة منهم اخذت على عاتقها بذل الجهد في تصحيحه وتحقيق كلماته وتفسيرها والتعليق على ما اُيهم منها . ثم شرعت اللجنة في العمل فحققت معظم ما كان يقع تحت نظرها من الكلمات وشرحت كثيراً من مواضع الابهام والغموض . لكنها كانت احياناً تصطدم بمجمل وتماير تقف عندها موقف الشبهة والريب ولا تهدي الى حلها فتتركها على حالها وتكتفي بالتنبيه عليها . ولم يرسل الاستاذ مرجليوث اليها بالنسخة الاصلية التي ظفر بها وانما ارسل بنسخة عنها بخطه وعلق عليها تعليقات اثبتناها له في الذيل غير معزوة اليه . اما تعليقات لجنة المجمع فقد صدرناها بحرفي « م . ع » تمييزاً لها عن تلك .

وفي الكتاب هذات كان يجب حذفها لولا ان الناس يحبون ان يروا الكتاب على ما ألفه صاحبه عليه فرأينا اثباتها رعاية لامانة النقل . لكننا جملنا فيها حرف اللام بدلا من الكاف واعتمدنا في فهمها على نباهة القارى . ولم نضع البسلة في فاتحة الكتاب حتى لا يتوهم متوهم ان ما بعدها هو اول الكتاب وقد اسلفنا ان هذه النسخة مخرومة

مقدمة المصحح

« الاستاد مرجليوت »

اخبر ياقوت الرومي في ترجمة القاضي ابي علي المحسن التنوخي (١) له كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه انه لا يضمه شيئاً نقله من كتاب . أ. عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطه - قال غرس النعمة صنف ابو علي المحمد كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة اولها سنة (٣٦٠) هـ. واول مجلد نشرناه في سنة ١٩٢١ عن نسخة في مكتبة باريس العمومية وبذل البعاشير احمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب فنشر ثمر افكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجملنا العلمي العربي في دمشق وقد اخبرنا ان عنده نسخة من الجزء الثاني. ومنذ سنتين نبهني صديقي المستشرق كرنكو على وجود خط (٢) في المتحف البريطاني ورقه (٩٥٨٦ شرقي) تتل مضافه بتجارب الامم لمسكويه (٣) وهو غير معنون ولا مؤرخ لذهاب صدره وانما يذكر عند الانتهاء انه الجزء الثامن فطالمت الحظ فوجدت المصنف يقول في مقدمته :

« ارجو ان يكون ما كتبه خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت الاجزاء السالفة من العذر وخبرته »

وتشبه هذه الجملة ما ورد في مقدمة الجزء الاول من النشوار (٤) فلهذا

١ « ارشاد الاريب ٦ : ٢٥١ » ٢ « م. ع. اي مخطوط » ٣ « م. ع. المعروف باسم تجارب الامم لابن مسكويه » ٤ « م. ع. مخطوط » ٥ « م. ع. المعروف باسم تجارب الامم لابن مسكويه » ٦ « م. ع. مخطوط » ٧ « م. ع. مخطوط » ٨ « م. ع. مخطوط » ٩ « م. ع. مخطوط » ١٠ « م. ع. مخطوط » ١١ « م. ع. مخطوط »

لم يكن فيه الا انه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة ان شاء الله ،
ثم وجدت في معجم البلدان لياقوت (١) حكاية طويلة في اشتقاق
اسم نهروان منسوبة لابي علي التنوخي في «نشوانه» وهي في خطنا لفظاً
بلفظ . وفي ارشاد الارب لياقوت (٢) حكاية منقولة عن كتاب ابي علي
التنوخي وهي ايضاً في الخط (٣) ثم دلتني صديقي كرنكو على موضع من
كتاب بدائع البدائنه لابن ظافر (٤) يقول فيه : وذكر القاضي ابو علي
التنوخي في كتاب النشوان قال حدثني ابو طاهر الخ والحكاية في خطنا (٥)
ثم وجدت في الكتاب دلائل تدل على ان المؤلف هو المحسن التنوخي :
منها ذكر مولى ابيه الذي اسمه مبشر وهو مذكور في الجزء الاول ايضاً
والتاريخ ٣٦٣ وروايات وردت في كتاب الوزراء لهلل منسوبة لابي الحسين
علي بن هشام المعروف ابوه بابي قيراط صدرها مؤلف النشوار بالعبارة :
«حدثني» وجعل هلال مكان ذلك «حدثنا» ولا يبقى شك في ان الجزء
الثامن المذكور هو الجزء الثامن من نشوار المحاضرة

وعدد اوراق الخط ١١١ تحتوي الصفحة منها على ١٥ سطراً . ولم
احذف شيئاً فان المؤلف لم يخل بالادب في هذا الجزء الا نادراً .

ولما علمني الاختبار ان المترجم يلفت نظره ما يذهب عن غيره
رأيت ان ابدأ بترجمة الكتاب الى اللغة الانكليزية ، قبل الاقدام على

«١» ٤ : ٨٤٧ «٢» ٥ : ٤٤٤ «٣» ص ١٠٦ من الاصل . «٤» بهامش معاهد

التبصير «مصر» ١٣١٦ : ٢ «٥» ص ٧٠ من الاصل

نشر اصله، فصارت الترجمة تصدر في مجلة تظهر في حيدر اباد دكن
اسمها The Islamic Review وقد آن ان اقدم الاصل العربي الى اعضاء
المجمع العلمي راجياً منهم المساعدة اذا زلت القدم وداعياً لهم بدوام النعم.
د . س . مرجليوث

❖

❖ ❖

وهذا هو الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة نبدأ بنشره من أوله
المخروم ونثبه كما هو فيما يلي :

.....

أكثرها قولاً وتغيراً الموائد في أخلاق أكثر العالم ومعاملاتهم
 ورسومهم فتلقطت هذا القرن واثبتته وخلطت به ما حدث وتحدث (١) من
 مليح شمر لمن ضمنا وإياه دهر ممن لم يخلق شعره بالاشتجار ولا بشمه الناس
 بالاستكثار ومن رسالة غريبة أو فائدة أدبية أو حكم جديدة أو ما يغلب على
 ظني من أشباه ذلك - وإن قدم - أنه لم يدون أو منام طريف أو حادث عجيب
 أو رسم غريب أو مستنبط مفيد قريب ليعرف الفرق بين الأمرين والتباين
 في الحالين ويهش لذلك من قد فرغ من الآداب والعلوم وسبر أكثر الأفهام
 والعلوم وقوم (٢) إلى معرفة أسرار الأمور والعادة في الجمهور والتدبيرات
 والاختيارات والملح في جميع الحالات التي لا يكشفها له الفكر إلا في الطويل
 من العمر وإذا وقفت (٣) عليها من ها هنا قربت من يديه وخف تناو لها
 عليه ولم أجعل ذلك مرتباً على أبواب لعل وأسباب قد ذكرتها فيما قبل هذا
 وأوردت فيه جمل هذا القول وشرحت في رسالة كل جزء ما يغني عن الإطالة
 فيها ويوضح المغزا (٤) ويقوم بالعدر وأرجو أن لا أكون مذموماً بما
 جمته إن لم أجد على ما صنعت وإن يكون ما كتبت خيراً من موضعه لو بيضته
 كما أسلفت في الأجزاء السالفة من العذر وخبرته إن شاء الله .

١٠ م ع لعل صوابه ويحدث ٢ م لعله قرم ٣ م لعله وقف ٤ م ع كذا

حدثني ابو الحسين علي بن هشام بن عبدالله الكاتب البغدادي المعروف
 ابوه بابي قيراط كاتب ابن القرات قال سمعت ان ابا القاسم كان اذا خلا
 وتذكر امر الآخرة وما هو منقطع (١) عنها من امر السلطان يقول اللهم
 لا تخرجني من الصدر الى القبر لا فرجة لي بينهما . قال ابو الحسين فاجبت
 دعوته وجلس في منزله قبل موته نحو من سنة ثائباً من التصرف تاركاً لطلبه
 فلما اعتل علة موته جاءته رسالة الراضي يستدعيه ليقدر معه امر الوزارة
 ويؤليه اياها فقال : آلاؤ !! لئن كان قبل مدة لعله لو جاءني هذا الامر وانا
 ثائب لما رددته ولعلي كنت انتقض التوبة فالحمد لله الذي لم يتم علي ذلك .
 حدثني (٢) ابو الحسين قال اقرأني ابو عبدالله احمد بن محمد الحكيمي (٣)
 كتاباً بخط علي بن عيسى واخبرني انه كتبه اليه في وزارته الاخيرة وهو
 يتقلده طساسيج (٤) طريق خراسان يحثه على حمل المال ويستحثه قل قد
 كنت اكرمك الله عندي بعيداً من التقصير غنياً عن التنيه والتبصير راغباً
 فيما خصك بالجمال وقدمك على نظرائك من العمال واتصلت بك ثقتي وانصرفت
 نحوك عنايتي ورددت الجليل من العمل اليك واعتمدت في المهم عليك ثم
 وضع لي من اثرك وصح عندي من خبرك ما اقتضى استزادتك وردفه
 ما استدعى استبطاءك ولا ثمتك وانت تعرف صورة الحال وتطلعي مع شدة

١ « لعله سقط » به « ٢ » راجع كتاب الوزراء لجلال ص ٣٣٩ . « ٣ » عند هلال

(الحلبي) « ٤ » م . ع الطاسيج لاهل الاهواز كالحاليف لاهل اليمن والكور لاهل العراق
 والطسوج ايضاً رج الدائق

الضرورة الى ورود المال وكان يجب ان تبثك العناية على الجد في الجباية حتى
تدر حملتك (١) وتتوفر ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا يتأخر
فنشدتك الله لما تجببت مذهب الاغفال والاهمال وقرنت الجواب من
كتابي هذا بما تبتزه من سائر جهاته وتحصله وتبادر به وتحمله فان العين
اليه ممدودة والساعات لوروده معدودة والمذري تأخره ضيق وانا عليك
من سوء العاقبة مشفق والسلام

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبد الله بن علي الباقطائي (٢) قال
حدثنا ابو جعفر احمد بن اسرائيل قال : كان سبب رفعة عبيد الله بن يحيى
طلب المتوكل لحدث من اولاد الكتاب يوقع بمحضرة في الابنية والمهمات
لانه كان قد اسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٣)
واقصر على اصحاب الدواوين وامرهم ان يعرضوا الاعمال بانفسهم وجعل
التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي وانتصب منصب الوزارة وان
كان لم يسم بها . فاسمى له جماعة فاختر عبيد الله من بينهم فحضر اول يوم
فصلى في الدار ركعات وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية على
رسم الكتاب قال ابو الحسين لانه لم يكن احد يصل الى الخليفة الا
بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم الا القضاة لا في موكب

١ عند هلال (رد حولك) ٢٠٠ م . ع : قال ياقوت في المعجم باقطايا ويقال
باقطيا من قرى بغداد ينسب اليها الحسين بن علي الكاتب الاديب ذكرته في كتاب معجم
الادباء . ٣٠٠ الصواب الجرجاني

ولا غيره فاذا كان يوم موكب كانت الاقية كلها سوادا واذا كان غير يوم موكب فربما كانت من بياض وفي الاكثر سوادا . فلما صلى عييد الله وجلس لم يجتذبه احد من الحاشية كبير ولا صغير الا قام اليه قائماً وسلم عليه حتى قام الى رئيس الفراشين . فرآه بعض الحاشية فقال من هذا الشقي الذي قد قام لسائر الناس حتى قام الى الكلاب ؟ فقيل له فلان . ثم اذن له المتوكل لما خلا فدخل اليه وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاحية وكان طويل المنق فظهرت عنقه فلما رآه المتوكل اوى يده الى قفاه ومسحه شبه صفة فاخذ عييد الله يده فقبلها . فنفق عليه وخف على قلبه وسر بذلك واستخف روحه وقال له اكتب فكتب وهو قائم (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الى قوله عز وجل (وينصرك الله نصراً عزيزاً) فكتب (وينصرك يا امير المؤمنين نصراً عزيزاً) فزاد ذلك في تقبل المتوكل له وتغافل بذلك وقال له الرزم الدار فكان يلزمها منذ السحر والى وقت نوم المتوكل في الليل . وقوي امره مع الايام حتى صار مرض الاعمال كما كان الوزراء يمرضونها وليس هو بعد وزير . والتاريخ لو صيف . فامر به المتوكل في بعض الايام ان يكتب نسخة في امر الابنية فقال نعم فلما كان بعد ساعة سأل هل كتبت ؟ فقال لم يكن معي دواة فقال اكتب الساعة فاستحضر دواة وكان ايتاخ الحاجب قائماً يسمع ذلك فلما خرج عييد الله قال له انما طلبك امير المؤمنين لتكتب بين يديه فاذا حضرت بلا دواة فلا شيء تجي . فقال له عييد الله واي مدخل لك انت في هذا ؟ انت حاجب او وزير ؟ فاغتاظ من ذلك فامر به فبطع وضربه على رجليه عشرين مفرقة وقال

اه الآن علمت ان لي فيه مدخلا . فلم يتأخر عبيد الله عن الخدمة وعاد فجعل
يمشي ويمرج . فسأل المتوكل عن خبره فمرف الصورة ففاظ عليه ذلك وقال
انما قصده ايتاخ لمحبي له . وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من ايتاخ العظام
مما كان يعمل به في ايام الوثاق ولا يقدر له على نكبة لتمكنه من الآراك
فامر بان يخلع على عبيد الله من الغد وان لا يعرض احد من اصحاب الدواوين
عليه شيئاً وان يدفموا أعمالهم اليه ليعرضها واجرى له في كل شهر عشرة
آلاف درهم . فقدم ايتاخ على ما فعله وجعل يداري عبيد الله ويثاققه (١)
وقوي امر عبيد الله حتى حذف بنفسه من غير امر اسم وصيف من التاريخ
واثبت اسمه . ثم امر له المتوكل برزق الوزارة ثم خوطب بالوزارة بعد مديدة
وخلع عليه ثم قلده كتابة المؤيد وخلع عليه وضم المتوكل الى ابنه بضمة
عشر الف رجل وجعل تدبيرهم الى عبيد الله وكان وزيراً اميراً . فلما تمكن هذا
التمكن بالجيش والمحل عارض ايتاخ وبطاً (٢) حوائجه وقصده ووضع من
كتابه . ولم يزل ذلك يقوى من فعله الى ان دبر على ايتاخ قتلته على يد
اسحاق بن ابراهيم الظاهري ببغداد بعد عود ايتاخ من الحج .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن الحسن الكاتب المعروف
بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد
في ايام حامد بن العباس ديوان بيت المال قال سمعت الفضل وهو يحكي

١ : م . ع : المتأفة المناقة في الحنق والفتانة وادراك الشيء وفعله . ومحاولة
اصابة الغرة في مسابقة ونحوها . ٢ : م . ع : المعروف ان ابطاً وبطاً يتدبان بحرف الجر

عن ابيه وهو ابو الفضل بن مروان قال كان في نفس الواثق على محمد بن عبد الملك الزيات المظالم مما كان يعامله به في أيام ابيه فمن ذلك ان المعلم شكا الى المعتصم ان الواثق لا يتعلم فاذا طالبه بذلك شتمه ووثب عليه فأمر المعتصم محمداً بأن يضرب الواثق اربع مقارع فخرج محمد واستدعى الواثق وضربه ثلاث عشرة مقرة حتى مرض. فلما عرف ابو الهيثم انكر ذلك وحلف للواثق انه ما أمر محمداً الا ان يضربه اربع مقارع فاخفاها في نفسه فكان ينفذه وعلم محمد بذلك فكان يقصده في ضياعه واملاكه لما ترعرع وصار اميراً. فوقع المعتصم يوماً ان يقطع الواثق ما ارتفاه الف الف درهم فجاءها محمد وكتب (ما قيمته الف الف درهم) فلما دخل اليه الخادم وعرفه ما عمله محمد وثب الى ابيه وعرفه ذلك وعرض التوقيع عليه فقال له المعتصم ما أغير ما وقعت به وما ارى في التوقيع اصلاحاً. وكان محمد قد اجاد محوه وعلم المعتصم ان رأي محمد في الاقتصاد اصابع فبطل ما كان يريد الواثق وانصرف فقال للخادم قد تم علي من هذا الكلب كل مكروه فان افضت الخلافة الى فقناني الله ان لم اقله. ثم قال له انت خادمي وثقتي فان افضى هذا الامر الي فقتله ساعة اخاطب بالخلافة ولا تشاورني وجيتي برأيه قال فمضت الايام وتقلد الواثق فحضر الدار في اول يوم محمد بن عبد الملك مع الكتاب فتقدم الواثق الى الكتاب دونه بان يكتب كل منهم نسخة بنجر وفاة المعتصم وتقلده الخلافة فكتبوا باسره وعرضوا ذلك عليه فلم يرضه فقال لمحمد اكتب انت فكتب في الحال بلا نسخة كتاباً حسناً وعرضه فاستعته وامر بتحرير الكتب عليه ولم يبرح حضرته حتى اقره على الوزارة

وخرج من بين يديه والناس كلهم خلفه . قال الخادم فمجيبت من ذلك وقلت
 تراه أنسي ما كان امرئي به ؟ لم لا استأذنه في ذلك وأذكره به ؟ فتقدمت إليه
 لما خلا ، وأذكرته الحديث واستأذنته فقال ويحك السلطان إلى محمد بن
 عبد الملك اخرج من محمد إلى السلطان دعه . قال فراقه الوثاق إلى ما لم يرقه
 إليه المعتصم . قال الفضل بن مروان ولا نعم وزيراً ووزر وزارة واحدة بلا
 صرف لثلاثة خلفاء متسقين غير محمد بن عبد الملك

حدثني أبو الحسين قال حدثني أبي قال حدثني وكيع القاضي قال
 أبو الحسين وقد رأيت محمد بن خلف وكيع وكتبت عنه أشياء كثيرة ليس هذا
 منها قال كنت اتقلا لابي حازم وقوفاً في أيام المعتضد منها وقوف الحسن
 ابن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسيني أدخل إليه
 بعض وقوف الحسن بن سهل كانت في يدي ومجاورة للقصر وبلغت السنة
 آخرها وقد جيئت ما لها إلا ما أخذه المعتضد فجئت إلى أبي حازم فعرفته
 اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبيله وعلى أهل الوقف فقال لي
 فهل جيئت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال
 والله لا قسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لئن لم يرح الله لا وليت له
 عملاً . ثم قال امض إليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال امض إلى
 صافي الحرمي وقل أنك رسولني اتفدتك في مهم فإذا وصلت فعرفه ما قالت
 لك ففجئت وقلت لصافي ذلك فأوصلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين يدي

الخليفة ظن امرأ عظيمًا قد حدث فقال لي هي (١) قل. كأنه متشوف.

فقلت له ان الى عبد الحميد قاضي امير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد ادخله امير المؤمنين الى قصره ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقه الى ان اجبي ما على امير المؤمنين واتقذني الساعة قاصداً لهذا السبب فامرني ان اقول اني حضرت في مهم لاصل. قال فسكت ساعة متفكراً ثم قال اصاب عبد الحميد يا صافي هات الصندوق قال فاحضر صندوقاً لطيفاً فقال كم يجب لك فقلت الذي جيت عام اول من ارتفاع هذه العقارات اربعمائة دينار قال فكيف حذقت بالنقد والوزن فقلت اعرفهما قال هاتوا ميزانا فجاؤا بميزان حرايى حسن عليه حلية ذهب فاخرج من الصندوق دنانير عينا فوزن منها اربعمائة دينار وقبضتها وانصرفت الى ابي حازم بالخبر فقال اضفها الى ما اجتمع للوقف عندك وفرقه في غد في سبله ولا تؤخر ذلك ففعلت فكثر شكر الناس لابي حازم بهذا السبب واقدمه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمتضد رضي الله عنه في انصافه

حدثني (٢) ابو الحسين علي بن هشام ابي قير اطالكاتب البغدادى قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد ابن الثقات يحدث قال كان النهيكي العامل قد لازم ابا القاسم عبيد الله بن سليمان في نيام نكته فلم يكن لما ولي الوزارة الا الاحسان اليه فقلده بادوريا (٣) وكان لا يتقلدها الا جلة الناس ولقد

١٥٠ م . ع . يقال عند الاغراء بالنسوة هي هي ٢٠ راجع كتاب الوزراء لالهلال

ص ٧٦ . ٣٠٠ م . ع . طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد -

سمت اخي ابا العباس (١) يقول انه من صلح لتقلد بادوريا صلح ان يتقلد ديوان الخراج ومن صلح لديوان الخراج صلح للوزارة. قال والسبب في هذا ان المهاملات يادوريا كثيرة مختلفة وانها عرصة المملكة وعاملها يعامل اولاد الخلافة والوزراء والقواد والكتاب ووجوه الاشراف والرعية فاذا ضبط اختلاف تلك المعاديات وقام بارضاء هذه الطبقات صلح للامور الكبار. قال ابو الحسن فاقام النهيكي يتولى بادوريا نحو سنتين مدة تقلد عبدالرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج في ايام عبيدالله ثم مدة ايام (٢) ابي العباس احمد بن محمد بن ابي الاصبح لديوان الخراج في ايام عبيدالله الى ان طلقت (٣) انا واخي وتقلد ديوان زمام (٤) الخراج وزمام ديوان الضياع وخلفته عليهما فكنا اذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب لم يجبنا ادلالاً لمحله من الوزارة وتمفيه (٥) فانه كان مشهوراً بالمعة واذا كاتبناه في شي من امور العمل اقل الحفل بكتبنا فلما طالت المدة عليه الحننا عليه بالمطالبة برفع الحساب وشكوناه الى الوزير فوكل به من (٦) داره مستحناً له في رفع الحساب لمدة سنين فتشأغلت انا بعمل مؤامرة له فلم اجد عليه كثير تأول وحضرنا بين يدي عبيدالله لمناظرته وقد كنت صدرت اول باب من المؤامرة بانه فصل تفصيلاً ثمن الغلة المبيعة جملة على حسب ما يوجه التفصيل اكثر

١ « معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٦٠ » ٢ « الصواب تقلد » ٣ « م . ع » اي تركت . وله شواهد في كتب اللغة « ٤ » م . ع : هكذا جاءت في الاصل « ٥ » م . ع : كذا في الاصل . ولعل الصواب تنفقه : الا ان يكون من قيل تمطى وتظنى . ٦ « عند هلال : من لازمه » م . ع « لعل الاصل داورد .

من الجملة التي اوددها بالف دينار فقال اتبع. فما زال يتبع الى ان صح الباب عليه وقال وما هذا؟ (١) غلط الكاتب في الجملة فبدأت اكلمه فاسكتني اخي واقبل على عبيد الله فقال يا ايها الوزير صدق هذا غلط في الحساب فالدنانير في كيس من حصلت. فقال له عبيد الله صدق ابو العباس والله لا وليت لي عملاً يا لص. ثم اتيمت هذا الباب ياب آخر وهو ما رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه كله في غلة عند قسمتها فلما لاحت عليه الحجة قال اريد كتابي بعينه فبدأت اكلمه فاسكتني اخي ثم قال ايها الوزير يطعن في ديوانك ونسخ الكتب الواردة والنافذة شاهداً عدل. فقال صدق يا عدو الله وامر بسعبيه فمدحبه وما برحنا حتى اخذ خطه بثلاثة عشر الف دينار واهلكناه بهذا وما عمل بعد هذا كثير عمل

« للبحث صلة »

درس الآداب العربية الحديثة

« مناهجه ومقاصده في الحاضر »

— نظر واقتراح —

Etude de la littérature arabe nouvelle
ses méthodes et ses buts actuels

مضى عليّ روح من الدهر يزيد عليّ ربع قرن وأنا مجد بقدر الامكان في درس الآداب العربية الجديدة من اول القرن الحالي . وقد تحملت في درسه هذا صعوبات جمة اما خارجية عن الموضوع واما داخلية فيه ولست أعرف أبها كان اكبر عقبة لدرمي ونشاطي . منها بُعدي وانقطاعي عن يتابع هذه الآداب الحية اي البلاد التي اهلها وحذم خزنتها ومادتها فاني لم أزر اما كنت النهضة العربية الأدبية أعني الشام ومصر الا مرة في حياتي منذ عشرين سنة وقطعت الحرب مواصلا لنا بتاتا من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٥ تقريبا . وما وصلني ظول هذه المدة من المطبوعات والرسائل لا يروي غيللا ولا يغني قليلا . وهذا ما دعاني لان أعتمد في درسي عليّ خزائني الخاصة فقط وقد جمعتها بكثرة النفس وصرفت عليها من كدّي مصاريف ليست قليلة ومع هذا فهي لا تغني عن الخزائن الشيرة في بلاد العرب ولا سيما معايشة أفاضلها وأسانئها وهم انفسهم تاريخ هذه الآداب ولا يستعاض عنهم بالكتب والمخطوطات . والصعوبة الثانية ناشئة من الآداب العربية ذاتها وهي قلة العناية بتاريخها العلمي ونسبة الأبحاث المخصصة لها وعدم الطبقات المخصصة لتأليف جهابذتها وأركانها مشفوعة بالحواشي والشروح الموضحة للموضوع من كل وجه على العادة الجارية في اللغات الاوربية . ومما يكن من الامر وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي لا محل لتدوينها برمتها هنا فلم آلُ جهداً في يجني ودرسي راجياً ان ينتفع بثمار أنعمائي من يسير علي آثارني .

ولقد تراكت لديّ في هذه المدة بعض الملاحظات والأفكار التي لها علاقة بمنهج درس الآداب الحديثة ولا سيما في الشرق العربي وأردتُ الآن ان أطرحها على بساط

البحث كما يقولون لينظروا فيها بعيني الانتقاد من هم أقدر مني من أصحاب الامر . نصاحب البيت بالطبع أدري بما فيه من المتطفل مثلي على مائدته .

ولسائل ان يسألني لما ذا أتكلم في الآداب الحديثة فقط وأفرق بينها وبين القديمة او المدرسية حسب الاصطلاح الجديد المصيب . فأجيب على هذا السؤال ليس الفرق بينهما في منهج درسا لان عامة الآداب في كل الامم القديمة المنقرضة او الجديدة الحية يجب ان يكون درسها على طريقة واحدة وحسب منهج علمي واحد . وهذا بما لا يشك فيه من له أدنى إلمام بحالة الدروس الادبية في الغرب . وعليه فلا أفيض في الآداب العربية المدرسية لان درسها قد أصبحت طريقه مبهما فلا خوف عليه من الضلال والاضمحلال في الغرب او في الشرق . فتري في كل البلاد المتقدمة خزائن المكتب والمخطوطات المرتبة المنتظمة . والقاهرة او بيروت او دمشق من أحسن الدلائل على علوهم في ادارة الامم . وقد جمعت هذه المجموعات طرفا حسنا من تراث اجدادهم ورتبته أحسن ترتيب . اما مفاخر المخطوطات فقد صارت تطبع في بلاد بعيدة عن هذه الأمصار التي لها الرياسة في النهضة الادبية . وقد رأينا فهرست مخطوطات الموصل لداود الجلي الذي لم يكن يخاطر على بال احد صدوره منذ عشرين سنة . ومن جهة الأبحاث المختصة لا تصف همه الشرقيين والغربيين بل هم يتنافسون فيها فتم التنافس ولا حاجة الى ذكر الأمثال التي تبشر بالمستقبل الحسن لهذه الدروس . وكُتِبَ طه حسين عن الأدب الجاهلي وعبد العزيز اليميني في ابي العلاء بين أيدي محبي الآداب القديمة . اما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لائقة بها ولا اهتماما يجمع ما أخذها وموادها في الغرب ولا في الشرق . ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطورة الحال لان الفرصة التي تثوت لا ترجع مدى الدهر مرة أخرى .

ولسائل ان يسألنا سؤالا ثانيا هل يجوز افراد طور مخصوص نسيجه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة للأطوار المتقدمة ولا فرق بينها . ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الأطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطير . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي وبمخيوط لا تری ولا حد محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقا انه لا فرق بين مناهج درسه . ومع ذلك فانا لا نرى انسانا او نباتا يشبه نفسه في أطواره

المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لأطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الأطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الإجمالي . ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدي من نقطة محسوسة معينة بل بتدرج عما قبله تدريجاً . وهذا لا يمنعنا من أن نأخذ وقعة تاريخية حداً لطور ما ولا سيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسيين على مصر بقيادة نابليون التي جرت على الشرق العربي نتائج حمة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها أدبية ووصلته بأوربا بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربا قبل القرن التاسع عشر بكثير الا انها توطدت بعد فتح المدارس المتنوعة وخصوصاً في لبنان وبيروت . وهذا ما يدعونا لان يبتدي بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم تنس ما قلناه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الأطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها . وسنهتم في بحثنا الآتي بالمسألة من ثلاثة اوجه تكون مصدر أفكارنا وهي اولاً قلة الأبحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . وثانياً أحوال الأبحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . وثالثاً تنوع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في العلم الحاضر .

ولاحاجة هنا الى وصف احوال البحث في الآداب العربية الحديثة فانها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالاعتناء بها قليل بالنسبة الى درس الآداب المدرسية . ولا غرابة في ذلك فان الانسان في كل زمان ومكان مولع بقديمه أكثر من حديثه فلا يرى هذا جديراً بالدرس كالشيء العادي الذي لا قيمة له وكم رأينا في الشام من البعثات العلمية والآثرية تنقب عن آثار المصريين والاشوريين والحثيين ولم تزل تزرأ قليلاً منها خاصة بآثار الدور الاسلامي وهذا ما نراه في دروس الآداب . ولا فرق بين ذلك بين الشرق والغرب . ولا نعرف بين علماء اوربا على كثرتهم وتنوعهم الا اختصاصاً واحداً درس الآداب الحديثة بكل دقة وإيمان الا وهو مارتين هارتمان الألماني المتوفى منذ عشر سنين وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامفهايمر الألماني . ولذلك نرى في ألمانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد والمجلات لها علاقة

بعض كتبة العصر أو بعض الظواهر الأدبية بين أبناء العرب . أما البلدان الأخرى فلا نعرف فيها إلا علماً واحداً ساح وتجوّل في أما كن النهضة الأدبية بين العرب وشغف بها وأنفق جانباً من وقته وأتعبه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي . وعلى قلة المعتمدين بهذا الموضوع يرى كل ناظر متأمل ان علماء اوربا سيفي الصف الاول من القرن الماضي كانت رغبتهم في معرفة الظواهر الأدبية وتعريفها لعالم العلم والأدب أقوى وأشدّ فان الاساتذة رينو في فرنسا أو فليشر في ألمانيا لم يفتنهما شيء تقريباً من آثار النهضة الأدبية من الجرائد الحديثة المهد في وقتها أو اعمال المجامع المؤسسة حديثاً . فلا غرابة في ذلك فان قلة هذه الآثار على عهدهما سهلت كثيراً تدوينها وتقديرها . اما الآن وقد تنوعت وتكاثرت ظواهر الأدب وآثاره فلا يسعنا الا ان نحكم على علماء اوربا ومستعربها بقلة الاهتمام بهذا الموضوع وهذا ما شكنا منه مراراً الاستاذان كامفراير وجيب .

فلو رجعنا بعد ما قلناه الى أحوال درس الآداب الحديثة في بلاد العرب لرأينا صورة وان كانت أحسن مما سبق بقليل لكنها نافعة من عدة وجوه . ولا ينكر احد ان اللغة العربية حائزة الآن بعض النظرات الإيجابية اولها حسب وقت ظهورها كتاب الأب لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر وثانيها الجزء الرابع من تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان وثالثها تاريخ الصحافة العربية لفيليب طرازي ولكل من هذه الكتب فضائل ونواقص هي تحت نظر كل محب لتاريخ الآداب . وقد كتب عنها ما ينفي عن الاوسهاب في هذا المحل . وربما كان أحسنها ترتيباً وأغزرها مادة تاريخ الصحافة العربية لان صاحبها حدد الموضوع وأسند كل شيء الى مأخذ . ولا ينقصه الا عدم إتمامه حتى الآن . ولو كل هذا الكتاب لسد ثغراً في معارفنا بيننا . ومن هذا القبيل تكون اللغة العربية أغنى من اللغات الأوروبية إجمالاً . اما من جهة الابحاث الخصوصية فهي قليلة وليست على غاية ما يطلبه الآن المنهج العلمي الدارج في اوربا . ولا نستثنى من ذلك الا شيئاً يسيراً كأبحاث السيدة (محي) عن باحثة البادية وعائشة التيمورية أو تاريخ حياة طاهر الجزائري بقلم محمد كرد علي وغيرها . اما ما بقي من الكتابات فليست الا نظرات انتقادية أو تقاربط دعت اليها الحياة اليومية وهي تزول مع ضرور

الأيام وان كانت في بعضها مواد للدرس العلمي الخطير التي تفيد بعد البحث العلمي .
 هذه الأحوال التي نشاهد ما في درس الآداب العربية الحديثة تضطر كل عالم
 باحث يشعر بالتبعة الملقاة على عاتقه الى ان لا يفتنى حيز بحثه بما تحويه اللغة العربية بل
 يدرس بامعان ودقة حال دروس الآداب الحديثة في اللغات الأخرى وان كانت بعيدة
 عن العربية لكي يتعمق في أسباب تقدمها او تأخرها ويقتبس من مناهجها وأساليبها ما كان
 نافعا ومناسبا لغته وآدابها . ولتحقيق من هذه الجهة مركز خاص ربما يجعله أسعد حظا
 من علماء أوربا في الممالك الأخرى . فليست اللغة الروسية غنية بآدابها فقط بل وبعلمائها
 النظريين الباحثين في تاريخ الآداب الذين تعد تأليفهم من أحسن ما كُتب في هذا
 الموضوع في عالم العلم . وفي روسيا من جهة أخرى شعوب كثيرة لم يتبدى درس آدابها
 الا من عشرات من السنين وبين يديك لغة روسيا البيضاء وآدابها وهي وان كانت
 عريقة في القدم لم يتبدى طورها الجديد الا منذ نصف قرن ولم يتبدى درسها المرتب
 العلمي الا منذ عشر سنين بعد تأسيس دائرة ترقى التمدن في روسيا البيضاء التي تحولت
 حديثا الى أكاديمية العلوم التابعة للروسيا البيضاء . ونرى في بلادنا بعض الدوائر الخاصة
 لدرس الآداب الحديثة والمتاحف المعتمدة تجمع كل ما له ادنى علاقة بالموضوع وتدوينه
 وترتيبه وإعداده للدرس العلمي . ولا شك ان تجارب هذه الأمم ودوائرها العلمية
 مما يفيد كل عالم مدقق يجب ترويج الدروس في تاريخ آداب لغته من اي بلد اولغة
 كان . خصوصا علماء العرب او المستعربين الذين ليس لغتهم أمثلة هذه الدوائر او الاهتمام
 بالمناهج الراقية .

وهذه المناهج هي مصدر لبحثنا الثالث كما قد سبق لنا ذكره . ولنا نطلب من كل
 باحث في تاريخ الآداب ان يكون له اقل إلمام بكل من هذه المناهج على كثرتها وتنوعها
 لان هذا يحتاج الى وقت طويل ودرس خصوصي لا يحتمله الا علماء النظريات . وما
 لا شك فيه ان الباحث الذي يريد ان يكون عمله على مستوى ما تطلبه حالة العلم الحاضرة
 لا مندوحة له من ان يتعرف الى بعض التأليف البارزة التي تعد من أجمل الأمثلة في
 لغاتها . هذا اقل ما يطلب منه وبهذا المذهب من المطابقة يرى كل باحث ما ينقصه
 ويتمكن في طريقه السديد . اما المناهج التاريخية الأدبية فكثيرة في أوربا الحاضرة منها

العلمية المحضة ومنها ما لها صبغة من علم تمييز الحُسن او علم الأخلاق او علم الصحافة . وان كان التعارف بجميعها نافعا لدرس الآداب العربية الحديثة ولا سيما وهي تُعنى في حالتها الحاضرة بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية . ولنا فني بالمذهب الاشتراكي معناه السياسي بل المذهب الادبي التاريخي الذي يطلب ان يدرس الباحث كتابه كالجزم الذي لا يتجزأ من المجتمع الانساني المشترك معه في كل تقلباته وان يدرس بيئته التي خرج منها وكل ما له علاقة بالمجتمع الذي عاش فيه وكل ظواهر الحياة التي تأثر منها او الزمان الذي كان عاملاً فيه . اما مذهب درس الصورة الفنية فهو يحمل نقطة الدائرة درس صورة التأليف وأساليب المؤلف الفنية وطرائقه لتجسيم افكاره وتخيلاته وكل ما يتعلق بصورة التأليف الظاهرة من وزنها وقافيتها او المحاسن اللفظية والمعنوية . ولا يخفى على احد ان هذه المذاهب كلها كانت مستعملة في درس تاريخ الآداب العربية منذ القديم ولكن استعمالاً سطحياً لم يمن لفكر الباحث الا بالصدفة او تواتر الافكار بدون سابق المعرفة بتجارب غيرها من اللغات . وهذا التعارف يسهل العمل وينجينا من غلطات المتقدمين ولا يرقنا في الورطة التي وقعوا فيها . ولا حاجة لنا الى التعمق في المجادلات التي ترتبت على قيمة هذه المذاهب التاريخية الادبية ومطابقتها وتهافتها — المجادلات التي تكثرت في الدوائر العلمية الاوروبية . لان كل مذهب حسن اذا كان الباحث غير متطرف فيه استعماله ولا يضيق بحته بمحدود ضيقة ناشئة . ولا ننسى ايضا ان تاريخ الآداب العربية الحديثة في أحوالها الحاضرة أخرج الى جمع المصادر والمآخذ المنتشرة في كل قطر ومصر من كلام تافه في قيمة المناهج والمذاهب .

اما الآن وقد أنهينا تمهيدنا في كيفية الطريق المؤدي الى درس الآداب العربية الحديثة فلنخرج الى بث نتائجنا في هذا الموضوع . وبعد لا يخفى على كل من له إلمام بالبحث التاريخي الأدبي ان عمله ينقسم الى ثلاثة أقسام متتابعة في الزمان : اولها جمع المواد ثانياً ترتيبها واختيارها وثالثها الفرس بمعناه الخصوصي وهو يحتوي خلا تعدد المواد المجموعة واختيارها كتابة نتائج أفكار الكاتب في قالب مقالة او نظر إجمالي او تاريخ حياة المؤلف المترجم عنه ولم جراً . ولا يخفى ايضا ان هذه الاقسام او المراتب باقية هي ذاتها في عمل شخصي او في اعمال المجمع المختص بدرس تاريخ الآداب او الدائرة الا-

أنشئت بسببه . وكل هذه المراتب لها فروع ودرجات لا تحصى . ولنا ان نسأل اولاً ما ذا عمل حتى الآن وما ذا بقي ان يُعمل في المرتبة الاولى اي في جمع المواد . وقبل ان نتعمق في هذا الموضوع يلزمنا ان نحدد ماذا نعني بمواد البحث او مصادره او مأخذه او بنائيه كما يقول علماء اوربا . ولنا نعني بالمصادر كل ما كتب المؤلف او طبعه فقط بل وكل ما كتب عنه وما له ادنى علاقة بحياته او تأليفه من انتقاد وتذكار ورسائل كتبت اليه ورسائل صدرت عنه بل وكل آلة من آلاته كقلمه او دوانه او كرسيه الذي كتب كُتبه قاعداً عليه . بل وكل صورة تمثله في أطوار حياته او تمثل اعضاء عائلته وكل تصوير يسهل لنا تخيل محل عمله او يفسر صفحة من تأليفه وهكذا الى النهاية . ولا نغفل المأخذ في لغة واحدة بل يلزمنا ان نجتمع كل ما كتب عن مؤلفنا في كل لغة فقد يوجد فيها ما لا وجود له في لغته من تذكرات المعاصرين له من الامم الأخرى ولهذا مكانة عظيمة . هذا فؤاد البستاني قد وجد عند لامرئين شاعر فرنسا الشهير ذكراً لنا صيف البازجي يمثله لنا في وقت شبابه تمثيلاً ما كنا نتصوره . وقد رأيت شيئاً كثيراً من سيرة محمد عياد الطنطاوي في يوميات قالين السائح الفنلاندي نصف لنا حياته ودروسه ايام إقامته في بطرسبرج . ويلزمنا ايضاً ألا نفوتنا شيء من آثار لما علاقة بالمؤلف فالكثابة على قبر الطنطاوي مثلاً أو ضحيت لنا مشكلة في تاريخ موته وهو يختلف عما في الأوراق الرسمية .

وبما تقدم يتضح لنا وضوحاً تاماً ان جمع المصادر لتاريخ الآداب العربية الحديثة لم يخرج حتى الآن في البلاد العربية والغربية من حيز العدم . وان خزائن المكتب والمخطوطات جمعت طرفاً حسناً من مؤلفات المتقدمين من الكتبة والعلماء اما تأليف المصريين فلم تدخل فيها الا بطريق الصدفة ولم يكن لها من الاهتمام نصيب . وليس من الجامع على ما نعلم الا مجموعة واحدة تسحق الذكر والثناء هي مجموعة الصحف والمجلات التي جمعها فيليب طرازي وهي التي أيدته في تأليفه الخطير عن تاريخ الصحافة العربية وقد خرجت من بلاد العرب وهاجرت الى مدينة هامبورغ من ألمانيا . وعلى مثل هذا الطريق يلزمنا ان نجتمع كل ما له علاقة بكتبة القرن التاسع عشر والعشرين حسب فهم معنى المصادر المشرح آتفا . وليس من الحكمة ان يقتصروا في الأعمال الشخصية فقط

بل من الضرورة إثارة الرأي العام في هذا الصدد يث الراسائل الخصوصية ونشر العلاقات وإرسال البعثات العلمية الى أماكن حياة الكتبة المشهورين لجمع ما بقي من كتاباتهم في أيدي الافراد وجمع التذكرات من أفواه معاصريه . ويجب ارسال هذه البعثات العلمية ايضا الى خزائن الكتب المشهورة في الشرق والغرب لدرس ما يوجد فيها من آثار الآداب العربية الحديثة .

وعما لا شك فيه ان كل الأعمال يجب اجراؤها حسب اللامحة المخصوصة المرسومة بأيدي الاختصاصيين في هذه الدائرة الذين لم إلهم بمناهج البحث الأدبي التاريخي . ويجب ان يذكر في هذه اللوائح كل الاصناف من المصادر التي بهم العلم جمعها ودرسها وتذكر ايضا المسائل الخاصة المتعلقة بالكتب المعينة او التأليف المفقودة التي يجب البحث عنها او النقط غيرها التي بهم درسها وتوضيحها . وانتشار هذه اللوائح وسط الدوائر العلمية او المدارس الوسطى والعليا يعود بنفع على تاريخ الآداب الحديثة .

بجمع المآخذ يتعلق تدوينها وترتيبها تسهيلاً للابحاث العلمية . وهذا العمل الشاق متنوع نوعاً ليس باقل من الاول والثاني . ولنا نعي به الفهارس البسيطة البسطية أمثال فهارس القسطنطينية او المكتبة الخديوية القديمة بل نعي وصفاً دقيقاً علمياً بصور لنا الآثار من كل جهاتها وبكل دقائقها لكي نعلم قبل النظر اليها هل نجد فيها شيئاً نفيدنا في البحث الذي يهمنا في الوقت الحاضر . وليس تدوين المصادر محصوراً على ما يوجد في الحل الفلاني فقط بل من الضرورة جمع الأخبار عن كل ما له علاقة بالآداب الحديثة في بلدان مختلفة وخزائن غريبة ومجلات متنوعة في اللغات الغريبة . مثال ذلك ان مكاتب الطنطاوي وجدناها في مدينة هيلسنتفورد عاصمة فنلندا وبعضها في قازان عاصمة الجمهورية الثارية . ولا تمس الحاجة الى تكرار معنى المآخذ ووجوب تدوين كل ما يوضح لنا شخصية المؤلف او يفسر تأليفه من الصور والآلات وأثاث المنزل وليس هذا العمل مما يسهل علم عالم فرد بل هي من واجبات الدوائر المخصوصة المؤسسة في بلدان مختلفة والمرجو تأسيسها في بلاد العرب .

ومن مقدمات الدرس بعض الأعمال الأولية التي لها علاقة بتدوين المصادر كقاموس الكتبة في القرنين التاسع عشر والعشرين مع ترجمة حياة كل واحد منهم

مختصرة وفهرست تأليفاته وذكر المصادر والمآخذ المهمة ولنا مثال حسن في تأليفات يوسف سر كيس والزركلي الشهيرة ولكنها لا تمثل الا خطوة اولى في هذا الطريق ويجب تدقيقها وترقيتها لكي يصير في الآداب العربية الحديثة كتاب مثل كتاب بروكلمان الألماني عن الآداب العربية في القرن الوسطى . ومن المبالاة ان لا يختصر القاموس على أسماء المؤلفين الذين قد انتقلوا الى عالم البقاء بل يدخل فيه معاصروننا الاحياء ممن يكون لهم شأن في المستقبل . وأحسن طريق الى جمع الاخبار عنهم ارسال الاوانح المختصرة المشتملة على الامثلة المعينة على نحر ما عمل وبنغاروف العالم الروسي الذي اصبحت مجموعته من أمثني أساس تاريخ الآداب الروسية الحديثة . ولنا مثال أقرب من هذا في سعي كامفايزر العالم الألماني المذكور ونشره بعض تراجم حياة شعراء العصر المكتوبة باقلامهم إجابة لسؤاله وكل ذلك من أدنى المصادر وأصدقها التي يصعب الوصول اليها بعد فوت الفرصة . ومن قبل المعاجم التي تسهل الأبحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت بين كتبة العرب ولا سيما في قرننا هذا انتشارها بين أدباء اوربا . وهذا المعجم لا يتنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتابة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء ثلاثى بمرور الايام . وان كنا نعرف نحن ان المصري الفلاح مؤلف رواية زينب الفريدة في بابها هو الكاتب الشهير محمد - بين هيكل فلا يتيسر مرافقه لابنائنا ان لم نثبت هذا في كتاب ما . ومن قبل الاعمال الاولى ايضاً جمع الاخبار عن كل ما يتعلق بالكاتب المفرد او العصر المعين او الطور المخصوص وعن كل ما كُتب فيه او طُبِعَ في وقته . وأحسن طريق لتدوين هذه المواد تقييد ملاحظة واحدة او مصدر منفصل على قطعة من الورق الغليظ مفردة لكي يسهل فيها بعد ترتيب هذه الملاحظات على اي نسق أريد . وهذه القهارس يجب حفظها في محل خاص لكي لا يصير الرجوع اليها لكل من يريد جمع المواد لدرس معين .

وتحتوي هذه المرحلة من الدرس ايضاً على طبع المؤلفات للكتبة المشهورين النقدي العلمي وجمع كل المؤلفات المنزقة في المطابع او المجلات لكاتب واحد . وليس هذا بالامر اليسير كما يتوهمه من اول نظرة من لم يكابده فالطبع العلمي النقدي يحتاج الى مقابلة النسخ المعروفة والى تثبيت نص التأليف في كل تدقيقاته حسب مخطوطات المؤلف ان هي

بقيت الى يومنا وحسب كل طبقات بعد المقابلة الدقيقة بامعان النظر . . وليس لدينا كتاب واحد مطبوع على هذه القواعد . وهذا مما يمر قل كل درس وكل عمل في حيز الآداب العربية وقد تحملنا مشاق حمة وقت ترتيب المواد لنشرنا المنتخبات المصرية لانا لم نقدر ان نثبت على اليقين هل في كتابة لفظة او جملة على الطريق غير الاعتيادي غلط مطبعي وكتابة مخصوصة معتمدة من المؤلف نفسه . ولا ننس ايضا ان الطبع النقدي يكون اساسا لدرس كل المسائل المتعلقة بنص المؤلف كتاريخ اللغة في عصره او اختراع معانيها او ايضاح المناهج الفنية . ولذلك يجب ان يكون طبعه ملحقا بالحواشي والشرح التي لا تترك محلاً للشبهة في فكر قارئه او دارسه ونبين له كل جليلة ودقيقة تستحق الذكر . ولا ننس ايضا ان الطبع النقدي يجب ان يكون ظاهراً الى عالم الوجود في احسن صورة ولذلك يهم الاعتناء بحسن حروفه واثقان طبعه من هذه الجهة .

ولا نقدر ان نستوعب ذكر كل ما يتعلق بالاعمال والدروس بهذه الدرجة الثانية من البحث العلمي درجة الترتيب والتدوين . اما الدرجة الثالثة وهي الأهم من بين الثلاثة لانها تبرز فكر العالم الباحث الى حيز الوجود فتحتوي ايضا على الاصول والفروع التي لا طاقة لنا في تعديد كل مفرداتها . . ويدخل فيها مقالات مخصصة لدرس الكتاب المعين او بعض أطراف من عبقريته او تأليفه الواحد كما ندخل ايضا نظرة إجمالية في طور من الأطوار او في كل تاريخ الآداب العربية الحديثة . وغني عن البيان ان هذه المرتبة تحتاج احتياجاً كلياً الى معرفة مناهج درس تاريخ الآداب العلمية وقد سبق لنا ذكر المناهج التي لها ادنى علاقة على ظننا بدراسة الآداب العربية الحديثة وهي المذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية ولازوم الى اعادة ماقلناه عن هذه المناهج او غيرها . ولا ضرورة الى تعديد كل الموضوعات المختصة بتاريخ الآداب التي ادخل في الدرس وهي اكثر من ان تعد وتخصي فمن أهم الدروس بحث احوال العمل وكيف ونظريته في مسائل الآداب وتقنية التأليف وانعكاس يثته في تأليفه او امانيه فساله في المستقبل . اما من جهة الصورة الفنية في المحل الاول فنحل درس فضائل صنعته او تقائصها من كل وجوها . ولا يختصر درس الآداب بدرس الفن الجميل فقط بل يدخل فيه فروع أخرى ايضا كتاريخ الانتقاد الحديث او تاريخ الصحافة وقد

أتحفنا فيليب طرازي بنموذج حسن من هذا القبيل . ولدروس هذه المرتبة علاقة وثيقة بالكتب المؤلفة لنشر معرفة الآداب الحديثة أو أفرادها الكرام . وهذه الكتب مكانة لا يستهان بها فانها تروج دروس الآداب ولا سيما بين النشء الجديد وتشوقه الى هذه المسائل . ونعمت الفكرة فكرة فؤاد البستاني في روائعه فقد اعطانا خير كتاب عمومي عن البازجي والبستاني الكبير د. علي الدين يكن . ونعمت فكرة ادارة مطبعة الوفد فقد أتحفنا بكتب في الشعر النسائي المصري يمثل لنا كبريات نجومه . ومن هذه الجهة لنفهم الدروس كتب المنتخبات بالحواشي والتراجم كمثل مختارات المنفلوطي وقد أدخل فيها قسماً صالحاً من تأليف المعصر وكنا نود لو طبعت منتخبات من تأليف كل كاتب مشهور كما نرى امثالها في اوربا عشرات كل سنة وكما فعلت ادارة الهلال في مختارات جرجي زيدان .

اما الآن وقد وصلنا الى خاتمة عجالتنا فلم يبق لنا الا ان ننظر الى ثمراتها النهائية وهي جليلة لكل متأمل جلاء واضحاً ونقول لا يسع علماً واحداً مما علت هممه او قويت قريحته او حسنت أحواله ان يأخذ على عاتقه كل الأعمال المشروحة اعلاه وحالة الدروس الحاضرة عن تاريخ الآداب العربية الحديثة كما رأينا . فعليه يتراءى لنا دواء هذه الاحوال في تأسيس دائرتين مخصصتين لهذه الأعمال . اولهما المتحف الخاص بالحسابي لكل ما يتعلق بمصادر تاريخ الآداب العربية الجديدة . وله المثل الأعلى في المتحف المسمى ببيت يوشكين التابع لأكاديمية العلوم الروسية وهو المتحف الذي أسس سنة ١٩٠٧ على اسم الشاعر الروسي الشهير الذي يعد اباً لكل الآداب الروسية الجديدة . وهذا المتحف لا يحتوي على كل ما يتعلق بيوشكين فقط بل وبسلفه الأدبي وبكل تلاميذه في الأدب وكل مقلديه من زمانه الى ايامنا هذه . وهذا المتحف ينقسم اقساماً . منها قسم الكتب الجامع لكل الطباعات من الشعراء والكتبة الروسين وكل ما كُتب عنهم من انتقادات وتاريخ حياتهم وتذكرات معاصريهم ومجلات زمانهم وجرائدهم . ومنها قسم المخطوطات الحاروي بركات الكتبة ومخطوطاتهم ومسوداتهم ومكانيتهم منهم واليهيم . ومنها المتحف بالمدني المعتاد وهو يحمل صور المؤلفين وتصوير تفسير حياتهم وتأليفهم وعلى الآلات الباقية منهم التي تصور لنا اشغالهم وحياتهم الشخصية . ومنها قسم المراجعات والاستدلالات . وفيها

فهازن كل ما هو معروف عن الكاتب المتروك ونألفه وورثته وعدة من المجموعات التي تسهل الدرس لكل من له مهمة في ذلك . ووصف هذا المتحف بكل دقائقه بطلب محلا واسعا ويحتاج الى تأليف سفر قائم بذاته . وقد ألف بعض الكتب في المعنى في اللغة الروسية والفرنسية قد بعثت بشيء منها الى المجمع العلمي الموقر . ولكن المتحف وحده لا يكفي لترويج درس الآداب الحديثة ولذلك تقترح تأسيس دائرة مخصوصة ثانية الى جانبه تعنى بدرس الآداب حسب الاوجه الثلاثة المشروحة آنفاً وحسب اللائحة المنصلة . وهذه الدائرة تكون مستقلة كالانستيتوت ضمن الدوائر العلمية غيرها او تكون تحت ادارة المجمع العلمي العربي او تكون قسماً منه يهتم بدرس الآداب العربية الحديثة خصوصاً . وكل هذه المسائل في ماهية الدائرة يلزم البحث عنها بكل امان ودقة بين العلماء المشتغلين بالموضوع اذا صادف الفكر وجه استحقاق بين الاختصاصيين .

هذا ما أردنا به وسرده . وهذا قليل بل أقل من القليل في الطريق الموصل الى المقصد الأسنى البعيد الذي لا وصول اليه الا بالرسم المرسوم وبذل الجهود من العلماء المجتمعين . وليس هذا الا جزء من الافكار والآراء تراكت لدى هذا الحفير وقت درسه للمسائل المتعلقة بتاريخ الآداب العربية الحديثة منذ ربع قرن . ولا أعزاء المجمع العلمي العربي الموقرين ان يصرحوا برأيهم في الاقتراح اذا رأوه مما يستحق الذكر . ونلتبس من فراء المجلة المضلاء الذين لم اليد الطولي في هذه المسائل ان يبدوا ملاحظاتهم وتعاليقهم فباستخدام الآراء ثجلى الحقيقة ، وربما تتوفق في سعيها الى ترويج درس الآداب العربية العاصرة ويكون في ذلك امتزاج همه الشرق وتجارب الغرب المؤدي الى نهضة العرب العلمية الأدبية التي هي خالتنا .

١ . كراتشوفسكي

كُتب في أسكي قريم :

عضو المجمع العلمي العربي

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

— ٣ —

(احاطة الوجود وسعته) : وذهب الى سعة في وجود الواجب (ي الله) واحاطة
معنوية تامة تشمل الكون بأكمله ولا يشذ عنه شيء وهذا الرأي يوضح مذهب صدر الدين
في القوة المبدعة (اي الله) كما انه يوضح معنى وحدة الوجود .

قال في كتابه (شواهد الربوبية) الاشراف العاشر في انه جل اسمه كل الوجود قول
اجمالي كن بسيط الحقيقة من جميع الوجوه فهو بوحدة كل الاشياء والا لكان ذاته
متحصل القوام من هوية امر ولا هوية امر ولو في العقل (قول تفصيلي) اذا قلنا لانسان
يسلب عنه الفرس او الفرسية فليس هو من حيث هو انسان لا فرس والا لزم من تعقله
تعقل ذلك السلب اذ ليس سلباً بحتاً بل سلب نحو من الوجود فكل مصداق لا يحجب سلب
المحمول عنه لا يكون الا مركباً فان لك ان تحضر في الدمن صورته وصورة ذلك المحمول
مواطأة او اشتقاقاً فتقاييس بينهما وتسلب احدهما عن الآخر فما به الشيء هو هو غير ما به
يصدق عليه انه ليس هو فاذا قلت زيد ليس بكتاب فلا يكون صورة زيد بما هي صورة
زيد ليس بكتاب والا لكان زيد من حيث هو زيد عديمًا بحتاً بل لا بد وان يكون
موضوع هذه القضية مركباً من صورة زيد وامر آخر به يكون مساوياً عنه الكتابة من
قوة او استعداد . فان الفعل المطلق لا يكون هو بعينه من حيث هو بالفعل عدم فعل آخر
الا ان يكون فيه تركيب من فعل وقوة ولو في العقل بحسب تحليله الى مهية ووجود وامكان
ووجوب واجب الوجود لما كان مجرد الوجود القائم بذاته مرغوبة كثيرة اصلاً فلا يسلب
عنه شيء من الاشياء لانه تمامها وقام الشيء احق به واركد له من نفسه واليه الاشارة في
قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (ما من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم) فهو رابع الثلاثة وخامس الاربعة وسادس الخمسة لانه بوحدة

كل الاشياء وليس هو شيئاً من الاشياء لان وحدته ليست عددية من جنس وحدات الموجودات حتى يحصل من تكررها الاعداد بل وحدة حقيقية لامكاني لها في الوجود ولهذا كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولو قالوا ثالث اثنين لم يكونوا كفاراً . ومن الشواهد البينة على هذه الدعوى قوله تعالى (هو معكم اينما كنتم) فان هذه المعية ليست بممازجة ولا مداخلية ولا حلولاً ولا اتحاداً ولا معية في المرتبة وفي درجة الوجود ولا في الزمان ولا في الوضع تعالى عن ذلك علواً كبيراً هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . ونسب اليه هذا الرباعي :

مجموعة كونيين باشين سبق كديم تقمص ورقا بعد ورق
حقا كه نخوانديم ونديديم دراو جز ذات حق وشؤون ذاتيه حق
اي تصفحنا صفحات الوجود ورقاً بعد ورق حقاً ما تلونا وما رأينا فيها الا ذات الحق
تعالى وشؤون ذاته الحق .

ونسب اليه هذا البيت ايضاً :

وما الناس في التمثال الا كثلجة . وانت لما الماء الذي فيه ^(١) تابع
وهذا الرأي ايضاً يشبه مذهب (باسكال) السابق الذكر ^(٢) .

وهذا المذهب كذهب الماديين وان في المادة مبدأ مديراً هو الله وان عنصر النظام الذي نثر عليه في نواحي المادة هو الله ويشعر بل ينص بقديم المادة وازليتها لان المبدع ليس منفصلاً عنه وان كان ارتباطه بطريق مجهول . بقي شيء : وفرق بين المذهبين مذهب صدرالدين ووحدة الوجود ومذهب الماديين وهو ان الماديين ينكرون الثمور العام المسمى بالعلم وينكرون وجود الغاية والحكمة في خلق الكون واجزاء العالم ونواميسه الجارية ولكن صدر الدين يثبت العلم والغاية في كليهما في الوجود .

(مذهب صدرالدين في علم الباري تعالى) : من اعرض مسائل اللاهوت التي شغلت
حيزاً من افكار الفلاسفة من اقدم عصور الفلسفة في مسألة علم الباري (الله) اضطربت

(١) وجدنا البيت بنصه للنقل ولكن ضمير التذكير لا يستقيم الا بارجاعه الى التمثال .

(٢) ولد باسكال في كليرمون في ١٨ يونيو سنة ١٦٢٣ م وتوفي سنة ١٦٦٢ م .

فيه الآراء. واختلفت المذاهب حتى بلغ اصول المذاهب الفلسفية في العلم الى ثمانية اقوال وآراء لان علم الواجب على المبادي الفلسفية لا يقاس بعلم الممكن ولما فكر صدر الدين في مذاهب الفلاسفة المتقدمين في العلم فوجدوا لا تزيج النقاب عن وجه الحقيقة كما يريد - سلك مسلكاً في العلم يتصل الى مسلك وحدة الوجود ولكن العصر لم يكن يسمح له بالتصريح به خوفاً من الاضطهاد الديني ذكر (١) مذاهب المشائيز والبي نصر وابن سينا وبهمينار (٢) مذهب الاشراقين والسهورودي صاحب حكمة الاشراق (٣) مذهب المعتزلة (٤) مذهب فرفوربوس وقال ان لكل من هذه المذاهب الاربعة وجهاً صحيحاً لعله التفتيلي وقال - ولا الذي استراحت اليه قلوب المتأخرين من العلم الاجمالي .

بل كما علمنا الله سبحانه بطريق اختصاصي سوى هذه الطرق المذكورة ولا اري في التخصيص عليه مصلحة لنموضه وعسر ادراكه على اكثر الافهام ولكني اشير اليه اشارة يهندي بها اليه من وفق له وهو ان ذاته في مرتبة ذاته مظهر لجميع صفاته واسمااته كلها وهو ايضا مجلدة يرى بها وفيها صور جميع الممكنات من غير حلول ولا اتحاد اذ الحلول يقتضي وجود شئين لكل منهما وجود يفاير وجود صاحبه والاتحاد يستدعي ثبوت امرين يشتركان في وجود واحد ينسب ذلك الوجود الى كل منهما بالذات وهناك ليس كذلك كما اشرفنا اليه بل ذاته بمنزلة مرآة ترى فيها صور الموجودات كلها وليس وجود المرآة وجود ما يتراءى فيها اصلاً (اشارة تمثيلية) واعلم ان امر المرآة عجيب وقد خلقها الله عبدة للناظرين وذلك ان ما يظهر فيه ويتراءى من الصور ليست هي بعينها الاشخاص الخارجية كما ذهب اليه الرياضيون القائلون بخروج الشعاع ولا هي صور منطبعة فيها كما اختاره الطبيعيون ولا هي موجودات عالم المثال كما زعمه الاشراقيون فان كلاً من هذه الوجوه الثلاثة مقدوح مردود بوجوه من القدح والرد كما هو مشروح في كتب الحكماء بل الصواب ما احدثنا اليه بنور الاعلام الرباني الخاص وهو ان تلك الصور موجودات لا بالذات بل بالعرض بقية وجود الاشخاص المقترنة بجسم مشف وشفيع صقيل على شرائط مخصوصة فوجودها في الخارج وجود الحكاية بما هي حكاية وهكذا يكون وجود المهيآت والطبائع الكلية عندنا في الخارج فالكلبي الطبيعي اي الماهية من حيث هي موجودة بالعرض

لانه حكاية الوجود ليس معدوماً مطلقاً كما عليه التكلمون ولا موجوداً أصلياً كما عليه الحكماء بل له وجود ظلي الخ .

« ايضاح هذا المطلب يتم بعدة مقدمات »

(الاولى) ان علم الباري يمثل بعلم النفس بذاتها فان العلم والمعلوم هناك واحد فالنفس عالمة ومعلومة والعلم ايضاً قائم بها .

(الثانية) ان وجود الباري ببساطته لا يشاب بعدم وتقص وله كمال لا نهائي فارفع درجات العلم واكملها موجود هناك ولا يشوبه غيبة شيء ولا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اذ لو بقي شيء من الاشياء ولم يكن ذلك العلم علماً به لم يكن صرف حقيقة العلم بل علماً بوجه وجه آخر وصرف حقيقة الشيء لا تمتزج بغيره والا لم يخرج جميعه من القوة الى الفعل (اي لم يبلغ حد الكمال وهو خلاف الفرض) وعلمه راجع الى وجوده فكما ان وجوده لا يشاب بعدم وتقص فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لا يشاب بغيبة شيء من الاشياء على انه تعالى محقق الحقائق ومشيء الاشياء لحضور ذاته تعالى حضور كل شيء .

(٣) الثالثة ان مثل الواجب الباري كمثل المرآة ومثل الموجودات الممكنات كمثل الصور المرئية فيها المنطبعة على صفتها بواسطة اسبابها من محاذاة ذي الصورة لها ووجود النور وغيرهما فالصورة مرئية فيها وبها ولكن كيفية انطباعها وظهورها مجهولة لنا فذلك الموجودات تظهر بوجه وجه الله وقيامها وظهورها يكون به تعالى فالطبائع الكلية لها وجود ظلي لولا وجود الباري لم يكن لها ظهور كما انه لولا المرآة لم يكن للصور ظهور ووجود . ففمن تبصر الصور في المرآة ولا نعلم كيفية انطباعها فكذلك نرى الموجودات وهي قائمة به تعالى ولكن لا ندري ما هو الوجود الحق الواجب .

(٤) الرابعة فهو عالم بذاته وعلمه هو حضور الذات ففمن اذا فرضنا ان المرآة شعرت بذاتها المنطبعة فيها الصور يكون المثل أقرب الى المقصود . فالوجود اللانهائي عالم بالوجود كافة هذه نهاية ما يصور ويدرك من فلسفة صدر الدين في العلم فعمداه من جملة كلامه المستور بتأثير النقية . ثم هذا العلم يتعلق بعلمه المتعلق بالايحاد .

ماية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشيخ ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(مذهب صدر الدين في الحكمة في اجزاء الكون والقصد من وجودها) : من المسائل الفلسفية الغامضة التي تحير فيها كبار الفلاسفة مسألة وجود القصد والحكمة في تكون العالم (يقول صدر الدين) : زعم ايندقلس (ايندقلس) ان تكون الاجرام الاستقطبية بالاتفاق وذهب ذيقرطيس ومن تبعه ان العالم وجد بالاتفاق وان لم يكن تكون الحيوان والنبات بالاتفاق .

يقول الثاني ان مبادي العالم اجرام صفار لا تثيراً لصلابتها وهي مبثوثة في خلاء غير متناهي وهي متشكلة الطبائع مختلفة الاشكال دائمة الحركة فاتفق ان تصادمت منها جملة واجتمعت على هيئة مخصوصة فتكون منها هذا العالم .

ويقول الاول ان تكون الاجرام الاستقطبية بالاتفاق فما اتفق ان لم يكن كذلك لم يبق واحتج بحجج منها ان الطبيعة لا روية لها فلا يعقل ان يكون فعلها لاجل غرض . ومنها ان الفساد والموت والتشويبات والزوائد ليست مقصودة مع ان لها نظاماً لا يتغير كاختدادها فلم ان الجميع غير مقصود للطبيعة فان نظام الدبول وان كان على عكس النمو والنمو لكن له كعكسه نظام لا يتغير ونهج لا يميل ولما كان نظام الدبول ضرورة المادة من دون ان يكون مقصوداً للطبيعة فلا جرم يحكم بان نظام النمو ايضا بسبب ضرورة المادة بلا قصد وداعية للطبيعة وهذا كالطر الذي نعلم جزماً انه كائن لضرورة المادة اذ الشمس اذا تبخرت الماء فخلص البخار الى الجو البارد فلما برد صار ماءً ثقيلاً فنزل ضرورة فاتفق ان يقع في مصالح فيظن ان الامطار مقصودة لتلك المصالح وليس كذلك بل لضرورة المادة .

ومنها ان الطبيعة الواحدة تفعل افعالاً مختلفة مثل الحرارة فانها تحل الشمع وتغمد الملح وتسود وجه القصار وتبيض وجه الثوب فهذه حجج القائلين بالاتفاق .

وضع صدر الدين اولاً مقدمة في دحض حجج هذا المذهب مفادها ان الامور الممكنة على اربعة اقسام (١) الدائمي وهو يوجد بعلة ولا يعارضه معارض حركة المنظومة الشمسية . ثلاً (٢) والاكثرية وهو قد يعارضه كالنار في اكثر الامر تحرق الخشب وهو يتم بشرط عدم المعارض سواء كان طبيعياً او ارادياً فان الارادة مع التصميم وتهبؤه للحركة وعدم مانع للحركة وناقض للمزمنة وامكان الوصول الى المطلوب فيبين انه يستحيل ان

لا يوصل اليه - (٣) ما يحصل بالتساوي كقعود زيد وقياه - (٤) ما يحصل نادراً او على الأقل كشكون اصبع زائدة اما ما يكون على الدوام او على الاكثر فوجودهما لا يكون بالاتفاق لان الاتفاق معناه ان لا يخضع الشيء للنظام المستمر او الاكثر والثالث والرابع قد يكونان باعتبار ما واجبا اي خاضعا لناموس لا يتغير مثل ان يشترط ان المادة في تكون كف الجنين ففُتلت عن المصروف عنها الى الاصابع الخمس والقوة الفاعلة صادفت استعداداً تاماً في مادة طبيعية فيجب ان يتخلق اصبع زائدة فعند هذه الشروط يجب تكون الاصبع الزائدة ويكون ذلك ايضا من باب الدائم بالنسبة الى هذه الطبيعة الجزئية وان كان نادراً قليلاً بالقياس الى سائر افراد النوع فاذا حقق الامر في تكون الامر الاقل انه دائم بشروطه واسبابه ففي ضرورة المساوي اكثرياً اودائماً بملاحظة شروطه واسبابه لم يبق ريبه فالامور الموجودة بالاتفاق انما هي بالاتفاق عند الجاهل باسبابها وعللها واما بالقياس الى سبب الاسباب والاسباب المكتشفة فلم يكن شيء من الموجودات اتفاقاً كما وقع في السنة الحكماء الاشياء كلها عند الاوائل واجبات فلو احاط الانسان بجميع الاسباب والطل حتى لم يشذ عن علمه شيء لم يكن عنده شيء موجوداً بالاتفاق فان عثر حافر بئر على كنز فهو بالقياس الى الجاهل بالاسباب التي ساقط الحافر الى الكنز اتفاق واما بالقياس الى من احاط بالاسباب المؤدية اليه ليس بالاتفاق بل بالوجوب فقد ثبت ان الاسباب الاتفاقية حيث يكون لاجل شيء الا انها اسباب فاعلية بالعرض والغايات غايات بالعرض وربما يتأدى السبب الاتفاقي الى غايته الدائمة كالحجر الهابط اذا شج ثم هبط الى مهبطة الذي هو الغاية الدائمة وربما لا يتأدى الى غايته الدائمة بل اقتصر على الاتفاقي كالحجر الهابط اذا شج ووقف في الاول يسمى بالقياس الى الغاية الطبيعية سبباً ذاتياً وبالقياس الى الغاية المرضية سبباً اتفاقياً وفي الثاني يسمى بالقياس الى الغاية الدائمة باطلاً فاذا تحقق ذلك فقد علم ان الاتفاق غاية عرضية لامر طبيعي او ارادي او فسري ينتمي الى طبيعة او ارادة فتكون الطبيعة والارادة أقدم من الاتفاق لذاتيهما فاما لم يكن اولاً امور طبيعية لو ارادية لم يقع اتفاقاً فالامور الطبيعية والارادية متوجهة نحو غايات بالذات والاتفاق طرأ عليها اذا قيس اليها من حيث ان الامر الكائن في نفسه غير متوقع عنها اذ ليس دائماً ولا اكثرهاً لكن يلزم ان يكون من شأنها التأدية اليها ثم اخذ في

دحض حجج الاتفاق على التفصيل : دحض الحجة الاولى بان الطبيعة اذا عدت الروية ولا يستلزم او يوجب ان يكون الفعل الصادر عنها غير متوجه الى غاية فان الروية لا تجعل الفعل ذا غاية بل انما يتميز الفعل الذي يختار ويصنعه من بين أفعال يجوز اختيارها . ثم يكون لكل فعل من تلك الأفعال غاية مخصوصة يلزم تأدي ذلك الفعل اليها لذاته لا بجعل جاعل حتى لو قدر كون النفس مسئلة عن اختلاف الدواعي والصوارف لكان يصدر عن الناس فعل على نهج واحد من غير روية كما في الآماك فان الافلاك سليمة عن البواعث والعوارض المختلفة فلا جرم ان تكون أفعالها على نهج واحد من غير روية وما يؤيد ذلك ان نفس الروية فعل ذو غاية وهي لا تحتاج الى روية أخرى .

وايضاً ان الصناعات لا شبيهة في تحقق غايات لها ثم اذا صارت ملكة لم يحتاج في استعمالها الى الروية بل ربما تكون مانعة كالكتاب الماهر لا يروي في كل حرف وكذا المواد الماهر لا يفكر في كل تقرة . واذا روى الكاتب في كتبه حرفاً والمواد في نقره يتبلد في صناعته فللطبيعة غايات بلا قصد وروية .

ودحض الحجة الثانية بان الفساد في هذه الكائنات تارة لعدم كالاتها وتارة لحصول موانع وارادات خارجة عن مجرى الطبيعة . اما الاعدام فليس من شرط كون الطبيعة متوجهة الى غاية ان تبلغ اليها فالموت والفساد والذبول كل ذلك لتصور الطبيعة عن البلوغ الى الغاية (وما هنا سر ليس هذا المشهد موضع بيانه) واما نظام الذبول هو ايضا متأد الى غاية وذلك لان له سببين احدهما بالذات وهو الحرارة والآخر بالعرض وهو الطبيعة ولكل منهما غاية فالحرارة غايتها تحليل الرطوبات فتسوق المادة اليه وتقيسها على النظام وذلك للحرارة بالذات والطبيعة التي في البدن غايتها حفظ البدن ما امكن بامداد بعد امداد ولكن كل مدد قال يكون الاستمداد منه اقل من المدد الاول . فيكون نقصان الامداد سبباً لنظام الذبول بالعرض والتحليل سبباً بالذات للذبول وفعل كل واحد منهما متوجه الى غاية ثم ان الموت وان لم يكن غاية بالقياس الى بدن جزئي فهو غاية بالقياس الى نظام واجب لما أعد للنفس من الحياة السرمدية وكذا ضعف البدن وذبوله لما يتبعها من رياضات النفس وكسر قواها البدنية التي يسببها تستعد للآخر على ما يعرف في علم النفس . واما الزيادات فهي كائنة لغاية ما فان المادة اذا فضلت أفادت الطبيعة

الصورة التي تستحقها ولا يعطى لها كما علمت فيكون فعل الطبيعة فيها بالغاية وان لم يكن .
 غاية للبدن بمجموعه ونحن لم ندع ان كل غاية لطبيعة يجب ان يكون غاية لغيرها . واما
 ما نقل في المطر فمنوع بل السبب فيه أوضاع سماوية تلحقها قوايل واستعدادات ارضية
 للنظام الكلي وانفتاح الخيرات ونزول البركات فهي أسباب آهية لها غايات دائمة اواكثرية
 في الطبيعة .

ودحض الثالثة بان القوة المحركة لها غاية واحدة هي احالة المحترق الى مشاكلة جوهرها
 واما سائر الافاعيل كالعقد والحل والتسويد والتبييض وغيرها فانما هي توابع ضرورية
 وصنعتهم اقسام الضروري الذي هو احدى الغايات بالعرض .

وقد ذكر في كتاب الشفاء ابطال مذهب انبازقليس ببيانات مبنية على المشاهدات
 وشواهد موصحة ولذلك حمل بعضهم كلامه في البخت والاتفاق على انه من الرموز والتجوزات
 او انه مخترق عليه لدلالة ما تصفحه ووجده من كلامه على قوة سلوكه وعلو قدره في العلوم
 ومن جملة تلك الدلائل الواضحة ان البقعة الواحدة اذا سقطت فيها حبة برّ وحبة شعير
 أنبت البرّ برّا والشعير شعيراً فلم ان صيرورة جزء من الارض برّا والآخر شعيراً لاجل
 ان القوة الفاعلة تحركها الى تلك الصور بالضرورة للمادة لتشابهها ولو فرض ان اجزاء الارض
 مختلفة باختلافها ليس بالماهية الارضية بل لان قوة في الحبة افادت تلك الخاصية لذلك
 الجزء الارضي فان كانت افادت تلك الخاصية خاصة أخرى سابقة عليها لزم التسلسل
 وان لم يكن كذلك كانت القوة المودعة في البرّة لذاتها متوجهة الى غاية معينة والا فلم
 لا ينبت الزيتون برّا والبطيخ شعيراً ؟

(نظرته في حى المادة وعشق الهبولى) : اذا ألقيت نظرتك في كتب الفلسفة
 ألقيت بين الآراء الفلسفية المختلفة رأياً لبعض الفلاسفة القدماء وهو ان للهبولى شوقاً
 الى الصورة وكان هذا الرأي مجملًا ومبهمًا لم يوضح المراد منه ونهايك ان مثل الشيخ الرئيس
 ابن سينا الفيلسوف اعترف بانه تعمّر عليه فهم معنى شوق الهبولى الى الصورة ولذلك
 كان هذا الرأي موضع شك وارتباب بينهم حتى تفرقت الفلاسفة فيه الى نافر .

احتج في نفيه بادلة لا تنفي من الحق شيئاً وشاك لم تقنع نفسه بدليل النفي والاثبات
 ومثبت أنار برهانه في اثباته ونحن نورد كلام الرئيس ابن سينا المتضمن لدليل النفي

وشكه فيه ايضا كما لرأي صدر الدين قال ^(١) : وقد بذكر حال شوق الهيولي الى الصورة وتشبيهها بالانثى وتشبيه الصورة بالذكر وهذا شيء لست أفهمه . اما الشوق النفساني فلا يختلف في ملبه عن الهيولي . واما الشوق التسخيري الطبيعي الذي يكون انبعثاته على سبيل الانسياق كما للحجر الى الاسفل ليستكمل بعد نقص له بعد في اینه الطبيعي فهذا ايضا بعيد عنها ولقد كان يجوز ان يكون الهيولي مشتاقا الى الصورة لو كان هناك خلو عن الصورة كلها او ملال صورة قارنتها او فقدت القناعة بما يحصل له من الصور المكمل اياها نوعا وكان لها ان تحرك بنفسها الى اكتساب الصورة كما للحجر في اكتساب الاين (الانتهاء) (خ ل) ان كان فيها قوة محركة وليست خالية عن الصور كلها ولا يليق بها الملل للصورة الحاصلة فتعمل في نقضها ورفضها فان حصول هذه الصورة ان كان موجبا للملال لنفس حصولها وجب ان لا يشتاق اليها وان كانت لمدة طالت فيكون الشوق عارضا لها بعد حين لا امرا في جوهرها ويكون هناك سبب يوجهه ولا يجوز ان يكون ايضا غير قنعة بما يحصل بل مشتاقا الى اجتماع الاضداد فيها فان هذا محال والمحال ربما ظن انه ينساق اليه الاشتياق النفساني واما الاشتياق التسخيري فانما يكون الى غاية في الطبيعة المكمل والغايات الطبيعية غير محالة ومع هذا فكيف يجوز ان يتحرك الهيولي الى الصورة وانما تأتينا الصورة الطارئة من سبب يبطل صورتها بالموجودة لا لأنه يكتسبها بحركتها ولو لم يجعل هذا الشوق الى الصورة المقومة التي هي كالات اولى بل الى الكالات الثانية اللاحقة لكان تصور معنى هذا الشوق من المتعذر فكيف وقد جعلوا ذلك شوقا لها الى الصورة المقومة .

قال صدر الدين في اول كلامه ان رأي شوق الهيولي الى الصورة مبنى على المكاشفات النورية والبراهين اليقينية بعد تصفية الباطن بالرياضات .

ثم قال بعد كلام الرئيس المذكور اني لاجل محافظتي على التأدب بالنسبة الى مشايخي في العلوم واساتيدي في معرفة الحقائق لست اجد رخصة من نفسي في كشف الحقيقة فيما اعترف مثل الشيخ الرئيس عظم الله قدره في الثابتين العقلية والمثالية بالعجز عن دركه

والعسر في معرفته بل كنت رأيت السكوت عما صكت عنه اولى والاعتراف بالعجز عما عجز فيه لصعوبته وتعسره اخرى وان كان الامر عندي واضحاً ومنقحاً حتى اقترح على بعض اخواني في الدين واصحابي في ابتغاء اليقين ان اوضح بيان الشوق الذي اثبته افخم الحكماء القدماء واكابر العرفاء من الاولياء في الجوهر الهولائي واكشف قناع الاجمال عما اشاروا اليه واستخرج كنوز الرموز فيما ستروه وافصل ما اجملوه واظهر ما كتموه من التوقان الطبيعي في القوة المادية فالزماني اسعافه لشدة اقتراحه والجأني في انجاح طلبته لقوة ارتياحه فاقول من الله التأييد والتسديد : انه لا بد من وضع اصول لتحقيق هذا المقام تمهيداً وتأسيساً .

(١) ان الوجود حقيقة واحدة عينية ليس بمجرد مفهوم ذهني ومعتقد ثائوي كما زعمه المتأخرون وان الاختلاف في مراتبه وافراذه ليس بامور فصلية او عرضية بل بتقديم وتأخر وكال وتقص وشدة وضعف وان صفاته الكمالية من العلم والقدرة والارادة هي عين ذاته لان حقيقة الوجود وسنخه وتجوهره مبدأ لسائر الكمالات الوجودية فاذا قوي الوجود في شيء من الموجود قوي معه جميع صفاته الكمالية واذا ضعف ضعفت .

(٢) ان حقيقة كل ماهية هي وجودها الخاص الذي يوجد به تلك الماهية على الاستبعاد وان المحقق في الخارج والفائض عن العلة لكل شيء هو نحو وجوده . واما السمي بالماهية فهي انما توجد في الواقع وتصدر عن العلة لا لذاتها بل لانتمادها مع ما هو الموجود والفائض بالذات عن السبب والاتحاد بين الماهية والوجود على نحو الاتحاد بين الحكاية والحكي والمرآة والمرئي فان ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشيخ ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(٣) ان الوجود على الاطلاق مؤثر ومشوق ومشوق اليه واما الآفات والعيانات التي تترأى في بعض الموجودات فهي اما راجعة الى الاعدام والقصورات وضعف بعض الحقائق عن احتمال النحو الافضل من الوجود . واما انها ترجع الى التصادم بين نحوين من الوجود في الاشياء الواقعة في عالم التضايق والتصادم والتعارض والتضاد .

(٤) ان معنى الشوق هو طلب كمال ما هو حاصل بوجه وغير حاصل بوجه فان العادم لامر ما رأساً لا يشنقه ولا يطلبه اذ الشوق للمعدم والمحفى والطلب للجهول المطلق

مستحيل وكذا الواجد لا مريد ما لا يشاقه ولا يطلبه لاستحالة تحصيل الحاصل انتهى .
وعلى مذهبه ان الوجود الكامل الذي لا نقص فيه هو الله وهو على ذلك لا يطلب شيئاً وينبغي ان يشاق اليه الوجود الذي احتمل بواسطة حوصلة ذواتها ووعاء وجوداتها مرتبة دون مرتبة الواجب اي مرتبة ناقصة وقال اذا تمهدت هذه الاركان والاصول فنقول اما اثبات الشوق في الهيولي الاولى فلان لها مرتبة من الوجود وحظاً من الكون كما اعترف الشيخ الرئيس وغيره من محصلي اتباع المشائين ومرتبتهما في الوجود مرتبة ضعيفة وعبرة عن قوة وجود الاشياء الفائضة عليها المتحدة بها اتحاد المادة بالصورة . في الوجود واتحاد الجنس بالفصل في المهية واذا كان لها نحو من الوجود وقد علم بحكم المقدمة الاولى ان سنج الوجود واحد ومتحد مع العلم والارادة والقدرة من الكمالات اللازمة للوجود ايها تحقق وكيفما تحقق فيكون لها نحو من الشعور بالكمال شعوراً ضعيفاً على قدر ضعف وجودها الذي هو ذاتها وهويتها بحكم المقدمة الثانية فيكون لاجل شعورها بالوجود الناقص لها طالبة للوجود المطلق الكامل الذي هو مطلوب ومؤثر بالذات لجميع بحكم المقدمة الثالثة . ولما كان بحكم المقدمة الرابعة كل ما حصل له بعض الكمالات ولم يحصل له تمامه يكون مشتاقاً الى حصول ما يفقد منه شوقاً بازاء ما يجازي ذلك المفقود ويطابقه وطالباً انتميم ما يوجد فيه لحصول ذلك التمام فيكون الهيولي في غاية الشوق الى ما يكمله ويتممه من الصور الطبيعية المحصلة اياها نوعاً خاصاً من الأنواع الطبيعية .

(ابضاح لهذا الرأي) : يتم وضوح هذا الرأي بان تذكر معنى الهيولي المستعمل في الفلسفة الاغريقية وهي لفظ يوناني معناه الاصل والمادة .

وعرفه الرئيس ابن سينا في رسالة الحدود بقوله : الهيولي المطلقة هي جوهر ووجوده بالفعل انما يحصل بقبول الصورة الجسمية بقوة فيه قابلة للصور وقال ايضاً في حدة المادة ان المادة قد يقال اسماً مرادفاً للهيولي وهي تطلق في الفلسفة الاغريقية والاسلامية على أصغر ذرة من المادة وهي التي يطلق عليها العلم الحديث بهيئات او (اقوم) وهي الذرة الصغيرة التي لا تراها العين المجردة لصغرها . يقول ابن رشد الفيلسوف في كتابه ما بعد الطبيعة (الهيولي) الاولى غير مصورة والا لا تحقق في عالم المادة لما لا صورة له ولذلك قال الرئيس في كلامه السابق لا خلوة لها من الصورة فاذا تحقق هذا فروح هذا المذهب

الفلسفي . ورأى صدر الدين ان ذرات المادة مطلقاً المعبر عنها بالمهيولى ذات شعور وحس لان لها حظاً من الوجود والوجود نفسه كما تحقق في الاصل الاول الذي مهده صدر الدين له متحد مع العلم والارادة والقدرة اينما ظهر في أصغر ذرة في المادة او اكبر جرم من الفلك فلها نحو من الشعور بالكمال كما صرح في كلامه وهذا الرأي هو نفس رأي (جاجاديس بوز) العالم النبائي الهندي في احساس الجماد والنبات وان المادة سواء اكان انساناً عاقلاً ام حديداً جامداً ام نباتاً او صخراً تحس .

اذا كشف بوز حس المادة بقوة جهازه (الكوسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً يخمسين الف الف ضعف فتقوى جهاز دماغ هؤلاء الفلاسفة الذين ذهبوا بهذا المذهب وسعة فكرهم لا يقل عن قوة جهاز (بوز) والفضل بين فلاسفة الاسلام في اثارة برهات هذا الرأي لصدر الدين وهو الفيلسوف الاسلامي الوحيد الذي اطلع هذا النور في سماء العلم والعجب ان مبنى رأي العالمين صدر الدين وبوز شي واحد يقول بوز في احدي محاضراته عندما شاهدت هذه المشاهدات وجربت ضروب التجارب المختلفة وقعمت حس المادة ورأيت فيها وحدة شاملة بنطوبية فيها كل شي ورأيت كيف ان الذرة ترنح في موجات الضوء وكيف ان ارضنا تعج عجيجاً بالحياة وتلك الشمس المتسعة التي نضي فوقنا عندئذ ادركت قليلاً من منزلة تلك الرسالة التي بشر بها اصلافي منذ ثلاثين قرناً على شطوط نهر (الكنج) وم اولئك الذين لا يرون في جميع الظواهر المتغيرة في هذا الكون سوى واحد فقط اولئك وحدهم يعرفون الحقيقة الازلية .

ويقول صدر الدين ان الوجود حقيقة واحدة والاختلاف بين افراده ومراتبه ليس بتمام الذات والحقيقة بل بتقدم وتأخر وشدّة وضعف وكال ونقص وان الصفات الكمالية من العلم والقدرة والشعور والارادة عين ذاته .

فنصيب الوجود الضعيف وذرة المسادة من العلم والشعور والارادة على قدر وجوده ونصيبه من نفس الوجود .

(خاتمة في رأيه في العشق) : بحث في العشق وجعل عنوان البحث قوله فصل في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للاوجه الحسان . وذكر اختلاف الآراء في حسنه وقبحه

وهل هو فضيلة او رذيلة . ثم قال والذي يدل عليه النظر الدقيق والمنهج الاثني وملاحظة الامور عن اسبابها الكلية ومبادئها العالوية وغاياتها الحكيمية ان هذا العشق أعني الالتذاذ الشديد بمحسن الصورة الجميلة المفرطة لمن وجد فيه الشرائع الطيبة وناسب الاعضاء وجودة التركيب لما كان موجوداً على نحو وجود الامور الطبيعية في نفوس اكثر الامم من غير تكلف وتصنع فهو لا محالة من جملة الارضاع الالهية التي يترتب عليها المصالح والحكم فلا بد ان يكون مستحسناً محموداً ولا سيما قد وقع من مباد فاضلة لاجل غايات شريفة . اما المبادي فلانا نجد اكثر نفوس الامم التي لها تعليم العلوم الدقيقة والصنائع الطيبة والآداب والرياضات مثل اهل فارس واهل العراق واهل (الشام) والروم وكل قوم فيهم العلوم الدقيقة والصنائع الطيبة والآداب الحسنة غير خالية عن هذا العشق الذي منشؤه استمسان شرائع المحبوب ونحو لم نجد احداً ممن له قلب لطيف وطبع رقيق بذهن صاف ونفس رقيقة خالياً عن هذه المحبة في اوقات عمره لكن وجدنا مائر النفوس التليظة والقلوب القاسية والطبائع الجافية من الاكراد والزنج خالية عن هذا النوع من المحبة .

وقال وبما ان هذه الرغبة والمحبة مودعة نفوس اكثر العلماء والظرفاء فلا بد لها من غاية وجعل من غاية العشق تعليم الصبيان والعلمان العلوم الجزئية كالنحو واللغة والبيان والهندسة وغيرها والصنائع الدقيقة والآداب الحميدة والاشعار الطيبة الموزونة والنغفات للطبسة وتهذيبهم بالاخلاق الفاضلة ومائر الكمالات النفسانية فهذا العشق بما فيه تكميل النفوس النافسة وتهذيبها من فائدة حكيمية وغاية صحيحة لا بد ان يكون معدوداً من الفضائل والحسنات لا من الرذائل والسيئات .

وفي الانسان اثر جمال الله وجلاله واليه الاشارة في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقسم العشق قسمين حقيقي ومجازي والاول هو محبة الله وصفاته والعاله من حيث هي . والثاني ينقسم الى تفاني وحيواني الثاني سببه فرط الشهوة الحيوانية ومبدؤه شهوة بدنية وطلب لذة بهيمية ويكون اكثر اعجابه بظاهر المشوق ولونه واشكال اعضائه لانها امور بدنية وهو لا بعد فضيلة .

والاول صبه استحضات شمائل المحبوب المعشوق وجودة تركيبة واعتدال مزاجه وحسن اخلاقه ونساسب حركاته وافعاله ونعته ودلاله ومبدئه مشاكلة نفس العاشق والمعشوق في الجوهر ويكون اكثر اعجابه بشمائل المعشوق لانها آثار صادرة عن نفسه فهذا العشق يرقق القلب ويذكي الذهن وينبه النفس على ادراك الامور الشريفة وقال : ولاجل ذلك امر المشايخ (اسمة الصوفية) مرادهم في الابتداء بالعشق وقيل العشق العفيف اولى سبب في تلطيف النفس وتزوير القلب وفي الاثر ان الله جميل يحب الجمال . ثم قال ينبغي استعمال هذه المحبة في اواسط السلوك العرفاني وفي حال ترقيق النفس وتزيتها من نوم الغفلة ورقة الطبيعة .

وأما عند استكمال النفس بالعلوم الالهية وصورتهما عقلاً بالفعل محيطاً بالعلوم الفلكية ذات ملكة الاتصال بعالم القدس فلا ينبغي لها عند ذلك الاشتغال بعشق هذه الصورة المحسنة المحمية والشمائل اللطيفة البشرية لان مقامها صار ارفع من هذا المقام . وسرد الاقوال في ان العشق هل هو فضيلة او رذيلة او مرض :

ثم قال ومنهم من قال ان العشق هو افراط الشوق الى الاتحاد واستبعاد هذا الرأي ثم قال ولما كانت العشق من آثار النفوس فالإتخاذ بصير كما بينت في مباحث العقل والمعقول إتخاذ النفس العاقلة بصورة العقل واتخاذ النفس الحساسة بصورة المحسوس بالفعل فعلى هذا المعنى يصح صيرورة النفس العاشقة لشخص متخذة بصورة معشوقها وذلك بعد تكرير المشاهدات ونوارد الانظار (النظرات) وشدة الفكر والذكر في أشكاله وشمائله حتى يصير ممثلة صورة حاضرة مندرجة في ذات العاشق وهذا ما أوضحنا سبيله وحققنا طريقه .

وقال ابن العشق بالحقيقة هو الصورة الحساسة وهي المعشوقة بالذات لا الامر الخارجي . وقال اذا تبين ووضح اتحاد العاقل بصورة المعقول واتحاد الجوهر الحساس بصورة المحسوس فقد صح اتحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفترق بعد ذلك الى حضور جسمه والاستفادة من شخصه كما قال الشاعر :

انا من أهوى ومن أهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرني أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا

وخصص قسماً من العشق وهو عشق الآله الذي هو العشق الحقيقي بالعلماء المتأهلين
المتفكرين في حقائق الوجود وهم المشار اليهم في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) .
وهناك نبض عرقه البانتيسمي وقال فانه سبب الحقيقة ما يجب الا نفسه لا غيره
فالمحب والمحجوب شيء واحد في الطرفين .

ونسب رضا قليخان هدايت هذا الرباعي اليه :

افان كه ره دوست گزيده ندمم در كوي شهادت ارميد ندمم
در معرکه در كون فتح از عشق است هر چند سپاه او شهيد ندمم
حاصل معنى الرباعي ان الفتح في النشأتين الدنيوية والاخرية للعشق وان كان
جنده صريعاً في معركة الغرام اه .
ابو عبد الله الزنجاني
عضو المجمع العلمي

(المجمع) اذا كان في هذه الرسالة غلط بعد العناية بتصحيحها فليس هو من الطابع
ولا من المؤلف بل من تليد المؤلف الذي نسخ له اصول رسالته .

العلامة السيد مسعود الكواكبي



نسبه ونشأته — هو محمد مسعود ابوالسعود ابن الشيخ احمد بهائي بن محمد مسعود ابن الحاج عبد الرحمن ابن الحاج محمد بن محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد ابن احمد بن يحيى بن محمد الشيخ ابي يحيى الكواكبي دفين الجامع المعروف به في محلة الجلوه الصغرى ابن يرهان الدين ابراهيم بن علاء الدين علي ابن شيخ المشايخ والعارفين صدر الدين موسى الاردبيلي ابن الشيخ حسني الدين اسحاق الاردبيلي ابن الشيخ امين الدين جبريل بن الشيخ صالح ابن الشيخ ابي بكر قطب الدين احمد حيدر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ همد الحافظ ابن الشيخ عوض الخواص ابن الشيخ فيروز شاه البخاري ابن الشيخ محمد المهدي ابن بدر الدين حسن مشرف شاه ابن ابي القاسم محمد بن ثابت بن

حسين بن احمد بن الامير داود بن علي بن الامام موسى الثاني ابن الامام ابراهيم المرتضى
ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي
زين العابدين بن الامام الحسين السبط ابن الامام علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ورضي عنهم . وآل الكواكي قطنوا حلب منذ خمسة قرون وانجبوا اعلاماً
في العلم والفضائل .

ولد السيد مسعود في الثلاثين من شعبان سنة احدى وثمانين ومائتين والفرس وحفظ
نحو النصف من القرآن العظيم وقرأ العلوم العربية والمنطق والفقه الحنفي على والده وعلى
الشيخ محمد الكحيل والشيخ عبد القادر الحمصي وتعلم مبادئ التركية والرياضيات
واللسان الفرنسي في المدرسة الرشدية الرسمية بحلب ثم استزاد من الفرنسية قراءة
وكتابة على معلمين مخصوصين اكب على المطالعة فأكمل التركية وحصل من الفنون العصرية
مثل الطبيعيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ والهيئة على حظ وافر وتعلم الخط عند الشيخ
محمد العريف في المدرسة الشرفية حينما كان يعلم فيها وبرع في انواعه الثلاثة وبالممارسة
تلم الخط الفارسي والديواني ثم سمى نفسه الى تعلم الخط العبراني والرومي والارمني .

وظائفه واعماله — كانت اول وظيفة وظف لها وظيفة معاون محرر المقاولات وذلك
في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ وفي غرة جمادى الثانية من سنة ١٣٠١ عين الى ترجمة
محكمة التجارة . وفي ١٧ من المحرم من سنة ١٣٠٨ رقي الى رئاسة الكتاب فيها . وفي ١٣
من ربيع الاول سنة ١٣١٢ طلب الى الاستانة وهناك اقترح عليه انشاء جريدة تدعى
(استقامت) امر السلطان عبد الحميد الثاني باصدارها باللغة العربية والتركية لتدافع
عن ادارته فذهب واجتهد في التوصل من هذا التكليف .

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣١٤ عين مرة ثانية الى رئاسة الكتاب في محكمة التجارة
وبقي الى ٢ ربيع الاول سنة ١٣١٩ وعين عضواً في هيئة تدقيق المؤلفات في نظارة المعارف
الى ان الغيت هذه الهيئة باعلان الدستور العثماني . وفي سنة ١٣٢٦ صدر الامر بافتتاح
مجلس النواب العثماني وكان المترجم في مقدمة من توجهت الانظار لانتخابه وذلك لما علم من
مقدرته وكفاءته واستقامته فانتهى نائباً عن الشهاب . وكان من اعضاء الحزب الحر المعتدل

ثم عند الغاء هذا الحزب وتأليف حزب الحرية وادئتلاف كان من اعضاءه وصدر باسمه بضعة اعداد من جريدة للحزب دعيت (تقديرات) ثم الفتها حكومة الاتحاديين وبقي السنين الاربع التي هي الدورة الاولى . وفي ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ عين نقيباً لاشراف حلب وبقي فيها الى غاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ .

وعلى اثر خروج الدولة التركية من حلب وحدث محكمتا الحقوق والجزاء فجعلنا محكمة واحدة وانتخب الى رئاستها فلم يقبلها ثم عين مديراً للاوقاف في ٢٩ محرم سنة ١٣٣٧ فبقي فيها عشرين يوماً واستمعى وكان اثناءها قد انتخب الى رئاسة نادي العرب فبقي فيها نحو ستة اشهر ثم تجرد عن كل عمل .

وفي سنة ١٩٢٣م انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وكان يعهد اليه النظر في بعض الكتب المطبوعة التي ترد الى المجمع فيكتب عليها كتابة خبير بصير و يبين كثيراً مما وقع فيها من الاغلاط مما يدل على نضله من اللغة والادب . وفي شعبان سنة ١٣٤٠ اجتمعت جمعية من المفكرين فانخبته في اثني عشر للدائرة فيما يجب عمله اصلاحاً للحالة الوطنية فقرروا مطالب ثلاثة وكتبوها فوق عليها اهل الطبقة الاولى والثانية من الحليين وكان لها تأثير بتوحيد سورية بعد انفريقها الى دول . وفي الشهر المذكور اجتمع كبار متولي الاوقاف واسسوا نقابة للتولين فانخب للهيئة الادارية . ولما تألفت حكومة الاتحاد في ذي الحجة من هذه السنة عين كاتماً لاسرار الرئاسة فبقي الى جمادى الثانية من سنة ١٣٤١ ثم تقلد عضوية محكمة التمييز في دمشق فقام باعبائها احسن قيام وقد جمع الى الاستقامة وشرف النفس دقة النظر وسرعة الخاطر وعلو الهمة ولم يزل في هذه الوظيفة الى ان صرف عنها بانقضاء محكمة التمييز باسمها وذلك في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ و ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٩ وعين قاضياً لحلب فابى ولزم بيته .

بعض صفاته العلمية — نولى مترجماً خطابة جامع اوعليك منذ سنة ١٣٠٥ ولم يكن مسلكه في الخطبة ملك الجمهور من تلاوة بعض المواضع المدونة المسجدة التي حفظها الناس بل كان في كل جمعة يخطب في موضوع اجتماعي له مناسبة بما عليه الناس من عادة صيئة فلذلك كان المستمعون يلتفون الى خطبته السمع .

وله كثره شعر لطيف . نسج قليل التكلف فيه بعيد عن الألفاظ الغريبة يتوخى
ان يفهمه العوام بسهولة وهو مجموع في ديوان . فمن نظمه في مقام قصيدة غزلية :

قسماً بادعج مقلتيه وجفنيه هذا هو الشعر الحلال بعينه
ان كان من شأن الغزال نفوره فهل القتال يعرف من شأنه
ومنها : لاشي أثقل في الهوى من عاذل قد راح مهتماً بما لم بعنه
ومنها : هوليس بدري ما الهوى وانا الذي قد زدت في شرح الهوى عن مثنه
ان كان غيري عاصراً خمر الهوى فلقد سكرت بصرفه من دنه
وله مطلع قصيدة حكيمه :

ما في زمانك من بحق ينطق فانظر اذا حدثت كيف تصدق
ولقد فشا داء الخيانة في الملا حتى باورعهم غدا لا يوثق
الفوا الفسوق فان يروا ذا عفة تقموا عليه انه لا يفسق
والفخر عندهم لمن هو ذو غنى ان كان ينفق منه او لا ينفق
والناس ما لم تدعهم للملة ما فيهمو الا المحب المشفق
فاذا دعوتهمو لخطب لم يجيد احداً كأن جميعهم لم يخلقوا
من رمت منهم ان نبث بعقله نور الحقيقة قال هذا أحق
وتراه ان حدثه بخرافة يهتز من طرب لما وبصفق
كم من ظلوم ليس بقعده سوى عجز وما يسديه فهو تخلق
فاذا تولى الامر أظهر خلقه وهناك أخلاق الرجال تحقق
ولرب مفساق تراه صوبلجاً فالسر في ان الصوبلج مخلق
ان رمت كشف السرفاملاً كبه وانظر أفسق بعد ام يتصدق
وختمها صكلاً تراه بدم خلق رفاته والكل من ماء السفاهة قد سقوا
وقال على أسلوب الصوفية من قصيدة :

افرحا لي ما ازداد شوقي اوارا فتمام الوصال يوم أوارى
كل حال ما زددت فيه هياما انا منها استغفر استغفارا
حالي في الغرام أعجب حال ليس بدعاً للعقل بي ان يحارا

رام غيري عمن أحب سلواً ورأيت السلوان عنه خساراً
 انا أدعو لحبه كل فرد واذا ما صوأي شارك غاراً
 عشق العاشقون ذاتاً رأوها وانا اليوم أشهد الآثاراً
 كلما ازددت في المحبة قرباً زادني قرب به جوى واستعاراً

وقال وقد اخذ منها شقيقه المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي سبعة أبيات تمثل بها في مطلع كتابه (أم القرى) :

دراك فمن يدنف لعمرك يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فني
 دراك فات الدين يزداد وهنه وقد صار فرضاً رأب هذا التوهم
 هلم الى فرض التماون انه باوهماله اثم على كل مؤمن
 وان الذي الأسياف شادته قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا لآسن
 الى مَ نَمَشي القرب فيما يشيننا حنانيك ان المرء عبد التمرن
 لقد شابتنا نحن الحنيفين ملة مفاسد ما بدعونه بالتحدث
 اذا كانت نبذ الدين يدعى ثقتنا فيا بشما يسري لنا من ثقتن
 ومما اجتنوا منا خلالاً حميدة فثمن سوى مفساهم ليس نجثني
 وكم خصلة للبعض زين ومدحة وفي جنب بعض مطمن اي مطمن
 وقد كانت عاراً تزع ثوب وعمة فما القول ات تقفوهمو بالتدين
 هموا أسرفوا لكن بمشاريعهم ومن بفن رأس المال بفلس ويسجن
 أنرجو واهل العلم أحلاس بينهم شفاء لداك قد عرا الدين مزمن
 وكانت يعد العلم للصدر زينة وما لا به اصلاح عيش ومسكن
 فكان له اهل يوفون حقه بهدي وتلقين وحسن تلقن
 وما هات الا عندما هان نيله وكانت عزيزاً قبل ذا غير هين
 متى كانت هذا العلم ارثاً ومنحة ومن لم يعان العلم يلحد ويلحن
 لقد ذل قوم خدمة العلم عندهم نياط بندي جهل لها غير محسن

وللمترجم به تفسير القرآن الحكيم مكتوب بخط يده على هامش المصحف الشريف الذي

كانت يقرأ به . وله مولد شريف في ١٥ صحيفة سماه المولد المسعودي طبعه في بيروت في المطبعة الاهلية سنة ١٣٣٦ .

وفاته وأخلاقه — ابتدأ به المرض بالتهاب امعاء بسيط لم يدم أكثر من ثلاثة ايام وشفي منه تماماً لكن نوبة جديدة أصابته في الدماغ على اثر التوعك والضعف الذي أصابه من التهاب الامي ، وهذه النوبة تدعى في الطب (تريف دماغى) لبث فيها منغمى عليه لا حس به ولا حركة مدة اسبوع كامل ، ثم توفي ليلة الجمعة خامس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ و ١٩ ايلول سنة ١٩٢٩ ودفن حسب وصيته في اقرب تربة من البيت الذي يقطنه وهي تربة نبي الله ذي الكفل عليه السلام في جبل قاسيون بصالحية دمشق .

كان رحمه الله مربوع القامة حنطي اللو . نحيف الجسم ازج الحاجبين اسود العينين تشفان عن زكاه مفرط وقلب زكي دمث الاخلاق كثير البشر عند الملاقاة متأنياً في اقواله وافعاله يأتيك بفصل الخطاب بعد ترو قليل محبوباً عند الجمهور من المسلمين وغيرهم لحسن سلوكه في كل عمل وليه فلم تكن تطلق حرية الكلام والانتخاب للناس مرة الا وكان في مقدمة من يرشح وينتخب للعمل ولكن لما كان يعقب ذلك تسلط المتسلطين على حرية الناس وعلى المناصب كان ينسحب ولا يزاحم . وكانت محبة للنفع العام لا بدع فرصة يؤمل منها خدمة البلاد الا انتهزها فمن ذلك يوم اعلان الدستور العثماني سنة ست وعشرين وثلاثمائة اذ كان في الاستانة فانه خاف من سوء تفسير الحوادث التي حدثت وعودها على الموضوع بالعكس فاسرع الى كتابة تفاصيل الوقائع في رسائل طويلة يبعث بها الى بعض احبائه ولما رأيت ان فيها تهديئة للافكار جعلت اطبعها واذيعها على الناس في حلب فكان لها احسن وقع لما هو معهود في المترجم من صدق الحديث والوقوف على الحقائق واطمأن الناس اليها وانتصح الكثيرون ممن لم يكونوا يعلمون ما هي الحرية فيظنونها شيئاً من الفوضى وخلع العذار . وكان رحمه الله مثلياً بالنقوى متمسكاً بالدين والصلاح صفة ذاتية له . وحسن المعاملة امر طبيعي فيه . لا ترى فيه شيئاً من العوج الذي عليه بعض ذوي المعرفة او مدعيها من اهل هذا العصر ، مبغضاً لمن كان على هذه الصفة مؤنباً له . بيد انه لم يكن له من الجرأة الادبية ما كان لاختيه المرحوم السيد عبد الرحمن

وقد ليم على صحنه في المجلس النيابي الذي كان انعقد في الامتانة عدة سنوات فاعتذر عن ذلك بايات • وبالجمله فقد كان حسنة من حسنات الشهباء • ودرة فريدة في تاج البلاد الشامية كان له هدي السلف وعلم السلف والخلف وهو امام في القانون والشرعية متمكن من الآداب العربية شهدت له مواقفه في جلسات المجمع العلمي ومجلته وفي المجمع انبعثت قريحته العلمية كما انبعثت في محكمة التمييز تدقيقاته الشرعية والمدنية ولا عجب ان عظم الخطب به وفجع به عارفو فضله فقد كانت مثال العالم العامل متميزاً باخلاقه قليل المطامع زاهداً في الظهور رحمه الله عداد حسناته •

محمد راغب الطباخ
عضو المجمع العلمي

فصح وشوارد

راعت الارض وأرعت : كثر فيها المرعى . وأروت : كثر فيها شجر الراء .
 واروضت كثر فيها الرياض . وأحمضت : كثر فيها الحمض وهو ما لمح وامر من
 النبات وهو كفا كفة الابل تأكله عند سآمتها من الخلّة وهي ما حلا من النبات وهو
 كبزما وهي منى شبت من الخلّة مالت الى الحمض فكأنها تهضم به .
 وانملت كثرتم نمائلها والخبيلة هي الشجر الكثير الملتف حيث كان - والموضع
 الكثير الشجر .

وأعفت : كثر عفتها وهو ما صغر من شجر الشوك وقيل هو الطلح والعوج
 والسلم والسيال والسرّح والعرفط والسمُر والشبهان والكنهيل .
 وأعصت : صارت عصية اي كثيرة الغضاء وهو كل شجر يعظم وله شوك وما صغر
 من شجر الشوك فهو المض .

وأشوك : كثر فيها الشوك . وغدّرت : كثر فيها الغدر وهي الحجارة مع الشجر .
 وأنصت : كثر نصيبها وهو نبت سبط من افضل المراعي مادام رطباً فاذا ابيض فهو
 الطريفة فاذا ضخم ويس فهو الحلي .
 وكلاّت وكلاّت وأكلاّت : كثر كلاّها ومثله استكلاّت .
 وأكأت : كثر بها الكم .

وغصبت : كثر فيها الغضا وهو شجر عظيم من الاثل واحدته غضاة وخشبه من
 اصل الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة وهو حسن النار وجمره يبقى زماناً طويلاً
 لا ينطفي . وهو مكان مكلي وارض مكثّة ومكلاّة وارض مقصاب ومقصبة .
 وبهمة . ومفواة اي كثيرة القوة . ووثيقة اي كثيرة العشب موثوق بها .

ومفروءاء اي كثيرة المغاريد وهي ضرب من الكجاة . وغضياء كثيرة الغضا .
 ومعللة كثيرة الصايبان وهو نبات . وملازة كثيرة شجر اللوز . ومألاة كثيرة
 الألاء وهو شجر مر دائم الخضرة . وحليفة كثيرة الخلفاء وهو نبت أطرافه محددة كأنها
 أطراف صنف النخل والخوص ينبت في مغابض الماء والتزوز الواحدة حافة وقيل واحده

حلفاء . وطلع كثيرة الطلع . وحمضة كثيرة الحمض . ومبسطة كثيرة السبط وهو نبات كالذخن مرعى جيد . وخضرة كثيرة الخضرة واليخضور . ومبطخة كثيرة البطيخ . ومدلبة كثيرة الدلب وهو شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر . ومرمنة كثيرة الرمان . ومخاسة : صار النبات عليها كالجلس لكثرت . ومخامة كثيرة المخامة ليس فيها حمض . ومرطبة كثيرة الرطب اي العشب . وشجراء كثيرة الشجر وكذلك الشجرة . والشجيرة والشجرة . والثرء الكثيرة الثمر . ومتانة كثيرة التين . وغضياء كثيرة الغضا . ومذفورة : كثرت فيها البقول الذفراء . ومربال كثيرة الربل . ومُشرية ومُشرية كثيرة الشرس . ومجباء كثيرة الجباء . ومحش ومحشة ومحشة اي كثيرة الحشيش . وعاشبة وعشبة كثيرة العشب . ومنبات كثيرة النبات . وأرسكة كثيرة الاراك . ومجازة كثيرة الجوز .

وقالوا أدبت الارض : كثر دبابها والدبي الجراد والنمل الواحدة دابة . وأذابت صار فيها ذئاب . وأذبت : صارت ذات ذباب . وأفرشت : كثر فراشها . وضبت صارت مضبة . وبرغشت كثر فيها البرغوث . وبتت وبتقت وأبتت كثر بها . وهي ارض محياة اي ذات حيات . ومسبعة اي تكثر فيها السباع . ومدرجة كثر فيها طائر الدراج . ومدبة ذات أدباب . ومدباء ومدبية كثيرة الدبي . ومداكه ومدبكة كثيرة الدبكة . ومذابة فيها ذئاب . وذبوبة ومذبة ومذبذبة ومذبة اي ذات ذباب . ومربعة ذات يرايع . ومربنة ومورنة كثيرة الارانب . ومزبوة كثيرة الزناوير . ومعقرة كثيرة العقارب .

النبيك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

حاجة الحروف العربية الى الاصلاح

كل غيور على اللغة العربية يحس بالحاجة العظمى الى وجوب اصلاح حروفها التي اصبحت عقبة في سبيل ترقية اللغة وسبباً قوياً من اسباب انتشار الأمية بين ابنائها في عصر يقاس رقي امه بعدد القارئین فيها وما ذلك الا لصعوبة تعلمها وانقاس ربط بعضها ببعض اضعف الى ذلك ما يحدثه تنوع تلك الحروف وعدم تناسبها وما توجبه قواعد الخط الفنية من تعدد حروف مطبعيتها حتى تكاد تناهي الاربعمئة علاوة على ضخامة اجسام الحروف فان العادي منها وهو الذي تستعمله الجرائد لا يقل عن ١٨ بنطاً والمسبوك منها على جسم ١٢ بنطاً لا يكاد يقرأ بل لا يكاد يسم السطر منه من غلطة مطبعية وهناك عقبات اخرى كثيرة لا يدركها الا من عانى صف الحروف كتعدد بيوت الصندوق واستحضار الحروف المركبة من حرفين وثلاثة لتلائم قواعد الخط واختيار الحروف المختومة او المفتوحة حسبما تقتضيه الحروف التي تليها كما يقرره الخطاطون والمرتبون الفنيون الى مالا يحصى من تعب على العامل وضياح وقت وزيادة سطور في الصفحات وبذلك تشكل نفقات الطبع وترتفع اثمان الكتب عن مثاول عامة الناس خصوصاً الطلبة والصغار الذين هم اخرج الكل الى المطالعة لتغذية عقولهم ونشئة مداركهم كما أنهم اخرج الناس الى الاقتصاد لقلة ذات ايديهم . وما تقوله عن المطبعة ينطبق ايضاً على الآلة الكاتبة (تايبرايتير) بل هي اولى ان يعتني بها فالتايبرايتير العربية اليوم على ما بذل فيها من جهود وتحسين لا اهمية لها ولا يدفع الناس الى استعمالها الا التقليد والتخفة اذ لا فوائد جوهرية تترتب على استعمالها اكثر مما يقع فيها من الاغلاط للكاتبين المتوسطين في المهارة وهم الاكثر علاوة على قلة جمال حروفها لشذوذها عن قواعد الخط الجميل بسبب اضطرار صانعيها الى اختصارها وصنع حروفها متناسبة مع انها لا تتناسب بطبيعتها . وثالثة الاثافي صعوبة التعلم فيها وكلنا يعلم ان التلامذة بصرف وقت وقفاً غير قليل على تهجئة الحروف وربطها واملائها وفي ذلك ما فيه من ضياع وقت وتعب . . .

ولئن كان آباؤنا استطاعوا ان ينشروا الثقافة العربية ومن جعلتها الحروف العربية في كثير من الامم التي اخضعوها فلأن السلطة كانت بايديهم ولأن حاجات تلك العصور لا تقتضي الاقتصاد في الوقت والمال كما يقتضيه العصر الحالي ولأن الناس كانوا يعيشون بجمال الحروف اكثر مما يعيشون بمجهرها وفائدتها المعتبرة ومن ذا الذي لا يبهره جمال الخط العربي الذي هو تحفة من التحف التي نتجلى فيها الاذواق الشرقية باجمل مظاهرها ولكن الجمال شيء والمصلحة شيء آخر ومن الذي يؤثر الزوجة الجميلة الحاملة على العادية الصالحة الا اذا تبع هواه وشهوته فهذا شيء آخر ، اما وقد تبدل الزمن ودانت دولتنا وذهبت السلطة من ايدينا واصبحنا محكومين بعد ان كنا حاكمين فقد توفرت عوامل اضمحلال تلك الثقافة او التراث المقدس اذا لم تدارك النقص ونما لجه بحكمة واذا لم نستطع زيادة نشرها فلا اقل من ان ندافع عنها وندخل عليها الاصلاحات حتى تظل صالحة للبقاء ، وها قد كثر المبرموت من ابناء اللغة نفسها فكيف بالاجنبي يا ترى ؟ فالعاقل البصير يعذر الكالبيين في تركهم الحروف العربية واستعاضتهم عنها بالحروف اللاتينية وعذرهم انها لا تلائم الوقت الحاضر وهم يحاولون ان يعلموا الشعب التركي بامرءه ولا سبيل الى ذلك لصعوبة الحروف وتعدد تراكيبيها وهي حقيقة يجب ان نعترف بها ونحسب حسابها ونسعى الى تلافيتها لئلا نفقد امة اخرى من الامم التي تستعمل الخط العربي وهناك امة اسلامية غير الترك اخذت تترك الحروف العربية شيئاً فشيئاً ولن يمضي قليل من الزمن حتى نقرض الحروف العربية عندها ونحن لانعلم بها لبعدها عنا وهي امة الملايو فاكثر بنيتها اليوم اخذوا يكتبون بالحروف اللاتينية لان الحكومة الهولندية تشجعهم على ذلك ولها دعاة في كافة انحاء البلاد ولم في وضعية الحروف العربية حجة قوية لدعم آرائهم ونشر دعوتهم ولقد رأيت واحداً من الملايو يكتب بكليهما ولكنه يؤثر الحروف اللاتينية على العربية وعلمت منه ان الناشئة الجديدة كلها على شاكلته وقد قال لي لولا اضطرارهم الى درس القرآن لما كانت هناك حاجة الى تعلم الحروف العربية اصلاً ، فاذا كانت بركة القرآن حالت دون خروج الملايو عن دائرة الخط العربي فماذا يمنع وثني السند الذين اخذوا بترك كون خطهم العربي ويكتبون بخطهم السندي القديم المشتق من الحروف السنسكريتية للأسباب نفسها كما ان كثيراً من مسلمي الهند في داخلية الهند كبنارس وما جاورها يستعملون الحروف الباليندية المشتقة

من القلم السنسكريتي في لغتهم الاوردو وقلها الاصلي عربي ولم في ذلك مطابع وجرائد حتى الكتب الدينية اخذوا يطبعونها بها ماعدا القرآن وبعض المناسك والخط السنسكريتي وما اشتق منه جميل الوضع متناسب الحروف يدعو الى نفسه بنفسه ومع انه لا يخلو من تعقيد وزوائد لا فائدة منها ولكن طريقة تهجته متقنة جداً حتى ان المتعلم الاجنبي لا يجد في نفسه حاجة الى مراجعة معلم ما في النطق بالكلمات بلا خطأ فلا شذوذ في قواعده ولا تشابه بين حركاته فما عليه الا ان يقتبس من القواميس متى اتقن الكتابة والقراءة وقد يفترض على ذلك بان الحروف السنسكريتية تهاضر الستين عدداً ولكن من المعلوم ان مخارج الحروف عند الهنود عديدة فبعض الحروف لها ثلاثة مخارج ولكل مخرج حرف يرمز اليه حتى ان المسلمين اضطروا ان يضعوا عدة علامات او حروف في اللغة الاوردو المكتوبة بالحروف العربية ولست اقصد تحييد الخط السنسكريتي ولكني اخشى ان يكون مصدر خطر على الحروف العربية في الهند أم الملايين من البشر وهو خط حي منتشر كثير الاستعمال مألوف يتعلمه اكثر المسلمين في الوقت الذي نرى فيه مجددي ايران يدعون الى العودة الى استعمال خطهم القديم الفهلوي الميت لبساطته وهذه الفكرة تكاد تملأ ادمغة الناشئة الايرانية ولولا سقوط الملك أمان الله خاں لكادت البلاد الافغانية اليوم أوفي القرب العاجل تحذو حذو الاتراك ، ولقد اسهبت في الموضوع لأبين الخطر المحدق بالخط العربي وسوف يعود غريباً كما بدأ الى اعله هذا اذا لم يمن بحكام طائشين مقلدين او حكومات اجنبية مستعمرة كالحكومة الهولندية فهناك الطامة الكبرى والقضاء المبرم الهائل .

وكثير من الناس الآن يتصور ان في اصلاح الحروف مساماً لشعائر الدين ولو علم ان الخط الذي نستخدمه الآن هو من استنباط الوزير ابن مقلة في القرن الرابع الهجري وان خطي الرقعة والتعليق لم يشنقا الا بعد ذلك بزمان لزال عنه ذلك الوم واصلاح ابن مقلة سبقته عدة اصلاحات على يد ابي الاسود الدؤلي وغيره ومن منا اليوم يستطيع ان يقرأ خطوط القرون التي سبقت ابن مقلة وخاصة ما كان منها في صدر الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه سواء في ذلك القلم المشتق من النبطي او الكوفي ومع ان مطابعتنا في الايام الاخيرة اخذت تستعمل الخط الكوفي احياناً ويستعمله بعض الصحافيين

والناشرين لعنوانات جرائدهم وكتبهم فلا تكاد نتعجزه الا بصعوبة وامعان نظر والانقلاب الذي أحدثه ابن مقلة لم بعده علماء ذلك الوقت خروجاً على الدين والتقاليد القومية وهم اغير عليها منا الآن بل سرعان ما انتشرت قاعدته وطبقت العالم العربي برغم قلة وسائل الانتشار في ذلك الزمن وما ذلك الا لان الناس كانوا في حاجة عظيمة الى الكتابة السهلة البسيطة لارتفاع الدولة وكثرة الاعمال في الخاصة والعامة وكأني بهم كانوا يشعرون بنقص كتابتهم القديمة كما نشعر نحن الآن وبما نون نفس ما نعانيه ونحن لا نحاول ان نترك حروفنا العزيرة والتي هي رمز من رموزنا القومية ومنحرة من مفاخرنا بجمالها الفني البديع ولكن هذا الجمال لا يكفي في عصر يتطلب السرعة والاقتصاد وما علينا الا ان نعبد عملية ابن مقلة بالتحوير والترتيب لنجعلها ملائمة للطبعة والآلة الكاتبة ولنا ايضاً مطلق الحرية في استعمال حروفنا الحالية في المكاتبات والعنوانات . اما المطبعة فيجب ان تضاهي المطابع الاخرى لنتمكن من تجهيزها بالآلات اللينوتيب والمونوتيب المنتجة المفيدة او على الاقل تخفيض عدد الامهات في المسبك العربي فانما مثلاً نجد ان المائة كيلو من الحروف اللاتينية تكفي لترتيب صفحات عديدة من الكتاب او الجريدة بينما هي لا تكاد تكفي لما يوازي ربع مقدارها من الحروف العربية ويمكن تلالي ذلك بما يأتي .

- (١) جعل الحروف ٢٨ حرفاً بسيطاً ونسقتني عن بقية الحروف .
(٢) انت يراعى تناسب الحروف في حجمها حتى نتمكن من صبها على بنط ٩ و ٦ بوضوح وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه .

(٣) نقش بعضها وسبكها بهيئة خاصة حتى يصلح لأوائل الكلمات لحروف الكابيتال اللاتينية وجعل الحروف التي من جسم واحد بعضها امود وبعضها عادي للعنوانات والاعلام وما شاكلها مما هو مصطلح عليه في المطابع الافرنجية .

واقرب الطرق الى تحقيق ذلك جعل الحروف مربعة الشكل ليسهل نقشها ونقشها وتجميعها وتدقيقها وجعل امتدادها افقياً لا عمودياً ليتمكن صبها على البنوط القليلة ومن المعلوم ان الحروف الحالية تتألف من متصلة اولى ووسطى واخيرة ، ومنفصلة فتكون لها اربعة اشكال فلنكتف منها بحروف اليمين وبعض الوسط الحالية ليتمكن وصلها ببعضها ببعض من يمينها ويسارها بعد ان تجمل لها علامات تسبك على حدة لتمييزها في وضعياتها ويمكن فصلها بوضع

اَبْرَجَد ح ز ط ي ر ق س ش م خ ك ع غ و ف ل ه ا و ح د

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجمع العلمي العربي بدمشق الشام

هذا اذا أردنا بحجارة عواطفنا والمحافظة على تقاليدنا واصلاح حروفنا بحيث يحفظ اصلها وتبقى على ترتيبها المعمول به حتى يتم انتشارها بسهولة ويتعود على قراءتها بعد تمرن طفيف ولا تحتاج الى حكومة ننشرها بالمشائق ومحاكم الاستقلال في هذه الامة المتعددة الممالك والدول المتنازعة المختلفة والا فهنا طريقة أخرى ان استعملت قلن يبنى في الامة

ويكثر سواد القراء وتنتشر الجرائد والمطبوعات لرخص أثمانها وتعم العلوم والمعارف وترتقي المدارك . أقول هذا حسب اعتقادي ، وقد يكون مخيفاً مضحكاً ، وقد أكون مخطئاً من حيث لا أعلم ، والعصمة لله وحده .

(الدمام : القطيف خليج فارس) خالد بن محمد النرج

مطبوعات حديثة

خطط الشام

— الجزء السادس —

« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه الممتع هذه الموضوعات :
البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للغلات — المدارس —
الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقدة العظماء — المستشفيات والبيمارستانات — دور
الآثار — دور الكتب — الادبان والمذاهب — الماديات والاخلاق . وعقب على ذلك
بفصل « استدراكات وتصويبات » اودعه بعض ما فاتته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش
فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا تقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا تثرى له
حتى في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لا تعنى بشؤوننا بما ينبغي حاجة الطالب ، والعربية
على قلتها لا تثرى فيها في هذه المباحث الخاصة — ما تثرى في هذا الكتاب من علم جم ،
واحصاء ع ، مجموعاً مبروراً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف
في كثير منها منشأها ومنشأها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الفائرة بما انشأ آباؤنا الاولون من مستشفيات
ومدارس ، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب والآثار ، الى غير ذلك من مقومات الحضارة

والعمران ، رأيت المادة التي تريد مجموعة منسقة متسلسلة . وعمل مثل هذا لا يستطيعه
الرجل قضي ما قضاء الاستاذ من بحث ومطالعة وثقييد ومدارسة .

وتشهد في فصل « العادات والاخلاق » صوراً تمثل لك تقوس اصحابها واخلاقهم .
وفي رأبي ، بل رأي كثير من صرنا بهذا الفصل ان الاستاذ المؤلف في تصويره اخلاق
هذه الفئة من الناس ، وفيها وصفه عامة الصحافة والقائمين بها ، قد ابدع بما ليس بعده
غاية . فجاء هذا الفصل امير هذا الكتاب . وحبذا الاستاذ وهو يرد على من يرون
« السكوت عن المعايير حتى لا يبدو عوارنا لغيرنا » .

« وكنان العلة مدرجة الى الملكة . والتاريخ لا يكتب على الهوى . ولا يملى لارضاء
الناس . وما نخل منصفاً بصيراً الا ويمتدح — وهو مثلنا جد آسف — ان ما اصاب
هذه الديار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا لسوء اخلاق من تولوا من ابناؤها
امرهم . وان من المستحيل بعد ان صرح الحق من محضه ، ان تؤلف الشام كياناً بذكر ونقوم
في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولو اوتيت علم الجرمانيين واللاتنيين ، ورزقت غنى
الانكليز الكسوينيين . مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لا تعالج بالتقويم . ولا يحاول
القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس
وصديقك من صدقك لا من صدقك .

فصله لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا

وهذا كلام حسن ، واحسن منه العمل به مع الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ،
ولا سيما في مصلحة البلاد .

على اننا نأخذ على الاستاذ — وهو الذي يأبى الا ان ندلي برأينا الصريح وننقد
ما نحسبه محلاً للنقد — اشياء منها :

١ — انه استعان في بعض فصول كتابه بنفر من الفضلاء كتبوا في امور حسنها من
اختصاصهم ، فأثبت ما كتبوه على عجزه ويحيره ، وعلى بعده احياناً عن روح الموضوع .
وليس يرد على ذلك ان ما كتب انما كتب باسم صاحبه فاذا كانت تبعة ما كتب على
الكتاب ، فتبعة المؤلف في الانتخاب .

خذ لك مثلاً ما كتب في الاديان والمذاهب ، فلقد كتب اقدم عن اليهود كتابة

نُحصر في التزلف الى المسلمين، والتقرب منهم، واظهارهم مظهر الصديق الحميم . وليس من مثل هذا ، تعرف حقيقة اليهودية ولا سر دينهم .

وكتب احد القساوسة عن الارثوذكسية بعبارة بليغة شائقة ، غير انه تجاوز في بعضها حد الاعتدال ، فرمى خصومه بمستهجن من القول ، كان همه التشنيع عليهم في البحث عن سر الارثوذكسية .

وبحث احد الآباء اليسوعيين عن الكشلكة بحث العالم ، على ما في هذا البحث من فلتات تعصب لا يميزها تاريخ مدني، وانتهى به البحث الى احصاء عجيب استوحاه من نزعات نفسه لامن مجالات النفوس الى غير ذلك من الشؤون التي « كتبت على الهوى وامليت لارضاء الناس » وهو ما نعي عنه الاستاذ في ما نقلناه عنه .

٢ — حبذا لو رجع المؤلف ايضا في بعض عادات دمشق وحلب القديمة الى اصحاب السن العالية ممن شهدوا هذه العادات او عرفوا شيئا عنها كما فعل السيد عبد القادر القباقي في ما كان كتبه عن عادات بيروت ، اذ ان اكثر ما جاء عن عادات هاتين المدينتين دمشق وحلب انما هو عن عادات اليوم لا العادات القديمة .

٣ — جاء في هذا الكتاب عبارات هي اقرب الى الترجمة او الى لغة دوارين الحكومة منها الى أسلوب الاستاذ السهل الممتنع . ووقع في ما كتبه بعضهم اغلاط في اللغة والاملاء كان حقا على الاستاذ ان يصححها لان الكتاب بالجملة كتابه .

٤ — وددنا وجمهوراً من اصدقاء الاستاذ لو انه أسقط الفصل الاخير الذي ترجم فيه نفسه . فلقد ظهر من خلال السطور بل من السطور نفسها انه اراد امرأ غير ترجمة نفسه وغير التاريخ .

هذا بعض ما بدانا . ونحن نشكر للاستاذ ان أحل كئاثنا السابقة في الاجزاء السابقة محل النظر ، فأورد شيئا منها في فصل (الاستدراكات والتصويبات) وقد رد على بعضها رداً ترك امره للقاري .

وما نحن ثني على الاستاذ الرئيس مرة سادسة، لما أسداه الى أمته من الخدمة الصادقة في وضعه لما هذا السفر الجليل .

من اعضاء المجمع العلمي
عارف النكدي

اتحاف اعلام الناس « مجال اخبار حاضرة مكناس »

تأليف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط
سنة ١٣٤٧ - ١٩٢٩ ص ٤٧٠ الجزء الاول

هذا كتاب صادر عن مدينة من مدائن العلم الاسلامي في الغرب الافصى يسر له طلاب البحث . فقد ضم فيه مؤلفه الاستاذ بعض ماله علاقة بمران هذه المدينة وتاريخها ورجالها فكان يجيد الوصف عندما يتخلى عن السجع ويضع رونق الكلام اذا ثبت بالتسجيع وهو قليل . وتكثر الفوائد الملتقطة من تضاعيف صفحات هذه السفر فهو في الحقيقة تاريخ الغرب الافصى السياسي والاجتماعي والادبي . وتاريخ الرجال هو تاريخ السياسة . وبهذا الكتاب عرفنا الحالة الاجتماعية والحركة الادبية في تلك البلاد العربية السحيقة . فالشكر للمؤلف الفاضل الذي نهج بكتابته نهجاً عصرياً في الجملة وحلاه برسوم بعض الرجال والاماكن والوثائق وقدمه الى مولاي السلطان محمد بن يوسف سلطان الغرب . وسيكون لهذا الكتاب الاثر النافع بعد اتمام طبعه من حيث معرفة من ظهروا من الرجال كما كان لكتاب الاستقصا للسلاوي في كشف احوال تلك البلاد السياسية .

م . ك

الاعلام

« تأليف السيد خير الدين الزركلي الجزء الثالث طبع بالمطبعة العربية سنة »

« ١٣٤٧ - ١٩٢٩ وبه انتهى الكتاب فبلغت صفحاته كلها ١١٨٧ »

نكلمنا مرتين في فائدة هذا الكتاب وسرعة مشاغل تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجامعة والاسلام وذكرنا مبلغ عناية الاستاذ المؤلف بالتدقيق . وقد بدأ هذا الجزء بحرف الكاف وانتهى بالياء وفي تراجم بعض المشاهير اختصار زائد ونرجم لبعضهم من المعاصرين تراجم مطولة في الجملة وان كانوا لا يعدون في باب الانتاج العلمي

الا على شيء من التجوز او التكلف . و يزين هذا السفر الذفع كما قلنا في الجزء من الاولين المعارضة بين التاريخ الميلادي والهجري وشكل الاسماء المشكلة من الاعلام والاشارة الى المطبوع او المخطوط من كتب المؤلفين . وهو مكتوب بسلامة عرفت عن الاديب المؤلف بخاء كتابه تحفة لا يستغني عنها باحث يريد الوصول من اهل طريق الى الوقوف على احوال الرجال في الجملة . فالتكرار الجزيل للمؤلف على هذه الخدمة العلمية وعناء يوفق الى اصدار « المستدرک » لنتم به الفائدة .

م . ك

اهداء مكتبة برمتها

سالم السيد ابو الخير الكزبري ادارة المجمع العلمي العربي مكتبة اخيه الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري التي اوصى بها في حياته لدار الكتب الظاهرية وتبلغ (٤٠٠) مجلد وهي تشمل على فنون متنوعة في التفسير والحديث واللغة والادب والتاريخ . منها مائة وخمسة عشر مجلداً مخطوطاً ومائتان وخمسة وثمانون مجلداً مطبوعاً ومن المخطوطات النفيسة خمسة عشر كتاباً منها ما هو محلي بالذهب والقروش البدعية .

(١) جزء عم . بقلم حافظ عثمان الشهير محلي بالذهب وفواصل آياته بالذهب ايضاً
كتب سنة ١٠٥٤ .

(٢) مصحف شريف . بقلم محمد صادق محلي بالذهب ونفيس الجلد كتب سنة ١٢٨٢
(٣) أنعام شريف . محلي بالذهب بقلم احمد المعروف بنائلي ومموء جلده بالذهب
كتب سنة ١٢٠٤ .

(٤) أنعام شريف ايضاً محلي بالذهب بقلم محمد سليم سنة ١٢٠٥ .
(٥) آيات الشفاء مذهبة ونفيسة الخط بقلم محمد كاتب السراي السلطاني .
(٦) الحزب الاعظم . محلي بالذهب وفيه نقوش بدعية جداً كلها بالذهب .
(٧) مصحف شريف . محلي بالذهب بقلم مصطفى المعروف بحافظ القرآن سنة ١١٦٩
(٨) النجمات العنبرية في وصف نمل خير البرية لاحمد بن محمد المقرئ صاحب

كتاب نغم الطيب كتب سنة ١٠٩٦ وهي تقيسة الخط جداً وفي هذه النسخة صورتان للنعل الشريف مذهبتان .

(٩) مجموع يشتمل على كتاب الرسالة للمحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الواحد المعروف بالدقاق الاصبهاني سنة ٥٨ صفحة بقطع صغير كتب سنة ٥٣٠ هجرية وعلى كتاب منقح ابي النصر بن حنون سنة ٦٠٥ وعلى فوائد ابي بكر الديباجي في الحديث ايضاً كتب سنة ٥٩٧ .

(١٠) حكم ابن عطاء الله الاسكندري لاحمد بن احمد الفاسي المعروف بابن زروق عدد صفحاته (٦٦٠) وهو بخط محمد نقي الدين الدمشقي الشهير بابي شعر وشعر .

(١١) مجموع فيه ثبت عبدالرحمن الشهير بابن الصناديقي . والقول السديد الحري باسانيد شيخنا الكزيري جمع ولده الشيخ عبد الرحمن الكزيري سنة ١٢١٧ .

(١٢) المنظومة في الآداب . نظم احمد الكيواني .

(١٣) المصباح في النحو للطبرزي كتب سنة ١٠٧٥ و يليه كتاب الحدود للفياكي .

(١٤) سفر السعادة لابي طاهر محمد الفيروز ابادي الشيرازي (صاحب القاموس)

(ص ١٣٠) مقابل على نسخة المؤلف كتب سنة ٨٥٢ .

(١٥) مجموع فيه تراجم ابي المواهب الحنبلي واسماء شيوخ شمس الدين محمد بن علي

الكامل و ثبت شمس الدين بن محمد الكزيري والقول السديد في اتصال الاسانيد للمبيني .

فالمجمع العلمي يشكر ورثة المرحوم الشيخ عبد الله الكزيري وخاصة شقيقه الفاضل

السيد ابا الخير علي ما قاموا به من تنفيذ وصية فقيد المرحوم كما انه يدعو للفقيه

بالرحمة والرضوان وان يثيب ورثته عن العلم خير الثواب .

مَجْلَدُ لُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م

تصحيفات غريبة

في معجمات اللغة

« فَهْمٌ وَفَوْقٌ وَمَقْوَسٌ »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الألفاظ المقيمة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك أيضاً وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غويدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدمة للمؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة وينا سنة ١٨٨٦^(١) ومن المعلوم أيضاً ان بعض الكتبة لما شغفوا بغريب الالفاظ استخرجوا احياناً تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة . ومن هذا القبيل لفظ الْفَهْمُ الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارة تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالتي هذه الصغيرة ان شاء الله . جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٤ ص ٣١٠) مانصه^(٢) :

« (الْفَهْمُ كَهَمَّاسٌ) امله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

(١) I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, في semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) ما بين هلالين لفظ القاموس -

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً بصوت بكل الانغام والالخان العجيبة المطربة يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوماً ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون (يحسن صوته) ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحه فتندح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالمهدة عليه وقد ذكره في شرح قوله (والذبي حارت البرية فيه) بيت التخبص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا^(١) فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قوقيس^(٢) ثم ذكر قصته بمثل ما ذكرها الدميري^(٣) وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم انبت له اجنحة فيطير^(٤) طيراً فيفعل كمنل الاول من الحك والاحترق .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠ في الاسفل) :

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨-١٦٩٩ م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٢٠ هـ (١٧٥٦ - ١٧٥٧ م) صاحب تأليف منها حاشية على القاموس ورحلة معمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩-١١٤٠ هـ (١٧٢٧-١٧٢٨ م) . وقسمردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secol) (ج ١ سنة ١٩٢٤ XVIII أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤ ص ١٣٥-١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالتي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Libia) في المجلة المذكورة (ج ١ سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٥ - ٣٨١) .

(٢) لعله غلط مطبعي بدل قوقيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني . (٤) والصحيح « فيصير » .

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره ^(١) في قفيس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) .

اما نسب وصف القفيس الوارد في القاموس الى الدميري فهو ظاهر من صاحب تاج العروس لانت القفيس غير مذكور في كتاب حياة الحيوان الكبير ^(٢) وما قاله الدميري في قوقيس (او قوقيس كما جاء غلطاً في الطبقات) غير ذلك وماخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه . ونص القزويني ^(٣) هذا :

« قوقش ^(٤) طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب ^(٥) هذا الطائر عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً للمش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تخرج النار من حكمها في ذلك الحطب ويشتمل ويحترقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لا القزويني الذي لا ذكر للقفيس والقفيس في كتابه .
(٢) وعلى كل حال ولو كانت ذكر القفيس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما اذ المؤلفان معاصران فعاش الدميري من سنة ٧٤٥ الى ٨٠٨ هـ وعاش الفيروزابادي من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧ هـ .

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüstenfeld, Göttingen 1849 (ج ١ ص ٤٢٣) . وفي الطبقات المصرية من كتاب عجائب المخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى .

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقيس » الوارد في الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضعين المذكورين آنفاً . ويظهر ان الدميري نفسه كان قد كتب « قوقش » بالنون لانه جعله بين القوق والقوقي في كتابه المرتب على ترتيب حروف الهجاء .

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا . انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalus al - Garnati, Paris 1925 من ٢٤٠-٢٤١ (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) .

يبقى^(١) الدود منه ثم ينبت لها جناح وتكبر فتصير قوقنشا^(٢) كما كانت اصله ثم يفعل ما فعل اصله .

اما المصراع المذكور في تاج العروس فمن مرثية ابي الملا . المعري لفقهه حنفي مجهول الاسم . قال في البيتين السابقين للاخير^(٣) :

بان امر الاله واختلف النا من فداع الى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اختلافاً غريباً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعنى به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأي يوسف بن طاهر الخوي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه ناقة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني^(٤) . ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً لكون المسند اليه موصولاً^(٥) واتخذ بهده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفتاح شاهداً لتقديم المسند اليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت الفففس . قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

(١) وفي الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « تولد » او « يتولد » وهو اصح . (٢) وفي الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « طيراً » . (٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي الملا المعري (ج ١ ص ٢١٧) من طبعتي بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣ - ١٣٠٤) .

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفتاح . واليه ذهب ايضاً سعد الدين التفتازاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد الهامسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما . (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٢ هـ ص ٩٨ .

بلاد الهند اسم فففس بضرب به المثل في البياض وله منقار طويل وهو حسن الالوان يعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حواليه و يضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح التنازلي المختصر لتلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له الفففس بضرب به المثل في البياض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبه على عدد ايام السنة اذا صوته يخرج من كل واحدة منها صوت حسن يعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه وتنفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في المش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا .^(١) »

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذكور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا حيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالهيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣-١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجده في الترجمة اللاتينية لفرانسوا الحيوان من طبيعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في ايطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) بامر الانبراطور فريدريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٢٠ من طبعة غوتنجن) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعمائة سنة و يتزوج اذا اتي طيله خمسمائة سنة فاذا حان وقت يبيضها وجدت لذلك الما شديداً فيأتي الذكر بماء البحر في منقاره ويحقنها به فيخرج البيض بسهولة فيحضر الذكر البيض والانثى قشي تصيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواجب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب للفقيه ابن بطوطه المغربي بمكتبة سنة ١١٠٨ هـ .

وخمس وعشرين سنة فاذا كبر الفرخ فان كان انثى فالعنقاء الانثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى يتوقد منه النار ويضرم به ذلك الحطب والانثى تدخل تحت النار حتى تحترق والفرخ يبقى زوج الذكر وان كان الفرخ ذكراً فالعنقاء الذكر بفعل مثل ما فعل الانثى ويبقى الفرخ زوج الانثى « .

اما الدميري مع كثرة نقله عن القزويني ومع اطالة الكلام في العنقاء فلا يذكر ذلك وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة (العاشرة ليلاد) لان ابا الحسن بن بهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي^(١) المؤلف قبل سنة ١٠٠٠ م :

« (فونيكس) عنقاء مغرب تحرق نفسها وتغير دودة ثم يتولد منها حيوان مثل الاول . (فونكوس) او (فونكس) ٠٠٠ طير يسمى فنجس (فونيكس) قيل يعملون من ريشه مندبل واذا انسخت بلقونها في النار فتتنظف وتنقى وهي تصلح للملوك^(٢) ٠٠٠ (فونيكس) الوحيد

(١) Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule , ed , R.

1896 - 1888 Duval, Pazisiis عمود ١٥١٤ - ١٥١٥ . وعريبته كثيرة اللعن كما يظهر مما أتقنه بدون تغيير لان اللعن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات الموضوعة بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الاصل .

(٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر السرياني سَاحَ نَدْرَا وهي ما يسمى في كتب العرب السَّحَنَدْرَا او السَّحَنَدْرَا والسَّحَنَدْرَا او السَّحَنَدْل او السَّحَنَدْل نقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار واذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في البحر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير المؤثرة بالنار المجلوبة من اقاصي البلاد الاسيوية كانت من وبره او ريشه . والحقيقة ان كل هذه الألفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضاً لاتينية وايطالية وبالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحرذون موجود باوربا كان القدماء يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يمتاز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب فعند اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهـ

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) المنقواء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسمائة سنة اذا اراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني ويجعله في مكان ويحرق نفسه عليه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة وتنشئ وتصبح فروج ويصير لها جناحات وبعد سبعة ايام تصبح عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً فتخس .

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات المجهبة وقالوا بالفارسي (قَفْ نُس) او (قَفْ نوس) « بقافين اولاً مما مفتوحة وثانيتها ما كنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قوفُ نُس) « بقافين ايضاً ثانيتها بالضم كالنون التالية » او (قوفُ نوس) . وأطال الكلام في قفنس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فريد الدين عطار^(١) في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطلق الطير^(٢) وقال ما هذا ملخصه :
يوجد في بلاد هندوستان القَفْ نُس^(٣) وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنهم من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الفتيلة (amiante) ذهبوا الى ان مادتها ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الايطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر واولئ الخامس عشر للبلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda) .
(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩-١٢٣٠ م) .

(٢) Mantic uttair, ou le Langage des oiseaux' poème de philosophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥-
٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦-١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣ م .
(٣) قفنس بالفارسي وقفنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

طويل فيه نحو مائة ثقبه لكل منها صوت وفي كل صوت سرٌّ خاص . فاذا صوّت بانغامه تحركت الطيور والسماك وسكنت الوحوش طرباً . ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلّم من صوته علم الموسيقى . وليس للقنفس أنثى فيعيش منفرداً وبطول عمره ألف سنة تقريباً وهو يعرف وقت موته وعند قرّبه يجمع حوالى نفسه اوراق مُقْل و بصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثيراً كثير من الحيوانات . وفي أوقاته الأخيرة يحرك أجنته وريشه فتسبب هذه الحركة ناراً تحرق الخشب والطائر . يصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد قنفذٌ صغير .

واستدلّ فريد الدين عطار بهذه الحكاية على استحالة الفرار من الموت . هما كانت الحبل التي دبرها الانسان .

وحكاية فريد الدين عطار ادرجها مير علي شير نوائي في منظومته بلغة چغتاي (اي التركية الشرقية) المسماة لسان الطير واسم الطائر فيها قفّوس^(١) .

بنضع عند التأمل في هذه النصوص العربية والفارسية الالف قنفذ والقفقش والقوقش وما اشبه ذلك في الحقيقة شيء واحد وان اقوال العرب والفرس فيه ناشئة عن جمع شيئين مختلفين :

(١) الطائر المائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cygnus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأوز الا انه أشد منه بياضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يضرب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش مير علي شير نوائي في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد . اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة ببتينكراد سنة ١٩٢٨ م ص ٧٣ - ٧٤) .

ولم يزل يصرب عند الافرنج . وكان القدماء يزعمون^(١) انه عند الاحساس باقتراب الموت بصوت بالنفثات العجيبة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائع ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر . وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية القفنس» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائقة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن اختتام .

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق^(٢) للقاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨ م حيث قال المؤلف ايضاً حاشياً لتعريف العرضي اللازم : « واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود للزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمى قفناً^(٣) » . ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك . اما ارسطوطاليس فانصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) « من عادته ان يفرّد لا سيما اذا اقترب من الموت » .

(٢) هو كتاب كاد مجهل تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقرأه في الازهر . وبقروه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجد ايضاً في كتب الحيوان العربية » . ثم قال ان احد المطلعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ . وفات الشيخ كلمة القفنس وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان القفنس هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالاطالية

ان السادي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زماناً »^(١).

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiniks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالاطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها^(٢) فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جملة بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية^(٣) عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتى النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتحريف ان كتبه العرب والفرس الملمين أصبحوا غير مميزين بين (phoinix) (فونقس او فنقس) و (kyknos) (فونقس او فنقس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا فونقسوما بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول

مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطوطاليس هذا الطير بته في كتابه في الحيوان .

(٣) اقول هنا لان السريانيات نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكس او فونيكس او فونيكوس فلو اخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونخس او فنخس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء تقريباً بالسريانية . انظر نص ترجمه لول النسطوري المذكور آنفاً .

عند القدماء في شأن طائر من مختلفين أحدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً .
وعلى كل حال فإن الفقهنة المذكور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من
كتب اللغة وإن تقل به حبيب افندي بسترى لفظ (phoiniks) لما عرّب ترجمة
(Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس^(١) وأخطئه الكاتب العربي الوحيد الذي
استعمل كلمة فقهنة .

والذي يجب إدراجه في القواميس العربية بدل الفقهنة اثنان : (١) قوقنة أو
ققةنة وهو (kyknos) اليونان . (٢) قوقنة أو ققةنة وهو (phoiniks) القدماء .
ومما أراه أيضاً تصحيف قوقنة أو ققةنة (kyknos) كلمتان لم يذكرهما الجوهري
المتوفى فيما بين سنة ٣٩٣ و ٣٩٨ وإنما قد هما المتأخرون من علماء اللغة أو الخبيرة بعلم الحيوان .
الأولى منهما قوق . قال ابن منظور الأفرنجي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في
لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل نحض الجسم
وانشد * كأنك من بنات الماء قوق * » . وقال هذا أيضاً السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ بزيادة « عن
الليث »^(٢) قبل « وانشد » . وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٢١) من
طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر مائي طويل العنق قاله في العباب^(٣) » .

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم
من الفرنسية بقلم . . . حبيب افندي بسترى . بيروت سنة ١٨٨٦ - ١٨٨٧ م .
(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للخليل الفراهيدي عاش
في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ولا أعرف هل أصاب صاحب تاج العروس
بزيادته هذه .

(٣) يعني العباب الزاخر واللباب الفاخر لرعي الدين الحسن بن محمد الصغاني
(أو الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ - ١٢٥٣ م) . ولشغفه بالزيادات على
كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون وليس لها أصل سوى التحريف
أو التصحيف كما دل عليه الاستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً .

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب المخلوقات .
 ان وصف هذا الطائر يناسب القوقنس تمام المناسبة . وافتصار المؤلفين ولا سيما
 الدميري على هذا الوصف بغير ادنى إشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته — يدل
 على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالقوقنس (kyknos) .
 فالارجح ان المراد بالفوق هذا الطائر .
 اما الكلمة الاخرى التي اظنها ايضا تحريفاً أدخل غلطاً في بعض معاجم اللغة
 فالقوقنس حيث يزعم انه اسم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب
 ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .
 قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوق طوقاً سواده في
 بياض كاللحم) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة
 كلامه في قصة القوقنس المصري الشهير اقتصر على ما وجدته في القاموس فيما يخص الطائر
 قائلاً (ج ٢ ص ٢٧١) : « القوقنس طائر معروف مطوق سواده في البياض كاللحم » .
 فالغالب على ظني انه من تحريفات قوقنس (kyknos) ايضا .

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (قوقنس) في كتب طبية عربية
 تسمية لانواع خاصة من الشياطات (اي من الادوية للعين) وان املت كتب اللغة
 هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمى أطباء اليونان أنواعاً من الشياطات (kyknos) تشبيهاً
 لبياض الطائر فاتخذ كلمة العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه قوقنس وهو
 مذكور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى
 سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعتنى بشره وترجمته الى الانكليزية
 وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة ١٩٢٨ م . انظر ص ١٨٢ و ٢٠٨ -
 ٢١٠ من الاصل او (١١٩ و ١٤٢ - ١٤٠) من الترجمة .

كارلوفالينو

رومية :

مجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاصرة وأخبار المذاكرة

- ٢ -

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي وابو منصور عبد الله بن جبير النضرائي
 قالوا حضرنا مجلس ابن الفرات وقد عملت مؤامرة لابن حبش العماني
 وكان يتقلد الذاب ونهر سابس (١) في ايام وزارة عبيد الله بن سليمان فأخذ
 ابو العباس وابو الحسن يناظرانه عليها الى ان التزم خمسة وعشرين الف درهم
 من ابواب صحيحة وطولب بادائها واخذ خطه يصححها (٢) فصحح خمسمائة
 واربعين طول المدة والاط (٣) بالمال . فقيد فلم ينفع وضرب سبع مقارع فلم
 يورده . وكان اذ ذاك اذا خرج بانسان من العمال الى هذا القدر ونحوه من
 المكروه فعندهم انه النهاية . فاخرجه ابو العباس الى حضرته وطالبه بالمال
 فاقام على انه لا شيء معه وان ضيعته وقف . فقال له ويلك لا اعرف اجعل
 منك اذ كان هذا صبرك على المكروه واسلامك لنفسك وبذلك لها فلم لم
 تأخذ اصل الارتفاع فلما ما كنا نعمل بك اكثر من هذا . ولكن ازشتت
 فانا ادع عليك هذا المال واصرفك الى منزلتك . ولكن بعد ان كشف
 للوزير صبرك على المكروه فلا تتصرف والله في ايامه ابداً وينهب خبرك .
 قال قلق من ذلك . وسأل ان يخفف عنه شيء من المال ليوردي الباقي .

١٠٠ م . ع : : يضم اليها قرية بواسطة اخيف نهرها اليها . ٢٠ : لعله :
 تصحيحها . ٣٠ م . ع : : اي جعده .

فما ربحنا حتى تقرر امره على بعض المال واداه وانصرف .

حدثني (١) ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن القرات يقول ناظرت الجهظ احد العمال على مؤامرة قد عملناها له وكنت انا واخي جملنا نأخذ خطه ياب باب فلما كثر ذلك قال لي سرأ ليس الشأن في الخط . الشأن في الاداء . ستعلمون انكم لا تحصلون على شي فسمعه عبيد الله لانا كنا في مجلسه فقال له اعد علي ما قلت فاضطرب فقال لا بد ان تعيده فاعاد ذلك فقال اذا لا تلي لي والله بعد ما عملا ابداً قم عافاك الله الى منزلك . خرق يا غلام المؤامرة قال فخرقت في الحال وانصرف الجهظ الى منزله فما صرّفه عبيد الله بعد ذلك وشاع خبره فتحامى الناس كلهم استخداه فهلك جوعاً في منزله حتى بلغ انه احتاج الى الصدقة .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله زنجي الكاتب قال حدثنا ابو العباس بن القرات قال كتب صاحب الخبر بمدينة السلام الى اسماعيل ابن بلبل في وزارته الاولى للمعتد بان مغنية من جواردي بدعة الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذاك معطل بهذا الصوت فاستعاده وطرب عليه :

عادات طيء في بني اسد ري القنا وخضاب حل حسام
لهني على قتلى التباغ (٢) فانهم كانوا الذرى ودواشي الاعلام

١ . كتاب الوزراء ص ٧٧ . ٢ . م . ع . التباغ ككتاب قرية على عشرة اميال من البصرة وبها يوم لتيم على بكر .

كانوا على الأعداء سيف محرق ولجأهم حرماً من الاحرام
لا تهلكي جذعاً فاني واثق برماحنا وعواقب الايام
فانهى اسماعيل ذلك الى المتمد وقال هذا يسمى عليك ويتمنى لك
الدوائر ويتربص بك فامر بنقيه الى مصر فكان مضيه اليها تلقه .

حدثنا ابو الحسين قال سمعت ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قبل
الوزارة يتحدث قال حدثني ابو عبدالله حمد بن محمد القنائي (١) الكاتب قال
ابو الحسين وكان ابن اخت الحسن بن مخلد وكان قد حافه دفعات على ديوان
الخراج ومرة على ديوان الضياع ثم ولي اعمالاً جالبة من العملات والدواوين
مها ديون المغرب ومات وهو يتقلد ديوان الخراج والضياع العامة بالسواد
وما يجري فيه وقد رأيته وتملت بين يديه وسميته يتحدث باشياء ولم اسمع
هذا منه قال سليمان قال لي حمد سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد
الى ابن طولون لما تقي اليه - عن السبب الذي دعا ابن طولون الى قتله فقال
لما ورد عليه تناهى في اكرامه وبره واعظامه ثم انس به حتى ناداه وصار
يشاوره في مهم اموره فشاوره مرات في خلع طاعة المتمد فمطم عليه امر
السلطان وخوفه من العصيان فقبل رأيه ثم طواب ابن طولون بحال الوظيفة
التي كانت عليه فقال لابن مخلد ما رأيت اعجب من جهل هذا المخذول يعني
الموفق يطالبني بالوظيفة وهو عاص على الخليفة. الى من احمل؟ فقال له لا تفعل

« ١ » م . ح : كذا في الاصل ولعله القنائي فقد قال ياقوت : دير قنا من اعمال
النهر وان نسب اليه جماعة من الكتاب والنسبة اليه قنائي وسيأتي في صفحة ٥٢ انه القنائي

فان الامور اليه والجيش معه وان منعه المال قصدك وحاربك فقام في نفس ابن طولون انه دسيس (١) للقوم عليه وقال لو كان هذا عدواً للقوم ما اشار علي بهذه المشورة وانما هو دسيس علي ملكي لياخذ البلدان مني لهم ويرهنني ويستخرج البلدان مني باللفظ. فشكر له ثم امر بالتقبض عليه وحبسه فكار جباناً فلم يحب مع ابحاشه له ان يفلت في وقت من الاوقات فدرس اليه في شربة فقتله بها. وجد الموفق (٢) وانفذ اليه المعتضد في الجيش واخرج احمد بن طولون خمارويه اخاه (٣) لمحاربة المعتضد فتحارباً فانهزم كل واحد منهما من صاحبه وهو لا يعلم ان صاحبه قد انهزم فضرب الناس بهما المثل وقالوا صبي لقي صيياً وهكذا تكون محاربة الصبيان قال فلما جرت هذه الحال تندم احمد ابن طولون على قتل الحسن بن مخلد وقال صدقني فلم اقبل منه واتهمته .

حدثني (٤) ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال قال لي فاقد خادم ابي وثقته وكان يتولى نفقة ابي : ما رأيت اجسر من مولاي علي اخذ مال السلطان ومن ذلك اني باكرته يوماً وقد لبس سواده ليمضي الى دار المعتمد وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة والتوقيع ويبت المال فقلت له قد صككت (٥) علي البارحة للمعاملين بالف وستائة دينار وما عندي من ذلك حبة واحدة فقال لي يا بغيض تخاطبني في هذه الساعة

« ١ » م.ع : دسيس فعل بمعنى مفعول هو من تدسه لياتيك بالاخبار . « ٢ » م.ع : كذا في الاصل . « ٣ » الصواب : ابنه . « ٤ » كتاب الوزراء ص ٧٢ . « ٥ » م.ع : صك الرجل للمشتري صكاً كته . وهو الذي يكتب في المعاملات والاقارير .

اين كنت عن خطابي البارحة لا وجه لها وجهها ولكن اتبعني الى دار السلطان
 فبعته ودخل الى المعتمد مع عبيد الله بن يحيى الوزير ودخل متهما احمد بن
 صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الحراج فلما خرج قال لي امض الى صاحب
 بيت المال فخذ منه ما يسلمه اليك فظننته قد استسلف على رزقه شيئاً فمضيت
 الى صاحب بيت المال فسلم الي ثلاثين الف دينار فاستمظمت ذلك وعلمت
 انه ليس من الرزق وحملتها الى الدار وعرفته خبرها فقال لي اتفق منها
 ما رقت به اليك واحفظ الباقي فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا ومضى
 للحديث ايام ودعا دعوة فيها جاعد بن محمد واليه اذذاك عدة دواوين وجماعة
 من الكتاب واكلوا وناموا وانتبهوا فاذا كاتب من كتاب احمد بن صالح
 ابن شيرزاد يستأذن فاستأذنت لدخوله على مولاي وكانوا قد بدأوا بالشرب
 فترك مولاي المجلس وخرج الى بيت خلوا واستدعى الرجل فادخله اليه فسمعت
 يقول اخوك ابو بكر يقرأ عليك السلام يعني احمد بن صالح ويقول لك انت
 تعرف رسمي مع صاحب بيت المال وان محاسبته في سائر الاموال الي وانا
 اذا تمت ثلاثون يوماً وجهت صاحبي الى حساب بيت المال^(١) فحمله مع
 صاحب بيت المال لينظم دستور الحمة بحضرتي واصصح حكاياتها ونحن منذ
 عشرة ايام في هذا حتى انتظمت الحسبة ولم يبق الا ثلاثون الف دينار ذكر
 صاحب بيت المال انك خرجت اليه من حضرة امير المؤمنين فامرته بحملها
 الى خادمك ناقد ولست ادري في اي جهة صرفت ولا في اي باب ثبتها

(١) عند هلال وجهت حاجي الى الخازن .

ولا ما الحجة فيها قال فاجابه مولاي بلا توقف وقال يا أخي ابو بكر والله
 وقع اسأل انا الخليفة في اي شيء صرف ما امر ان يحمل الى حضرة يجب
 ان يكتب في الحقة وما حمل الى حضرة امير المؤمنين في يوم كذا وكذا
 ثلاثون الف دينار قال فقام الكاتب خجلا ومر ذلك في الحساب على هذا فما
 تنبه احد عليه وحصل له المال قال ابو الحسين فقال لي سليمان بمقرب هذه
 الحكاية ما رأيت لهذه الفعلة شيئا الا ما عمله ابي الفرات في وزارته الاولى
 فانه نصب يوسف بن فتحاس (١) وهارون بن عمران الجهميين فلم يدع مالا
 لابن المعتز ولا للعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة وما صبح من
 مال المصادرين وغيرهم ممن يجري مجراهم الا أجراه على أيديهما دون يد
 صاحبي بيت المال العامة والخاصة (٢) وأفرد لذلك ابن فرجويه كاتبه يحاسبهما
 ولا يرفع لهما حساب الى ديوان من الدواوين فلما كان في السنة التي قبض
 عليه فيها كتب كتابا عن نفسه الى مؤنس الخادم صاحب بيت المال ذكر فيه
 انه حوسب يوسف بن فتحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من
 كبت وكبت حتى استغرق تلك الوجوه فكان الباقي قبلهما بعد الذي حمل
 الى حضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه وصرف في مهمات أمر بها هو
 والسادة أيدهم الله من الورق الف الف وأربع مائة وسبعين الف درهم

١٥ م.ع : في تاريخ الوزراء فيجاس . ٢٥ م.ع : كذا في الاصل وذكر بعضهم

ان المال يؤمن ولكن في تاريخ الوزراء بيت مال الخاصة والعامة :

وخمسمائة وستة واربعون^(١) درهما وامر بقبض ذلك منها وارباده بيت مال العامة^(٢) فقبض مونس منها تلك البقية ونمضى الاصل كله لا يعرف في اي شيء صرف وكان مبلغه فيما ظنه الكتاب وكانوا يتعاودونه^(٣) نحو الف الف دينار فان ابن القرات فاز بجميعها^(٤) ولم يقيم بها حجة عليه قال ابو الحسين فحدثني ابي بعد ذلك قال لما قلدني علي بن عيسى في وزارته الاولى ديوان الدار الجامع للدواوين امرني باحضار هذين الجهبذين ومطالبتهما بختماهما لما كان حصل في ايديهما في وزارة ابن القرات الاولى من الجهات التي تقدم ذكرها فاستدعيتهما وطالبتهما فاحالا^(٥) ان ابن القرات اخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه فامر بحبسهما وتهديدهما ففعلت ذلك فاحضراتي حسابا مبتورا ذكر انهما وجداه فرأيته غير متظم فلم ازل ارفق بهما الى ان اقرا انه قد وصل اليهما من فضل الصرف فيما بين ما ورد عليهما وبين ما أنفقاه مائة الف درهم فجعلتها عشرة آلاف دينار وقررت أمرهما عليها وأخذت بها خطوطهما فلم يقنع علي بن عيسى بذلك وأخذهما من يدي وسلمهما الى حمد بن محمد وكان اليه ديوان المغرب وأمر ان يتبع أمرهما بنفسه وكان حسن الكتابة ولم يعرفه اني أخذت خطهما بشيء فتبع حمد ذلك فلم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة والسادة وأشياء صرفت الى خاص ابن القرات

«١» م.ع : الصواب واربعين ليقى الكلام . «٢» م.ع : في تاريخ الوزراء : بيت مال الخاصة . «٣» م.ع : كذا في الاصل ولعله يتعاودونه اي يتداولونه بالمد او التخمين «٤» م.ع : لعله بجميعها . «٥» م.ع : في تاريخ الوزراء فاحالا على ان .

فقال له حمد هذا كله مسروق والقوم معهم حجج بالبراء وما عليهم طريق وابن الفرات كان أجلد من أن يدع هؤلاء يفوزون بحية من المال فردها الي وقال اجتهد في أن تأخذ منهما مائتي الف درهم فقلت لا يمكن ذلك فقال اعمل على أنك طالبهم (١) بمرق نفسك بتمام مائتي الف درهم فقلت له فاذا فعلت هذا فأي شيء أعمل أنا لنفسي قال خذ منها عشرين الف درهم والزمهما مائة وثمانين قال فخرجت وجددت بهما الى ان ألزمتها ذلك وأخذت لنفسي منه ما قال فلما فرغنا من ذلك أخذنا بها خطوطهما وأخذنا لهما خطه بالبرائة من ذلك فقال لي علي بن عيسى سأريك موضعي انا من العمل وان للرئيس في كل أمر موصفاً (٢) لا يقوم فيه احد مقامه فاستحضرتهما الى حضرته وانا في مجلسه فقال لهما تريدان مني ان أزيل عنكما تبعه ان لم ازها بقيت عليكما وعلى ورثكما ابد الدهر لست افعل هذا الا بشيء يقرب لا ضرر عليكما فيه وهو اني احتاج في كل هلال الى مال أدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر الى الرجالة ومبلغه ثلاثون الف دينار وربما لم يتجه في اول يوم من الشهر ولا الثاني وأريد ان تسلفاني في اول كل شهر مائة وخمسين الف درهم وتجمعها من مال الاهواز في مدة الشهر فان جبهة الاهواز اليكما فيكون هذا المال سلفاً لكما (٣) أبداً واقعاً لا ضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد التي (٤)

١٠ م ع : كذا في الاصل والصواب طالبتهما . ٢٥ : بالاصل : الرئيس في كل موضع . والصواب عند هلال . ٣٣ م ع : في تاريخ الوزراء سلفاً واقعاً لكما الخ . ٤٥ : بالاصل : الى ان . والصواب عند هلال .

رد في أول كل شهر وهي عشرون ألف دينار فيكون ذلك بازاء مال القسط الاول من النوبة فيخف عني ثقل ثقل فتأبى ساعة فلم يفارقهما حتى استجابا لذلك فقال لي علي بن عيسى كيف رأيت فقلت ومن يني بهذا الا الوزير أيده الله تعالى قال وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار على سفانج قد وردت من الاطراف فلم تحمل (١) عشرة آلاف دينار بربع دابق ونصف فضة في كل دينار وكان يلزمه في كل شهر الفان وخمسمائة درهم أرباحاً فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنجاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامهما مدة ست عشرة سنة وبعد وفاتهما لانهما ما صرفا الى ان ماتا فكانا قد تقلدا في أيام عيد الله بن يحيى بن خاقان وكان السلطان لا يرى صرفهما لبقى جاء الجهبذة مع التجار فيقرض التجار بالجهبذ اذا دفعت الضرورة ومتى صرف الجهبذ وقلد غيره (٢) لم يعامله التجار وقف امر الخليفة .

حدثنا ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن جني الكاتب وكان ابو مغبياً وهو من أغنياء الكتاب قال حدثني ابن ثوابة الكاتب قال حدثني أبو الفرج بن نجاح بن سلمة عن ابيه عن الفضل بن مروان قال كنت أتولى مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد وكان يجيئنا الى الديوان شيخ من بقايا كتاب بني امية وكان صاحب الديوان يقول لنا هذا اكتب اهل زمانه وكان يلبس دراعة وقلنسوة كساكاسية (٣) النصارى وخفأً أحمر

١٠٩٠ م . ع . كذا في الاصل ومثله في تاريخ الوزراء . ١٠٩٠ م . ع . لعل الاصل ولم
امله او . ووقف امر الخليفة . ١٠٩٠ م . ع . كذا في الاصل . ولعله كاكسة .

وكان هذا زي المتعطلين من الكتاب إذ ذاك وكان صاحب الديوان يكرمه جداً فصار إلي في يوم من الايام لحاجة عرضت له وأنا متشاغل بعمل مهم قد طلبه الرشيد وأنا جالس حيال صاحب الديوان اعمله فقصرت في حق الشيخ ولامني صاحب الديوان على تقصيري به ووبخني فاعتذرت اليه بشغل القلب فلما كان بعد ايام جاءني فزدت في اكرامه وقت اليه وجلست بين يديه فاقبل علي صاحب الديوان فقال احسبك مانت فتانا على تقصيره أولاً ثم أقبل علي وقال يافتي كنا نمد الصناعة نسباً والنعمة نسباً واللغة نسباً والنحلة نسباً.

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو عبدالله الباقطائي قال حدثني ابو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان وكان كاتب المأمون على ديوان الضياع قال ميمون سمعت الفضل بن مروان يقول لا ينبغي لاحد ان يحقر احداً ولا يأيس (١) من علوه فاني كنت في حديثي اتوكل لهرثة بن أعين في مطبخه ايام الرشيد وكان بخيلاً وكان له خادم يشرف على مطبخه وأجرى علي خمسة عشر درهماً في الشهر ووظيفة خبز فلما كثر توفيري عليه صيرها عشرين درهماً وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً فسأل الخادم عن اكلي فعرفه اني لا آكل فامرني ان يطعمني من المطبخ كل يوم ويوفر الوظيفة على منزلي فدعا يوماً دعوة عظيمة فوفرت عليه في الاسعار الف درهم وعرضت عليه بذلك عملاً وسره وحسن موقعه منه وكان بخيلاً جداً فقال يوماً قد استحققت الزيادة

(١) م : أيس يأيس بغير همزة بمعنى يشن .

فكم تحب ان أزيدك فقلت لا أقل من عشرة دراهم اخرى فقال هذا كثير ولكن اربعة دراهم فأبست من خيره واتفق له بعد ذلك خروج عن مدينة السلام فتعالت عليه ولم اتبعه ولزمت الديوان وتعلمت فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد وكان ذلك اول اقبالي وتخرجت وزادت حالي مع الايام فلما ولي المأمون وعظم من أمر المعتصم كان المعتصم شديد المحبة للصيد وكانت فتنة محمد المخلوع قد صرفت ما كنت جمعته من ^١ ضياع وبساتين بالبردان ^٢ و. اهرت بعض تنائها ^٣ واجتمعت لي حال فلما انجلت الفتنة كنت من وجوه البردان فاجتاز بها المعتصم منصرفاً من صيده مسرعاً وليس معه من اصحابه كثير ^٤ احد فاجتاز في الطريق وانا واقف على بابي فتوسمت فيه الجلالة وقدرته احد وجوه القواد وكان لي وعند علي حامل البلد ان يكون ذلك اليوم في دعوتي وقد اعددت له طعاماً وفيه جداء وحلواء وفاكة كثيرة وثلج استدعيته من بغداد وكان قبل ذلك بساعة قد جاءني خبر العامل انه عرض له مهم في السواد فخرج لوقته فلما رأيت المعتصم وتوسمت فيه الجلالة قلت لم لا اخلف ^٥ على هذا القائد واضيفه عندي على هذا الطعام المعد قال فكلمته وسأله النزول عندي فاجاب ونزل واكل وشرب واتفقت في الحال فاستدعيت له قيانا وجلس يشرب وقد انبسطت بين يديه وخدمته

١ الصواب في . ٢ م ع : هي قرية على سبعة فراسخ من بغداد .

٣ م ع : كسكان جمع تاني وهو المقيم ببلده راجع صفحة ٢٨ من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي . ٤ م ع : كذا في الاصل . ولعل صوابه الكثيرين احد . ٥ م ع : اخلف عليه . عوضه ولعله احلف بمعنى اقسم وهو الاظهر .

فنحن نشرب اسـ (١) الجيش في طلبه وعرفوا خبره واحاطوا بالدار فمرفت
حيثذ انه اخو الخليفة فبيته فبسطني وسألني عن شرح حالي فمرفته فقال لا بد
ان تجيء معي الى بغداد وتخدمني ولم يدعني حتى اجتذبتني ودخلت معه
الى بغداد وقلدني بعض اموره ثم ترأيت حالي عنده الى ان جمع لي
جميع امره ورياسة كتابه ثم خلطني بخدمة المأمون وقلدني ديوان
الحراج مضافاً الى كتبة اخيه ثم رقيت الى الوزارة من تلك الحال التي
كنت عليها مع هرثمة قال ابو الحسين ما رأي (٢) في الدولة العباسية من
الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وترددت ولا بعد (٣) الوزارة
لديوان الحراج وديوان الضياع - احد من غير ان يتمطل غير الفضل بن مروان
ومصدره المعتصم على اربعين الف الف درهم فاداهما بغير مكروه . وسمعت
حامد بن العباس يحكي انه سمع صاعداً يقول حدثني احمد بن اسرائيل قال
حدثني الفضل بن مروان قال ما في الارض اجمل من وزير يطلب الخليفة
منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه فانه يطعمه في نعمته وانما يدفع النكبة
مدة ثم تحدث وقد ذهب المال . فمن ذلك ان المعتصم لما خرج يغزو الروم
وانا وزيره استخلفني على سر من رأى واستخلف محضرته . محمد بن الفضل
الجرجاني (٤) فلما طمع في فقال لي قد وردت والمال (٥) والجيش مستحق

١» لعله : اذ اتى . م . ع الظاهر انه اثبت الجيش اي تفرق . .

٢» لعله رؤي .

٣» الجملة محرفة ولعل الصواب وتقلد الوزارة بعد ولايته .

٤» بالاصل الجرجاني . «٥» لعله سقط : قد ذهب .

فاحتل (١) لي مائة الف دينار من مالك وجاهك فعملت فلما مضى شهر طلب مني على هذا السبيل خمسين الف دينار فعملت فطلب في الدفعة الثالثة بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار فوعده بها وادفعه (٢) اياماً ثم حملتها اليه فبلغني عنه انه قال لابنه الوائق هذا النبطي ابن النبطية اخذ مالي جملة وهو ذا يتصدق علي به تغاريق . ثم (٣) قبض عليه بعد ايام واخذ منه اربعين الف الف درهم .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الملك التوارينخي وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ فلقب بها وكان يجلس في الجامع الى جانب الزجاج ويمظمه قال سمعت المبرد يقول كنت اصحب الفضل بن مروان فذكر بحضرته في ايام الواثق عظم بناء احمد بن الحبيب بسر من رأى وانه لمستعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج والقارية (٤) ساجة عظيمة تستعمل صحيحة . فقال الفضل ما كانت لي في خدمة لذة في بناء ولا فرش ولا غلمان ولا جوار ولا مفاخرة بمرومة وانما كانت لذتي في العمارة والتوفير ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم وتعهدي وقد وليت للامامون ديوان الخراج فوجدت الاهواز قد اختلف بينق اسوء (٥) ابطل العمارة فاتفقت عليه مائة

«١» م . عدى احتال بنفسه على حد قول الحماسي :

اذا ماأت من صاحب الك زلة فكأن انت محتالاً لزلته عندا

— «٢» م . ع . الظاهر ودافته . «٣» م . ع . الظاهر ان هذا من كلام احمد بن اسرائيل الراوي عن الفضل . «٤» م . ع . لم نثر على القارية بهذا المعنى . «٥» م . ع . الظاهر ان الاصل يتنق سد او أسداد جمع سد وهو بناء يجعل في وجه الماء .

الف دينار وجددت في عمارة النواحي . وكانت كور الالهوازا اذذاك قد ارتفعت باربعة وعشرين الف الف درهم للسلطان فضمنتها له بثمانية واربعين الف الف درهم حاصلة للحمل .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثنا ابي قال سمعت نجاح بن سلمة يقول ان السبب في علو حال عبيد الله ابن يحيى بن خاقان مع المتوكل ان ابا يحيى بن خاقان بن موسى تقلد ديوان الخراج في ايام المتوكل قلدا ابنه ابا محمد عبد الله مجلساً من مجالس الديوان ولم ير عبيد الله اهلاً لمثل ذلك فغضب على ابيه وصار (الى) الفضل بن مروان وهو يتقلد ديوان الضياع فلزمه وخط بين يديه وكانت ارمينية تجري في ديوان الضياع وكان على اهله مقاطعة فضلها مال جليل فامتنع الفضل بن مروان من اقتضاها (١) لهم وعرض عليه مرفق مائة الف درهم فابى قبولها وطرحها (٢) نفوسهم على اكثر الوجوه بسر من رأى فلم يجب احد الى ذلك فلجأوا الى عبيد الله بن يحيى وسألوه مسأله لما ظهر من اختصاصه به وتقائه عليه فخاطبه في امرهم فتذمر من رده لانه كان يعمل معه بالرزق (٣) ولا له نفع وكانت حاله قوية وانما اراد التصرف مراغمة لابه وجعل ذلك كالمرفق له والصلة فأجابه وامضى المقاطعة فجعل اليه القوم خمسة آلاف دينار فردها وقال ما كنت لآخذ على معروفي ثمناً فلما خرجوا الى ارمينية أحبوا مهاداته

(١) الصواب امضاها . (٢) الصواب وطرحوا .

(٣) لعله بلا رزق .

ومكافأته فاستعملوا له فرش بيت ارمي ببساط عظيم ومصليات وانخاخ (١) ومساور (٢) ومخاذ (٣) ودست وستور وأذهبوا الجميع وكتبوا عليه كنيته واسمه ولم يكن رأى (٤) قط مثله حسناً وجلالة وحملوه اليه واتفق انه وكل المتوكل تلك السنة بالطرق وامر ان لا يدخل شيء من الامتعة او يمرض عليه فمرض عليه البيت في جملة اجبي به من ارمينية فاستهوله وقال من هذا الرجل فقالوا هو (٥) عبيد الله بن خاقان قال واي شيء اليه حتى يستعمل له هذا العمل امل هذا مرفق لايه فقبل له ان ارمينية تجري في ديوان الضياع ولا معاملة بينه وبين ابيه فاستشرح الصورة ونقر (٦) عليها الى ان حدث الحديث على صحته فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله وامر بتسليم فرشه اليه وقال هذا فتى يدل فعله على كبر همته فلما صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٧) عن وزارته قال قد استغنيت عن وزير لان اصحاب الدواوين مرضون عما هم علي والتاريخ يعمل باسم وصيف التركي واجرى الامر على ذلك مدة ثم انه احتاج الى كاتب يكون بين يديه في اُبنيته والتوقيعات في المهم الذي يامر به من حضرته فيها وفي غيره الى اصحاب الدواوين وغيره (٨) فامر ان يطلب له حدث من اولاد الكتاب ينصبه لذلك فسمي له جماعة منهم عيسى بن داود بن الجراح وابو الفضل

«١» م.ع في اللسان النخ بساط طوله اكثر من عرضه وهو فارسي. مرب وجمعه نخاخ وفي التاج انه بالفتح . «٢» م.ع جمع مسور ومسورة وهي متكأ من آدم وهي المساند . «٣» م.ع جمع مخدة وهي الوسادة . «٤» يريد روي . «٥» بالاصل ابو . «٦» م.ع المعروف تقرر عن الشيء اذا بحث عنه . «٧» بالاصل الجرجاني . «٨» م.ع هكذا في الاصل .

ابن مروزان وجماعة وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ابنا يحيى بن خاقان فحين
مر على سمعته ذكر عبيد الله ذكر حديث القروش فاختاره ولم يزل حاله يرقى معه
الى ان استورده .

• للبحث صلة •

المحاضرة الاولى

الادب (١)

« أفقه • فعله • غايته »

فكرت في شيء من الكلام أهد به السبيل الى دراسة الأدب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب عليّ ان أقول : أحاديث الأدب • لان كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وعنت الفكر وما ينبغي للادب ان يكون الا ألوية بتلاهي بها العقل ، لكنها ألوية شريفة لا تشبه غيرها من الألاهي ، ما ينبغي للأدب ان يكون الا لذة الفكر وراحة البال • فكرت في شيء من الكلام أستعين به على الاستهلال ثم عدلت عن التفكير وقلت ما قاله الاستاذ « برونثير Brunetière » في اول محاضرة من محاضراته : لعلمكم تعترفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين أروع المقدمات وأفضلها • فلنشرع في حديثنا الاول دون الافاضة في التمهيد •

قلت : الأدب ألوية ولكنها شريفة • واذا أردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الأدب المديد • فني أدركنا العالم الذي يحيط به الأدب علما مقدار اتساع أفيائه وانبساط سلطانه •

قال « اناتول فرانس ، Anatole France » في مقال له في معجمات اللغة :
 « ابي أحب معجمات اللغة • فانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة ولصكني احبها لانها تحتوي على شيء جميل غم • انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة او الفاومائتي صفحة عبقرية فرنسا وطبيعتها • ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري عضو الجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة • وقد عرفت مجلة الجمع العلمي على نشر هذه المحاضرات كلها متتابعة •

وافكار اجدادنا وافراحنا وافراحهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك ان في هذا المنجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم الليل الذي نسمه اليوم . ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المنجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم . وعاطفة من المواطنين كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليحس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لم الوطن والبشر ودمعها وروحها » .

اني احب ان اقتبس قول اناطول فرانس في اللغة فأقوله في الأدب نفسه فاذا قلنا في الادب ما قاله اناطول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب هو روح الوطن وعبقريته ادركنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألية شريفة لا تشبه غيرها من الالامى .

كنت أطلع رواية من الروايات فعلقت بذهني عبارة فبديتها في دفتري . قالها شيخ ايطالي في حض فنى على درس اللغة اللاتينية :
« ان هذه اللغة الشريفة قد أنستني آثارها المنقطعة النظير آلامى وشجونى في معظم الاوقات . كنت باسيدي أنغدى وماغداي الا صفحة من «تاسيت» وانعشى وما عشائي الا اهجية من « جوفنال » .

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب يفرج الغم ويكشف الكرب وينثي في العقول لذة لا يعدلها كثير من لذات الدنيا فهي لذة هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يفتق . اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون الادب موضوع علم وانما أريد ان يكون الادب كما قال عنه الاستاذ (لانسون Lanson) رياضة وذوقاً ولذة . ولا بأس بان اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وفعله :

« الادب لا يعلم المرء علماً ولا بدرسه دراسة وانما يجارسه ويمرثه ويحبه واصدق كلام فيه انما هو كلام (ده كارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنه حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احاسن انكارهم » .

ان الرياضيين — وانا اعرف طائفة منهم — الذين يلهمهم الادب فيذهبون الى المسارح و يقرأون الكتب على سبيل التسلية انما هم أقرب من الصواب من هؤلاء الادباء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم يجردونه تجرّيداً و يظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جعلوه ابواباً . خلق الادب لينشي لذتنا ولكنها لذة تروض قوا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغنى مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقاف الباطن ، هذه هي حقيقة فعله .

وللادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق لذة الافكار انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرته وراحته وتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي نذهب به في ممارسة الاعمال و يرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . اصبحت الفلسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلسفة لا يستطيع درساها كل واحد منا ، اما الادب فانه يعم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقى هذه الجماعات وتغير اوضاعها . الادب هو الذي يتعبد النفوس التي اثقلتها تكاليف الحياة واغرقتها مشاغل المأذة فيحملها على الاعناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضعف الدين في كثير من رجال العصر وبعده أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثرة الضيقة او عن الحرفة التي تنرس فينا غرائز الحيوانية » .

هذا ما قاله الامتاذ (لانسوت) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقاف الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة اي لا غاية مادية لها وكأن الذين وضعوا « قرار » انشاء مدرستنا قد فطنوا لذلك واحبوا ان ينهوا عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا تثقيف الجمهور تثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب وهم يمتنون بذلك ان الثقافة الادبية لا تكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق او كما يدرس الطب مثلاً وانما يحصل الادب لذته .

اراد احد شباب الفرنسيين ان ينصرف الى الادب فقال (فلور) عن رأيه في ذلك فقال له (فلور Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى ان أبين لك ان استثمار عمالك امر صعب جداً ان لم يكن

ممنعاً ، انك لا تزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عملك ولا ترج ان تكون لك مكافأة ولا تفكر في نشر ما كتب ، ثقيل طريقتي فقد كان عمري سبعة وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فاذا خطر ببالك ان تستخرج فائدة من آثارك خللت وكنت من الخاسرين فلا تفكر الا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .

لا نظن ان حياة اديب مثلي ناضرة بالازامير فاذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهمين ، اذا كان حبك للادب خالماً فحصل الادب لنفسك قبل كل شيء واقراً كثيراً كتب (المدرسين) وروض فلما على كتابة اشياء شعرت بها وعلى وصف البيئة التي تأنس بها .

علماً (فلوير) ان فحصل الادب لا نقسنا دون ان نرجو مكافأة ، ينبغي لنا ان نحصل الادب لمسة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فاذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفد من الادب ، اذا كنا نتوخى الكسب في تحصيل الادب انحط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا والادب اجل من ان يكون حرفة ، اتنا فحصل الادب لنذوق لذة الحياة ، اتنا نجبه كما كان الشيخ الايطالي يحب آثار اللغة اللاتينية . اتنا نجبه لانه ينسبنا الآلام والشجون على انه قد يجوز ان يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي ان تكون هذه الفوائد غاية الادب وانما نجيبها على طريقنا في نزعة العقل كما نجني الورد والريحان على طريقنا في نزعة البدن . اتنا لا ننتزه لقطف الورد ولكننا ننتزه لتروض أجسامنا وكذلك لا ندرس الادب لنعيش به ولكننا ندرسه لتروض به عقولنا .

قلت : قد يفيد الادب فوائد عظيمة ، واذا سمحتم لي قرأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك » ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من الناس ولكن المنفعة يجب ان تأتي على سبيله كما يأتي الورد والريحان على سبيل المتزهمين .

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من مجلسنا هذا قبل ان يأتى بك عندي اتنا ادركنا غاية الادب . ما احب ان اخرج من هذا المجلس قبل ان اتمنى باتنا علماً ان الادب انما هو : رياضة وفوق ولذة لا تنفرغ به لغرض من اغراض

الدنيا فهو آجل من ان تكون غايته الكسب وانما نمارسه لنذكر به جمال هذا العالم انما نمارسه لتفريج به غم هذه الحياة . يقول اقاتول فرانس في هوغو في معرض النقد : عاش فيكتور هوغو مثلاً تسكره الالوان ورنات الاصوات وقد اسكر العالم بذلك . فاذا جاز لي هذا التعبير قلت : الادب يسكر بالوانه ورنات الفاظه فهو نزهة عقولنا ونعم النزهة يشعذ الطباع ويجمع النفس ويصمر الصدر . اني لا ارى اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط تاسوني (Tassoni) الذي كان يعتقد ان الادب مضر بالجماعة والبشرية . اي شيء احسن ترويضاً لمداركنا من الادب . اي شيء احسن تهذيباً للاهواء منه . اي ثقافة اعمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية . واذا لم يكن لادبنا في هذا العصر عاقبته المحمودة فهذا ناسي عن انه لا يزال في عزلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الامم . فاذا كان لحدبنا خلاصة فهذه خلاصته :

الادب الهية شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موضوعها روح الوطن وعيقريته

في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الثانية

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الأدبية . الاقتراد بالرأي في الادب

ما أظن انكم نسيت ما حدثكم به في الاسبوع المنصرم ، ما أظن انكم نسيت أفق الادب وفعله وغايته ، اني اعتقد الاعتقاد كله ان مطافكم في هذا الأفق الفسيح يوطئ لكم السبيل الى الاحاطة بروح وطنكم وعبقريته ، واذا قلت روح لوطن وعبقريته عنيت بذلك ثمرات قرائحه ونتائج خواطره من منبثق فخره الى يومنا هذا . اني اعتقد الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الأفق يدخل السرور على القلوب ويشقف البواطن ويهذب العواطف وليس بقليل ان ينسج المرء من حيوانيته ويحيا في جو أعلى من جو البشرية والادب هذا فعله في الام . فاذا كانت غايته مجردة وثقافته خالصة نجح واثر : هذا أفقه ، وهذا فعله ، وهذه غايته . ما أظن انكم نسيت شيئا من ذلك .

غير اني أتوقع بعد ان بينت لكم أفق الادب وفعله وغايته على سبيل الايجاز وعلى قدر ما سمح به الزمن ، غير اني أتوقع ان تقولوا لي : أدركنا هذا كله ، ولكن كيف السبيل الى ذوق نذرة الادب ، كيف السبيل الى الاتصال بهذا الأفق والعلم بهذا الفعل والخلوص الى هذه الغاية ، ولو قلتم لي شيئا من ذلك لوقع القول مني . فوقعه لان السر كل السر في تمهيد هذه السبيل قال الامتاز لانسون :

« لا أكاد أفهم كيف يدرسون الادب من دون ان تكون غايتهم في دراسته ثقافتهم وحدها ، لا أكاد أفهم كيف يدرسونه من غير ان يكون مرمى فكرهم الالتذاذ بالادب ، لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الادب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم في نظام واحد وان يهبثوا طرائق في التدريس وان تكون وجهتهم أصح وأوضح من وجهة هواة الادب الصغار . ولكننا لا ينبغي لنا ان ندخل عن امرين : الامر الاول ان أستاذ الادب الذي لا يبنى بثنية الذوق الادبي في تلاميذه ولا يستميلهم الى ان يهبثوا كل حياتهم في الادب عما يشغذ افكارهم ويسليمهم عن همومهم لا يكون أستاذاً صالحاً ، هذا هو الهدف الذي يجب علينا ان نرمي اليه لان نعد للطلاب جوابات الى يوم الامتحان ،

والامر الثاني لا يستطيع أستاذ الادب ان ينفع بتدريسه ان لم يكن هو نفسه من هواة الادب قبل ان يكون من العلماء ، لا يمكن ان يثمر تدريسه اذا لم يبدأ بتثقيف نفسه بهذا الادب الذي ينبغي له ان يجعله ثقافاً لغيره ، لا يمكن ان يؤدي تدريسه الى الخوائيم الحسنة اذا كان تقب عن الآثار الادبية وجمعها ، ولم تكن غايته في تثقيبه وجمعه زيادة ادراكه للادب وزيادة لذته بعد هذا الادراك .

ما أسمع هذا الكلام ! ما ألقه بالحقيقة ! الأستاذ الذي لا يعنى بتثمية الذوق الادبي في تلاميذه لا يكون أستاذاً صالحاً ، تثمية الذوق هذا هو هدف الأستاذ وعلى حسب ذوقنا الادبي يكون شعورنا بالجمال . واحاسنا للقيج ، على حسب هذا الذوق يكون ادراكنا لحاسن العالم وقايجه ، فاذا فسد ذوقنا الادبي ضف شعورنا بجمال العالم وبهجة الحياة ، اذا فسد هذا الذوق انقلبت أضواء الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، وما انحط الادب الا لفساد الذوق ، أصبحنا في عصر لا نستطيع التمييز فيه ، نعرض علينا الآثار الصالحة فلا نهتدي الى التلذذ بصلاحها ، ونعرض علينا الآثار الفاسدة فلا نتقبض عن مواضع فسادها ، ولو سلم ذوقنا لتيقظ فينا الشعور بمناعة الآثار وشناعتها ، فما كل اثر من هذه الآثار الادبية فاسد قبيح ، ولا كل واحد منها مانع جيد ، فالذوق وحده هو الذي يهدينا سواء السبيل في التمييز والاستاذ هو الذي يقوي فينا هذا الذوق .

تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب .

وقبل ان أبين كيف يستطيع الأستاذ ان يروض تلاميذه على ذوق لذة الافكار أحب ان انظر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لانسون) اي أحب ان أبين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هواة الادب لا يستطيع ان يثقف ذوق تلاميذه ، فالادب شيء وعلم اللغة شيء آخر وقد يجوز ان يضرب الأستاذ في اللغة بالسهم الفائر وان يأخذ منها الحظ الاوفر ولا يكون في هذا كله ادبياً ، اي لا يعرف لما كن الجمال ومواطن القبح في آثار اللغة الخالصة فاذا خرج الأستاذ عن ان يكون أدبياً ، اذا لم يستطع ان يذوق لذة الجمال أعظم التدريس وأفسد الاذواق ومعنى فسد الذوق فسد كل شيء في الادب ، أستاذك ذوقك : هذه كلمة (فولتير Voltaire) .

قلت : تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب ، فكيف يثقف هذا الذوق

ويقوم ، كيف يدرب نجلي التمييز في الآثار الادبية ، هنا العقبة الكؤود ، وهنا يظهر ضعفنا وينكشف أمرنا . مثلت مرة عن رأيي في أساليب طلاب (البكالوريا) في الانشاء ، فقلت بعد التمهيد والتدقيق في جملة ماقلت : ان الطلاب لم يتمموا التعمق كله في الموضوعات التي طرحت عليهم ، فقد كانت أفكارهم سطحية على انهم كانوا يستطيعون بفضل ثقافتهم العامة التعمق في الموضوعات والذنب في ذلك يرجع الى أساليب التدريس فلم ينظر الطلاب في كتاباتهم نظرات عامة اي انهم لم يبحثوا عن كاتب او شاعر على وجه عام او عن نتائج عصر من العصور على صورة عامة ، او عن التطور الادبي في خلال العصور ، ان الاساتيد لا يدربونهم على التفكير ولا يهودونهم ان تكون لهم أفكار عامة في موضوعات حديثة . وجملة القول ان تدريس الادب ينقصه الشيء الكثير فهو لا يستند الى دراسة المصادر الادبية نفسها اي الى دراسة كلام المؤلف او شعر الشاعر او خطبة الخطيب فان تفسير هذه المصادر هو المعتمد عليه . وفي تدريس الادب والظاهر ان هذا القصر ذاته كان في مدارس فرنسة حتى جاء في بلاغات وزارة معارفها سنة ١٩٠٢ ان تدريس الادب يجب ان يكون أساسه درس المصادر الادبية نفسها .

المعول عليه من كلامنا هذا درس المصادر الادبية لان هذا الدرس هو الذي يقوم الذوق فكيف تدرس المصادر الادبية ، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر الشعراء هذا الذي نحوم عليه ونلوب فلا نكاد نصل اليه ، فقد كنا ولا يزال اذا شرحنا شعراً تنوخى تفسير الغريب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيبه . والشئيه على مذاهب الاستعارات والكنائيات وسائر فنون المجاز هذا شيء وليس بكل شيء ، ان التفسير اللغوي قد يولد فينا ميلاً الى معرفة مفردات اللغة ولكنه لا يولد فينا ذوقاً أدبياً اسبى لا يقوي فينا الشعور بالجمال . واللغة كما قلت شيء والادب شيء آخر ، وكثير من علماء اللغة أنفسهم لا ذوق لهم في الادب .

ان هذه المصادر الادبية التي تتفرغ لدراستها تشمل على امور غير امور اللغة وآلاتها ان هذه المصادر انما هي آثار ناطقة يظهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وتكشف لكم عن امواه صاحبها وانفعالاته . فاذا اردتم ان تعرفوا شيئاً من روح الشاعر

ومن فكرة ومن عاطفته فان التفسير اللغوي لا يضمن لكم الوصول الى هذه المعرفة ولكنه يمينكم عليها فاستنطقوا المصادر الادبية واسألوا كلام المؤلف وشعر الشاعر وخطبة الخطيب فان من وراء هذا كله اشخاصا ينطقون ويشعرون فاذا خالطتم هذه المصادر ومازجتموها احاطتم بظواهر اصحابها وبواطنهم واتصلتم بأسرارهم والغازم فعرفتم خصائصهم وطبائعهم واعتديتم الى اخلاقهم وادضاعهم فنشأت في انفسكم من هذا كله لذة منقطعة النظير ومن هذا يتبين لكم انه لا بد لكم من الاحاطة بعلم النفس حتى تستطيعوا ان تمضوا القول في روح الشاعر وفي عواطفه .

قلت : المصادر الادبية تدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه انه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحاول درس شاعر من شعرائه فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي ايقظها فاذا كنا مثلاً ندرس المتنبي ووقع نظرنا على اسلوب غريب في شعره او على لفظ غريب فلا يصح ان نجزم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا ان هذا الاسلوب غريب قياساً الى عصر المتنبي اذ انه قد يكون غريباً في عصرنا ومألوساً في عصر ابي الطيب . يستنبط مما تقدم اننا ينبغي لنا ان نستعين بالمصادر الادبية نفسها على فهم روح صاحبها وافكاره وعواطفه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي . نشأ هذا الذوق وكانت سليماً خالفاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وبهذا الشعور يزداد لذتنا بمحاسن العالم نفسه على اننا لانستطيع ان ندرك حقائق المصادر الادبية الا اذا كنا منفردين بامر البحث والتنقيب فلا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فينا ، لا ينبغي لنا ان نكرر كلام غيرنا على اثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الادبية جامدة لا روح فيها . —

قال الامتاز « لانسون » :

« اذا حاولت ان تصور خصائص المؤلفات وطبائع اصحابها امتنعت عن تخليص آراء من اولمت بهم من الاساتذة في هذه المؤلفات اشياء « نين » و « سانبورف » و « غاستون باري » و « يرونير » فالاولى لي وانا اخوض في موضوع ليس فيه حقيقة مبنية على اصول مستندة الى عقل ان ألخص ما انشأته في قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وما اخطرتة

بيالي من الآراء وما اعتدبت اليه من صيغ فكر المؤلف وعاطفته ، وعلى هذه الصورة وحدها تكون الدراسة صادقة ، فيها روح اذا انه لا يستطيع احد ان يستميل غيره الى الامور التي يخوض فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي ذاقه هو نفسه في هذه الامور » .

هذا ما قاله لانسوت ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المثني مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المثني نفسه دون ان نردد ما قاله فيه بعض الاساتذة كالثعالي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حس المثني لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المثني وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا اري اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بأرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل ابي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والمحافظة فتتغير آراء الناس فيه بتغير اذواقهم وعواطفهم انظروا مثلاً الى « فيكتور هوغو » فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب خرج لقد ذهب اعجاب المعجيز به الذين كلوا واهوا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الالهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم فلق الادب واضطرابه فاذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر ان الذين يريدون ان يذوقوا لذة الادب بالانفراد بأرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

هنا ما حاولت تقريره في هذا المجلس وما أريد ان أبسط القول اكثر من ذلك ، ولئن كانت خلاصة حديثنا الاول : الادب روح الوطن وعبقريته ، بخلاصة هذا الحديث ثقيف الذوق هو الذي يضي لنا الظلمات حتى ندرك روح هذا الوطن وعبقريته .

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

تمازج الثقافات

ما ارى حاجة الى ان اعيد في هذا المقام ما قلته في دراسة المصادر الادبية ، فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب علينا ان نقرأ كلام الكاتب او شعر الشاعر او خطبة الخطيب ، عرفتم كيف يجب علينا ان نحيط بروح المؤلف وبافكاره وبعواطفه ، وننظر في اتصال هذه الامور النفسية بعضها ببعض وفي تفصيلها ومظاهرها ، عرفتم كيف ينبغي لنا ان نبحث عن بيان المؤلف وفنون افصاحه ، وعن خصائص لغته وأسلوبه ، وفي الجملة فقد عرفتم كيف ينبغي لنا ان ندرس المصادر الادبية واذا قلت : دراسة المصادر الادبية ، اردت بذلك التعمق في التنقيب عن فكر المؤلف وعواطفه ، والتمكن من معرفة مراميه والوصول الى تلك الذكريات التي كانت تخطر بباله في ساعات تأليفه وكتابته ، فاذا كنا نقدر كلاماً فكأننا نحاول ان نقوم مقام صاحب هذا الكلام ونبحث قبالة اعيننا حالة عقله من مرقدما ، ونعيش فكره واتصاله بعد ان ذهب اثره ، وانطوى ظله ، ولم تبق منه الا صفحات لا نرى فيها في فاتحة الامر غير صور بعيدة عنا ، وتعبير جامدة لا روح فيها ، فاذا عالجناها انتفضت من مدانها فأصبحت صوراً ناطقة تشعر وتفكر .

كان يجب عليّ بعد ان فرغت من هذا التمهيد ان اشرع واياكم في قراءة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عباد وابي تمام ، وانا لاشك في ان لهذه الاسماء العربية صدى في آذانكم لا يفجده لغيرها من الاسماء غير اني اذا كنت قد استعنت بطائفة من آراء الافرنجة على الخوض في موضوع للعرب فيه المقام الارفع والمحل الاشجع ، فما اردت بذلك ان اكفر نعمة ادب ذهبت في الشغف به كل مذهب ، ما اردت ان اكفر نعمة لغة امتزجت بالنفس محبتها ، والعود غرض والفن رطيب ، الا انه اذا كان يقسر لي الاستشهاد ببعض آراء شيوخ ادبنا في قديم الدهر كالجاحظ واشباهه ، ومن هم اشباه الجاحظ ، فما كان يقسر لي الاهتداء الى كل الآراء ، والادب قد ليس في هذا العصر يرداً شيئاً فحدث فيه حوادث وعثقت فيه هوائق ، وتجهت مناهج وسلكت مسالك ، فلما ندوحة لنا عن الاقتباس من بعض الافرنجة ولا غضاضة في ذلك فقد اخذوا عنا فأخذنا عنهم وتلك الايام نداولها

بين الناس وما زالت الام في قديم الدهر وفي حديثه يقتبس بعضها من بعض وقد بما تمازجت الثقافات فأدى تمازجها الى العواقب المحمودة في عبقرية الفكر .

لنلنث قليلاً الى القرون الخالية فللنظر الى الرومان كيف اقتبسوا ادبهم من اليونانيين فقرأوا كتبهم ونقلوا طرائقهم ولتنظر الى الادب الفرنسي في القرون الوسطى كيف انبلج نوره من أفق اللاتينية وهذا « مبنسر » اخذ عن الايطالية في ايام تجديد ادبها ، وهذا الشاعر الانكليزي « تومسون » قد اثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنة من المصريين المذكورين وقد كان « فولتير » بمبدالكتاب « اديسون » وكان « روسو » و « ديدرو » بمبدال « ريشاردون » واي تأثير اعظم من تأثير شاعري الانكليز « شكبير » و « بايرون » في الادب الفرنسي ، وقد كان شعراء الادب الوجداني في فرنة متصلين الاتصال كله « بولترسكوت » ومن « ميشله » الى « رنان » قد استنزل كتاب فرنة الذين نظروا في مصائر النوع البشري وحبيهم من المؤرخ الالماني « هردر » وشاعر الالمان « غوتي » استنزل وحبه من ادب المتقدمين وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتبس الاسبانيون ادبهم من شعراء فرنة مثل « مولير » ولم يقصر الروس في الاخذ عن الادب الغربي في القرن التاسع عشر ولم يحجم البولويون عن اقتباس ادب فرنة وايطالية ومانية وانكلترة .

مالنا وهذه الاعجيبات فلتنقل الى ناحية اقرب . هذا ادب العرب نفسه ، أفلم يدخله شيء من حكمة الهند ، وفلسفة اليونانيين ، وادب الفرس ، وهذه مصر في عصرنا أفلم يكن للثقافتين الفرنسية والانكليزية اثر في كتابات ادبائها ، أفكان يستطيع اساتيد ادبها ان يسلكوا هذا المسلك في ادبهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاجنبيات .

معاذ الله ان ارمي في قولي هذا الى الخروج على عبقرية ادبنا فان الامة التي لا تنصل بماضيها لا تثق بماضرها وآتيها ، وان لنا من هذا الماضي الشيء الذي نفخر به على وجه الدهر ، ان لنا من هذا الماضي محاسن لا تبلى سحيب السالي ، ولكن تجديد الادب في هذا العصر امر لا مندوحة عنه ، فان الافراط في المحافظة على هذا الادب لا يقل ضرره عن الافراط في التجديد ، ولو شئت لتلوت عليكم صفحة كتبها ابو الحسن احمد ابن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه التقريب ، ما اظن احداً من ادباء هذا العصر

بمقد فصلاً ابلغ من هذا الفصل في التجديد قال ابو الحسين :
 « ومن ذا حظير على المتأخر مضادة المتقدم ، وله تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول
 للآخر شيئاً ، وتدع قسول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا زمان ، ولكل
 زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونشائج العقول ،
 ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، وله لا ينظر الا آخر مثل
 ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى سبب كل ذلك مثل رأيه ،
 وما نقول لفقهاء زماننا اذ ترات بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان
 قبلهم ، او علمت ان لكل قلب خاطر اكل خاطر نتيجة ، وله حجرت واصفا وحظرت مباحا
 وحرمت حلالاً ومحدث طريقتاً - لو كانت ، ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم
 كثير ولذهب ادب غريب وانضات افهام ثاقبة ولكلت السنة لسنة ولما وثى احد خطابه ،
 ولا ملك شعباً من شباب البلاغة ولجت الاسماع كل سرود مكرر وللفظت القلوب
 كل مرجع مخف » .

ما أثقب نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما الهدى فكره ! ما اصفى ذهنه ! لو اقتصر الناس
 على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غريب ، ان عقل البشر ينسبط افقه من عصر
 الى عصر ، ويتسع بحالة من دهر الى دهر فيولد في انبساط هذا الافق واتساع هذا المجال
 الفاظاً ومعاني لم تكن من قبل ، وينشئ الادب لهذه المعاني اساليب طريفة ويغريها في
 قوالب حديثة ، وعلى هذا ينتقل الادب من طور الى طور ويترج من حال الى حال على
 تماقب الاحتماب ، ولو ثبت هذا الادب على اساليب محدودة لآتى عليه حين من الدهر
 لم يك فيه شيئاً ، لو تخلص هذا الادب من عوامل الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً انسا
 نجد مذاهب تولد ، ومذاهب تموت والفاظاً تدفن والفاظاً تبعث واساليب تعيش واساليب
 انقرض ، ما اعظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ « شارل ريشة » احد اعضاء معهد باريز :
 « يسير العلم في سبيله صيراً تحار ثواب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في
 عنقوان امره ، وربمان عمره ، فالعالم « اوكسيميدس » على نبوغ فضله وبراعته ، كان
 مجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، واجمل تلميذ من تلاميذ المدارس
 التجهيزية يعرف من العلوم اقوراً مجهلها العالم « غليله » نفسه ، ما بين العالم « فرنكلان » وبين

العالم « اثنتين » مائة وخمسون سنة فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن ، وما هو قرن ونصف قرن ؟ المشي غير وثيد ، اننا نسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتنيه من العلوم سلطان عظيم على المادة . مما اختلفت أشكالها .

هذا ما قاله (شارل ريشه) في كتابه العالم . ولو قلنا لي وما هي الاواصر بين العلم والادب لأجبتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لا يتخلو من التأثير في الفكر وبالادب كما اشرت الى ذلك في حديثي الاول تستقيض مذاهب الفلسفة والعلم في طبقات الناس فتعمل عملها في أوضاع الجماعات ، فالادب ظهير العلم ومعينه ، ولو نظرتم في تخالط الامم في هذا العصر وثقارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها ، وآثار عولها ، لرأيتم ان الثقافات لاندحة لها عن التمازج والتواصل ، فالامم يأخذ بعضها عن بعض ويهتدي بعضها ببعض ، لا شك في ان لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها تصلح لها وقد لا تصلح لغيرها من الامم غير ان تمازج الثقافات اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أفضى الى الخواصم الحسنة في نتائج العقول وثمرات الالباب لنضرب مثلاً لذلك .

قلت : لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها ، فاذا قابلنا بين الشعوب السامية وبين الشعوب الآرية وجدنا ان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تستره وتنطيه ، ولذلك فانك تجد لغة التوراة لغة شعرية ساطعة الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة ، فالذهن في الامم السامية عنيد فانه يحفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، اماالذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسج من المادة ويرتفع الى تصور الفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد^(١) .

(١) رأي الاستاذ « دارمستر » صاحب كتاب : حياة الالفاظ .

فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كالفرس واليونانيين انتقلت آثار هؤلاء إلى العرب والفلسفة من جملة هذه الآثار ، فهي نتيجة من نتائج تمازج الثقافات وما أظن أن الفلسفة خلت من رسوم حسنة في الفكر العربي .

ما أردت التبسط في هذا الموضوع ولا كانت غايي استنهاض همكم للتقليد فاني من المتشدين في الحرص على أوضاع أدبنا والاحتفاظ بمذاهبه ، إلا أن هذا التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يزيد في رونق أمثنا وأدبنا فاني أخشى إذا جمد هذا الأدب أن يضيق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فإذا أخذنا في بعض الإحاطين عن ثقافات الأمم ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقد يما استعان أدباؤنا بآثار من جاورهم وخالفهم فما نقصت مقاصد يرم ولا خفت موازينهم ، فطلعوا على قومهم بأدب معتول الحواشي مهذب الاطراف ، على أني لا أقول بالمبالغة في الأخذ والاقتباس فإن إيراد الأدبي روحاً يجب علينا أن نحافظ عليه ، وإن للعصر روحاً مالنا منه فلت ، فالنأليف بين الروحين صقال الأدب ونموه .

دمشق : في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

قصص وشوارب

الارض مشعلة : كثيرة الثعالب . وسرفة كثيرة السُرقة وهي دويسة سوداء .
 الرأس وسائرهما احمر فتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على مثال النابوس تضم
 بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه ومنه المثل (اصنع من سُرقة) .
 ومشبولة كثيرة الاشبال . ومشاعة ذات شاء او كثيرة الشياه . ومفعاة كثيرة
 الافاعي . ومقارة وفثرة كثيرة الفئران . ومقدرة كثيرة الغدور اي الوعول الغادرة .
 ومضبة وضبة كثيرة الضب . ومضفة كثيرة الضفائيس والضفوس ولد الثعلب .
 ومبعضة كثيرة البعوض . ومبقة كثيرة البق . ومحياة ومحواة كثيرة الحيات .
 ومكلبة كثيرة الكلاب . وموزة كثيرة الوز . وموحشة ذات وحش او كثيرة
 الوحش . وماوزة كثيرة الأوز . ومجرودة كثيرة الجراد . ومشورة كثيرة الثيران .
 وجردة كثيرة الجرذ .

ويقال أظبت الارض كثرت ظباؤها . وأصبح الطريق كثر فيه السباع .
 وأضب المكان كثر ضبابه . وأبعض القوم صار في أرضهم البعوض .
 وأرض محرشة كثيرة الحرباء . ومسروة ذات سرود وهي البيوض من الجراد
 والسمك والضباب . ومظباء كثيرة الظباء .

* * *

واتهمج الرجل طلب النهج . وأوعر السالك وقع في وعر من الارض . وأجد لزم
 الجد وهي الارض الغليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجد آمن العثار .
 وحق الطريق ركب حاقه اي وسطه . وسمت : لزم السمت وهو الطريق والمهجة
 نقول خذ في هذا السمت .

وأسبل الطريق : كثرت سابلته . وطرق الموضع : جملة طريقا يقال لا تطرفوا
 المساجد — وللابل : جعل لها طريقا . واستطرق الشيء : اتخذ طريقا . وأجد
 الطريق : صار جددا . واستنهج : صار نهجا .

* * *

وعشّر الغراب : نغى عشرة أصوات في طلق واحد . ونغى نغيقاً ونغافاً : صاح غيى غيى . وقطّات القطا تقطو قطواً : صوّت بقولها قطا قطا . وقطقطت صوتت وحدها . وعندل المنديل : صوّت ومثله وطّ الوطواط وبطبط البط وزرزر الزرور ونختت الفاخنة . وقد مأأت الشاة والظبية مأماًة : واصلت صوتها فقالت مى مى . ولقلق اللقلاق : صوّت . وكذا فعقع القعّعة وتضوّع الضوّع .

ويقال داهى القوم مداهاة ودّهاة اي أصابهم بداهية . وصأتهم الصألة : أصابتهم والصألة الداهية ومثله ذبأتهم ذبول . وفقرته الداهية فقراً : نزلت به فكسرت فقار ظهره . وقد تره الرجل ترهماً اي وقع في الترهات . وأصبر : وقع في أم صبور اي الداهية . ودبلته الدبول اي دهمته الدواهي . وأفلق الرجل : جاء به ماقى فلامق اي بالداهية .

وأفتق الرجل : ألعّت عليه الفتوق اي الآفات من جوع وفقر ودين . ونكبه الدهر اي أصابه بنكبة . ووتر فلاناً أصابه بوتر . وأفظمه أوقعه في اسرفظيم شديد . والأى الرجل وقع في اللاواء وهي الشدة والمحنة . وأزى الناس : أصابهم الأزل اي ضيق العيش وقحطوا . وأستنوا أجدبوا واصله من السنة بمعنى القحط والجدب . وشنا القوم وأشتوا : أجدبوا في الشتاء . وثغبوا ثغباً أصابهم الثغب وهو القحط . وأعمل الله الأرض : جعلها محلة . وأخطها أصابها بالقحط . وجرد القحط الأرض وجردها : جعلها جرداء . ودّيت الأرض : أكل الدب نباتها فهي مدبّوة ومدبّوة . وجردت وجردت : أكل الجراد نباتها — وجردت الزروع : أصابها الجراد . وبشّر الجراد : أكل ما على بشرة الأرض اي وجبها .

ويقال اكثأت الأرض : كثرت كثأتها وهي الخنزاب او الكراث او يزر الجرجير . وأفثأت كثريها القثاء — والقوم كثر القثاء عندم . واجملوا كثرت جهالم . وأشحم الرجل اذا كثر عنده الشحم مثل ألم اذا كثر عنده اللحم . وأبلى الأبل : كثرت . وأبلى الرجل : كثرت إبله ومثله أبلى إبالاً . وتمعّر : كثير عماره وهو

خيار المال والكلاء . وأَضْبَّ البلد : كثرت ضبابه . وأَثْلَّ الرجل : كثرت عنده
الثَّأمة وهي الضأن الكثيرة وفي القاموس جماعة الغنم الكثيرة او من الضأن خاصة ولا يقال
للمعزى الكثيرة ثَأمة ولكن حَيْلَة ، فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لها ثلة ومنه
بنو فلان مُتَيَّأين اي اصحاب غنم .

ورمَّال القوم : كثر رسلهم وهو اللين ما كان . وأزبدوا : كثر زبدهم . وأزاتوا
كثروا عندم الزيت . وأرحلوا : كثرت رواحلهم وهي الابل القوية على السفر والاحمال .
ونفض الرجل ونفض : كثر نفضه اي دراهمه ودنانيره .
وأغزرت القوم : غزرت ابلهم وشاؤم وكثرت ألبانها — وصاروا سبغ غزرت المطر
وهم قوم مُغزِر لهم اي غزرت ابلهم وألبانهم .
وقد أكثر الرجل اي كثر ماله .

(النبك) : سالم خليل رزق

آراء وافكار

قوة الحافظة و كثرة المحفوظات

اذكر في هذه السجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين تؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين وثقله الاخبار قاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والمكاتب الى ما سبغ الحفظ من الفوائد والمقاصد فتشور همهم الى اقتفاء آثار اولئك الرجال و يسرون على مناهجهم في حفظ ما يملية عليهم اسانذتهم ومعلوم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظه قوية فعرف قدرها وما اضاعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانعماك بالاكل والشرب وباقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سذكركه قريباً .

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والا كثار من المحفوظات لأن العائق الذي يعوق غيرهم عن استثمار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » قد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصباب على حفظ ما يتلقونه من اسانذتهم وبذلك يحرزون شرف النبوغ في علومهم وينالون منزلة التفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتوفق لاستخدامها .
وانني قبل الشروع بذكر الحافظة وبيان محفوظاتهم آتي على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — .

قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما وعاه الصدر

وقيل العلم في الصدر لا في السطور ، وقيل العلم ما استحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحديته بمسألة علمية بدهك بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدقيق او الكتاب .

معنى الحفظ — : يقال حفظ القرائن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول المحدثين عرض محفوظاته على فلان ، ويقال حفيظ وحافظ من قوم حفاظ وهم الذين

رزقوا حفظ ما سمعوه وقلما يسون شيئاً بعمونه . و يقال حافظ من قوم حفاظة ككتاب وكتبة والحفظ تقيض النسيان وقلة الغفلة : و يقال رجل حافظة كهمزة اي كثير الحفظ . ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . و يقال حمل فلان القرآن على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً . ومن المجاز ايضاً ظهرت على القرآن واظهرته ا قرأته على ظهر لساني .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — . كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة ويرون ان النبوغ فيها غير متاح الا لمن يحفظها باسانيدهما . وكان حفاظها يملونهما في مجالس لم يحضرها اولو العناية بها و يكتبونها عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم ابن الانباري وولده ابو بصكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى الشريف المرتضى كتاب الفرر والدرر املاء في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ : اما املاء الحديث فقد استمر الى سنة ٨٧٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغانى والنزالي والزمخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم على انفراد قد تضاهي مجملها وعظمها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القرواس من خزائنه حافظته صفواً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزائنه اذ العقل يحيل ان تتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظراً لها بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من الكتب المحفوظة في خزائنه .

فانا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها وكتبتها بما تصيق عنهما ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق ان كانت غير محفوظة له ان تتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

عن مسائله التي تختص كما هو الحال والشأن مع احدها اذا اراد ان يكتب في موضوع ما .

اهتمام ائمة اللغة بحفظ غريبها — . كان المشتغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب نغم الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فيجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم ان يقيد رجله بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فانفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جنت فقال :

روعت عجوزي أن رأني لابساً حلق الحديد ومثل ذاك يروع

قالت جنت فقلت بل هي همة هي عنصر العلياء والنبوع

سن الفرزدق سنة ثبعتها اني لما سن الكرام نبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن . واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجله بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن .

ما يجب على الحافظ مراعاته — . يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بمواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساوٍ له في المعنى جلاء وخفاء من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظها لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه .

ومما يجب على الحافظ ابصاراً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالبيضاء تنطق بما تلقن من الكلمات ولا تفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه انه كان يحفظ كتاب الروض للقري ولا يفهم لمائله معنى فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها ويحصلون منها على بغيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأ عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فمشاء كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفية بقوله :

حمار الغيب ايش معنى حامل ثقل الارامل

غير مثلهذ مجلوه وهو حامل الحمل باطل

وقال مروان بن أبي حفصة بدم قوماً استكثروا من رواية الأشعار من غير تفهم ما فيها من المعاني والطائف :

زوامل للأشعار لا علم عندهم يجيئها إلا كعلم الأباقر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوقاه أو راح ما في الفرائر
ومما يجب على الحافظ أيضاً أن يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فإن ترك التكرار من أكبر
موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان وأعظم بواعث النسيان الترك . قيل للاصمعي كيف
حفظت ونسي أصحابك قال درست وتركوا .

مورثات النسيان . — يروى عن سيدنا علي بن أبي طالب أنه قال : عشرة تورث
النسيان كثرة المم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل
الكسفرة واكل سور الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشى بين القطارين
والقاء القملة حية اه . كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويتجافون عن اتيانها وان
كانوا يعجزون عن تعليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط الكائن
بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سور الفأر والقاء القملة حية وقد عد
قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى ما يجب ستره
واطالة النظر في النجوم .

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيراً في الحافظة
وهي البطنة ويقال لصاحبها البطن وهو الأثر المتحول ومن همه بطنه او الرغبة الذي
لا ينشئ من الاكل كالمبطان فقد قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات
الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ وينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والمخدرات
على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السعوط والتدخين بالتبغ ، ومنها
كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبطل الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرفها بكتبتها الى
الاشتغال باحراز المال وطلب الرياسة فان المتدهور في هذه الهاوية السحيقة لو كلفته
حفظ حديث او بيت واحد لا ظهر لك العجز عن حفظه .

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في تورث النسيان — المم ولا سيما ما يتوالى منه
كل يوم على العائل الملقى وما يعانيه من الضحك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواح الفكر والفنك في القوة الحافظة والاغارة على ما اكتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقد نقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكتسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية يخص الله بها من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لا تنال بالسعي ولا تدرك بالارادة .
لا يكبر على القاري تصديق ما سنورده في اخبار اقوياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات نقلة الاخبار بل يعتقد ان للطبيعة خوارق تتخذ لها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه الملكة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثمارها على غيرم بما كانوا عليه من صفاء القرائح وبساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد يحسنى العقبى فلم يسلطوا على تلك الملكة ما يضعفها ولا قارفوا شيئاً من مورثات النسيان بل يتجافوا عنها جدالتجاني واعظم . استعانوا به على صيان موهبتهم هذه تجردم من حب الدنيا ومجرم المذات البدنية وايتارم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فتسوغوا بالمغاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكى ان ابا حامد الاسفراييني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيا كان يعيش عبثة الكفاف ، يحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة ويعيش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام اليزدي كان له عمامة وقميص بيضاء وبين اخيه اذا خرج هذا قعد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابانصر محمد الفسارابي كان قائماً بالسير من الرزق كان في اول امره ناطور بستان في دمشق وهو مع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضي على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لا يعتره نصنع ولا يعرف السرور ولا أحوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرنهما نصف دينار في الشهر يقنم به ويشتري منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوء ويحته حصير قصب وعليه ثوب خلق ولا يخرج من بيته الا يوم الجمعة وسيراليه المستضي خمسة دنانير فردها فقال له اجعلها ولدك فقال : ان كنت خلقتك ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لا يأكل الا البقول ولا يشرب الا قرب العصر مراعاة لحفظه وسبأني ذكرهما . ولوأردت

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المنقشين في معابشهم إيثاراً للذة العلم على كل لذة لاتسع لنا المجال وأقصى بنا الحال الى الملل .

وهنا أشرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم سبغ افتتاح هذه المقالة : أبدأ بتسطير سنة وفاة أحدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات : مقتصرأ على ذكر أشهر مشاهيرهم مضرراً عن ذكر من نقل عنه انه كان يحفظ كتاباً او كتابين فان الإحاطة بذكر هؤلاء مما يملأ مجلداً ضخماً يجدر ان يؤلف على حدته فأقول :

(سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة انه استشهد عمر بن ربيعة القرشي شبيهاً من شعره فأشده قصيدته التي اولها :

امن آل نعم انت غاد فبكر غداة غدر ام رايح فهجرت

وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه احد الحاضرين بقوله : أنضرب اليك اكباد الابل تسألك عن الدين ويا تيك غلام من قريش فينشذك سفها فقال عبدالله ما سمعت سفها فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيجزي واما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس ما هكذا قال وانما قال (فيضي واما بالعشي فيخسر) قال المعترض او تحفظ الذي قال قال والله ما سمعتها الا ساعتي هذه ولوشئت ان أوردتها لأوردتها وأنشده اياها كلها .

(سنة ١١٧) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في حفظه قال ما قلت قط لمحدث أعده علي « وما سمعت أذناي شيئاً الا وعاه قلبي » قال الامام احمد بن حنبل في حقه : قتادة عالم بالفسير و باختلاف العلماء ثم وصفه بالثقة والحفظ وقال فلما نجد من لقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة لحفظها .

قلت لانجد ما تشبه به أدمغة من عرفوا بحفظ ما يلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة كمبداه بن عباس و قتادة وابي تمام والمنفي والمري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا بالجماعة او حافظة العدى (الفونغراف) فان ذلك القرص شبيه بادمغة اولئك من جهة حفظه ما يلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة .

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استحققت هذا الاسم فقال لاني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم عن تعترف بانك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا حديثاً الا ميّزته القديم من الحديث ، فقال له فيكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استخلفه ان يصدقه عنه و يستوفي عليه فأنشده الثنين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخير الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف أقاويل العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار الهزليين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك قلت انافاري فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جلة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رفاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ بتذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظ فالتفت ابو عبيدة وكانت من جملة الحاضرين وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولا دخل قلبي شيء يخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريدني بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرفاع وانا اعيد من حفظي ما فيها وما وقع بها الأمير على كل رقعة منها فأحضرت الرفاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل أبق على نفسك من العين فكف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الحميدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة متى سمعها مرة واحدة ، وانشد المجتري قصيدته التي اولها « أأفاق صب من هوى فأفينا » وكان ابو تمام حاضراً لحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعين بيتاً وقصبتها مشهورة مذكورة في ترجمته .

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ وال ضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعين الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتنح حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوها متونها واسانيدوها وجعلوا من هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسميها ويتجاهل بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يحيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى مثله فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل .

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل في حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق . قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذا ذكر بمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فنسيته . واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

(٣٠٢) يونس بن حبيب النخوي : قال ابو عبيدة معمر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملأ كل يوم الواحي من حفظه .

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النخعي في مكتبه فربما استعار بعض الصبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبد الله فيقول له اقرأ علي فاذا عمل قال أعده ثانية

- ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك .
- (٣٢١) محمد بن الحسن بن دريد اللغوي : كان واسع الرواية لم يرا حفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فيسابق الى اتمامها من حفظه .
- (٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النحوي : كان أكثر الناس حفظاً في الادب قال ابو علي القالي — كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد أكثر الناس في محفوظاتك فكلم يحفظ قال أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشر بن تفسيراً للقرآن بامانيدهما .
- (٣٥٤) احمد بن الحسين ابوالطيب المنبي : كانت مريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب لبيم فأخذه المنبي من يده وطقق يقرأه فقال له صاحبه ادفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقراءه فدفع المنبي الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومررتلادته حتى أتى على آخره .
- ومما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشيا ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال جملي وطرربي قال الشيخ ابو علي فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجده لثنين الجمعين ثالثاً فلم أجده .
- (٣٥٦) علي ابوالفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى : قال التوخي في حقه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم — ابوالفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغانى والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ارقط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المنسامة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة وننف من الطب والنجوم .
- (٣٥٦) اسماعيل ابوطي القالي صاحب الآمالى المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً .
- (٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس ومجوم .

(٣٩٣) محمد أبو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد صاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه « قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال للصاحب قل له قد اذنت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب تخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال للصاحب « هذا يكون ابابكر الخوارزمي » فاذن له سيد الدخول فدخل عليه فعرّفه .

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالسديع الممذاني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمها غير مرة واحدة فيعيد لها من حفظه مقالوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهزما على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبدالله بن حمدويه الحاكم الفسي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه يجره من الحديث واجتله في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجعفر بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان حفظ هذا اضيق مما انت فيه .

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املى من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد نواطأت على وضعه فيجيب عنه ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه .

(٤٤٩) احمد ابو العلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يميله العقل وقد اقتصرنا منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سيما ان راويها ثقة معروف وهو الامير اسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجلست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبيثة ضريبة ظريفة لم تسمع بمثليها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال هي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام فلانل عدة كتب وذلك اني اقرأ عليه الكراسة والكراسين

مرة واحدة فلا يستعبد الا ماشك فيه ثم يتلو علي ما قد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت فله يكون محفوظاً قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي ديم الخلقة مجرد الوجه على عينيه قلبلاً وهو يتوقد زكاه بقوده رجل طويل من الرجال احسبه بقرب من نسيه ، فقال له الخازن يا ولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال سمعاً وطاعة فيختار ما يريد ، قال ابن منقذ فأخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج ويستزبد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول اعد علي هذا فأردده مرة اخرى حتى انتهت الى ما يزيد عن كراسة ثم قلت له يفتن من هذا من قبل نفسي قال اجل حرسك الله قلت كذا وتلا علي ما املته عليه وانا عارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهت الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقبل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى .

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللخوي المعروف بابن سيده الخريز : قال في حقه ابو عمر الطلمنكي - دخلت مرسية فتشبت بي اهلها ليسموا علي كتاب (الغريب المصنف) فقلت لم انظروا من بقرأ وانا امسك كتابي فأنو برحل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتعجبت منه .

(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين : كان يحفظ اثنتي عشرة الف ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المذهب لابي بكر الصيدلاني في مجلدات ويحفظ تفسيراً لثعلب جميعه .

(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالغزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته الكثيرة فلا حاجة للنطوبان في ذكر محفوظاته .

(٥٤٤) محمد بن مروان الاشيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .

(٥٨٠) الخضر بن ثروان التوماني : كان يحفظ الجمل وشعر الهزليين واخبار

الاصمعي ورؤية والعجاج وذو الرمة وغيرهم من المخضرمين واهل الجاهلية والاسلام .
(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي : كان يحفظ القرآن وكتاب
التنبيه في الفقه وشعر الحماسة .

(٥٩٥) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية العجيبة في
فن القراءات السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه
ويملئ النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وقر بعير من العلوم
بحيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها .

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكنافي المقلاني : كان يحفظ مختصر الخرق في الفقه
والألفية ابن مالك والطوالع للبضاوي والشذور والملحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة ويحفظ
غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها بر علماء عصره .

(٧٢٨) الامام احمد بن نبيه له من المؤلفات المفيدة ما يربو على اربعمائة كتاب كلها
كان يملئ من خزانة فكره ويقتربها من بحار معرفته وكان الناس يبهتون من كثرة حفظه
فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي .

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والألفية ومنهاج
البضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره .

(٨١٢) محمد بن يعقوب الفيرز آبادي صاحب القاموس المحيط كان سريع الحفظ
وكان يقول لا اقام الا واحفظ مائتي سطر ومما يدل على قوة حافظته اتيانه يردف لكلام
علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسالوه عن قول علي لكاتبه (الصق
روانفك بالجبوب الخ) .

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التنبيه
لابي اسحق والنية ابن مالك ومنهاج البضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والنية
العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره .

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي
والارشاد لابن المقرئ والنية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البضاوي في اصول الفقه

والشاذلية وكافية ابن الحاجب الفية ابن مالك الطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزى .

(فريق من الحفظة الذين لم اهتم الى تاريخ وفياتهم) — منهم الميثم بن احمد بن غالب قال في كتاب فتح الطبيب : كان آية في الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقترحوا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي بأرق) وسمّاه قدنام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف .

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال في الشقائق النمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر ابن الحاجب للمعتمد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطبيي .

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين التفتازاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الا وهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لا يمكن ان يكتسبها من حفظه . ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : سئني عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ما ذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ . وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشف للزحشرى الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه .

وهنا استوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء اقرباء الحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بيان اسمائهم لقاتل عن جريه صفحات المجلة وانما اكتفي الآن بايراد هذه النبذة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك الله) .

حلب : كامل الغزي

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

حوليات مصر السياسية

« تأليف أحمد شفيق باشا »

• تمهيد الجزء الثاني ص ٧٩٩ وملحقه ١٢٨ ص طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م

• تمهيد الجزء الثالث ص ٧٣٥ طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م

• الحولية الاولى سنة ١٩٢٤ م ص ٦١١ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م

• الحولية الثانية سنة ١٩٢٥ م ص ١١٠٤ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م

• الحولية الثالثة سنة ١٩٢٦ م ص ٧٠٧ طبعت سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م

• وكلها مطبوعة في مطبعة شفيق باشا ومطبعة حوليات مصر السياسية بشارع

الدواوين بالقاهرة .

بلغ المؤرخ الاستاذ واضح هذا الكتاب العظيم أمنيته على نحو ما توقعه في الجزء الاول من حولياته (مجلة المجمع العلمي العربي م ٨ ص ٣٠٦) وما أمنيته الا خدمة مصر وتاريخها . وبعد ان مهد لتاريخه في ثلاثة مجلدات عاد فخص كل سنة بمجلد فكتب تاريخ مصر الآن بعد المقدمات المهمة من سنة ١٩٢٤-١٩٢٦ اي ثلاث سنين وتوخى « خطة الحياد في سرد الحوادث وبيان ارتباطها بعضها ببعض » وابتعد « عن الحكم فيها الا بما تقتضيه ضرورة اليات متوخياً في الحكم البحث عن الحقيقة المجردة » « فما زالت علة التاريخ الزنج والميل مع الهوى » « وحسبك ان تعلم ان اول واجبات المؤرخ نبيان عواطفه وأد العواطف الشخصية وأدأ ناماً ، والتحرر من النزعات النفسية إطلاقاً حتى لا تصطبغ كنيته بما يشوش بهاء الحق وينقض من جمال الصدق » .

وفي الحق ان المؤلف راعى هذه الاعتبارات كل المراعاة فيما أصدره حتى الآن من مجلداته الستة المتممة بحيث لا يحتاج الباحث بعدما في تلخيص تاريخ مصر الحديث الا الى الرجوع الى مادون من هذه الوثائق الثمينة وبذلك وفر للباحثين اوقانهم واحكام زبدة ماتم في تاريخ مصر السياسي . وحسب القاري ان يعرف ان العلامة مؤرخ مصر

الحديثة صرف حياته في معاناة السياسة خائفاً فيها مع الخائضين قريباً كل القرب من
الاطواط السياسية . وهو يكتب الآن مجرداً عن مآثره القديمة وقد نصح علمه وصحت
تجاربه . ولذلك يهنا على عمله المجيد الذي خلده به مجد مصر الأخير على صورة ترفع
رأس كل مصري بل كل عربي وشرقي . وفقه الله الى إتمام مشروعه الذي ننوّه بحمله
الجماعات دع الافراد . وانا لارجو ان تثبت همه كل اخصائي في علم من العلوم البشرية
في مصر والبلاد العربية ليقدم لامته خدمة كخدمة صديقنا احمد شفيق باشا ، اذا لا متلات
الخزائن بنفثات الأقلام وخرجنا بالامة الى رحاب البحث العلمي الممنوع ولما خرنا امام أم
القرب بدؤونا وتسلسل اعمالنا ، فمحونا بمملنا وجدنا الوصمة التي طالما وصمنا بها الدخلاء
بومهم ايانا بونا العم افراداً وجماعات .

م . ك

المجمع العلمي اللبناني

« خلاصة اعماله الى السنة الحاضرة (١٩٣٠) » طبعة المعرض بيروت . . .
رسالة في أعمال المجمع منذ نشأته في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ وفيه خلاصة من
تقارير خمسة وضعتها اللجنة الادارية — واللغوية — والجغرافيا والتاريخ — والمخطوطات
ورأي رئيسه وبعض اعضائه في دائرة المعارف . ولم تخرج كلها عن حدود التقارير التي
لم تنفذ بعد وتنتظر عطف الجمهورية اللبنانية حتى تخرج من الاقوال الى الافعال .
وقد استفدنا منه ان في مكتب بيروت الكبرى ٦٧٤ مؤلفاً عربياً مخطوطاً منها ٤٧٦
مجلداً و ١٩٨ رسالة . في الجامعة الاميركية منها ١٨٣ مجلداً و ١٣٤ رسالة . وفي مكتبة
الآباء اليسوعيين ٢٤٥ مجلداً و ٤٤ رسالة . وفي دار الكتب الكبرى ٤٨ مجلداً و ٢٠
رسالة . وان لجنة الجغرافيا والتاريخ « طبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي
كل منها حقول متنوعة لاسماء المدن والداكر والقر والمزارع وعدد النفوس والمذاهب
والانهار والينابيع والجبال والنتاج والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن
الآثار واهم الحاصلات الزراعية والمنسوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون العمرانية
الاقتصادية عداً أما كن الاصطيف ومواردنا التي لها المقام الاول في جبل لبنان » .

والمأمول ان يتم هذا المجمع قريباً وان يشرع المجمع الشقيق في القاء المحاضرات العشر التي اعدّها لهذه السنة وهي معممة في بابها ولا بأس بان نلفت نظر من وضعوا هذه الرسالة الى ان الجامع التي ذكروها في العراق ومصر (بل وشرقي الأردن) لم تعد حداثاً سبب بل حدة الاماني حتى الآن . وعالم الادب ينتظر منها ومن المجمع اللبناني اعمالاً أدبية محسوسة نقرأ بها عيون العرب والعربية .

م . ك

سيد قريش

— بقلم —

« الاستاذ معروف الارناؤوط »

قال ابرو العباس النامي في المتنبي والنامي ، من خواص شعراء سيف الدولة : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ، وانما قرأت (سيد قريش) واحطت بحياة العرب ، وسياستها ، واجتماعها في جاهليتها الجبلية ، خطر يبالى ان اقول في الاستاذ معروف الارناؤوط ما قاله النامي في المتنبي : كان بقي من الادب زاوية دخلها السيد معروف الارناؤوط .

وما هذه الزاوية الا زاوية الرواية ، ولقد دخلها الاستاذ معروف ونجح في صاحتها ، فيأته وفيأها ، فما نكرت جانبه ولا نكر جانبها ، أعطته كل ما ملك ، واعطاهما صكل مملك ، أعطته صوراً مأمدة فأحيها ، وارواحاً جامدة فحرّكها ، والواناً كاملة فصفأها ، فان شئت ان تشاهد شيئاً من حياة هذه الصور ، وحركة هذه الارواح ، وصفاء هذه الالوان ، فارجع الى هاي فصل من فصول سيد قريش ، اني لا ادلك على موضع من مواضع روحها ، فاختر لنفسك ما شئت من لصولها في الفاسنة والمناذرة ، والقياصرة والاكاسرة ، فان كان في قلبك غم لم تفرّجه فارجع الى فصلها في شاعر الفاسنة ، انك تجد دمشق في ربهما الطلق نهش بك ازاميرها ، وتضحك اليك رباحينها ، فاستظل بهذا الظل الخضل ، وان كان في عينيك بجة دمع لم تذرفه ، فارجع الى فصل العرب بين الروم والفرس ، انك تصادف أمة مصدوعة الشمل من قديم الدهر ، تشتري موتها في سبيل حياة غيرها ،

من الروم والفرس ، يصطنعونها في تأييد سلطانهم ، فيتقاتل الحارث الضائي ، والمنذر النخعي حتى يتبسط قيصر او كسرى في بلاد العرب ، وان كان في صدرك وحشة في وطنك فارجع الى فصل الوطن في البادية ، انك ترى البدوي يأبى ان يسكن دمشق وجناتها بدل الصحراء ، فتعلم كيف يكون الحنين الى الوطن .

ارجع الى هذه الفصول كلها ، حتى تعرف ما هو سحر العبقرية ، وتذكر الفرق بين كدة التاريخ ونضارة الفن . لقد وضع الاستاذ معروف الارناؤط حياة العرب قبل الاسلام في جميع نواحيها ، في سياستها ، واجتماعها ، وثقافتها ، على قدر ما هداه اليه التاريخ ، وعلى قدر ما أوحى اليه الرواية ، والتأليف بين حقيقة التاريخ ، وبين خيال الرواية ، هذا هو السحر الحلال الذي يروك في سيد قریش .

« شفيق جبري »

هدايا كتب

(العقود الدرية في الدواوين الحليية) — هي ثلاثة دواوين لثلاثة من شعراء حلب : اولم حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ . وهذا الديوان لم ينشر ولم يطبع بعد . والثاني ديوان فتح الله النحاس المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ وهذا طبع وتداول . والثالث ديوان مصطفى بن عبد الملك البابي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وقد طبع ايضا والاخير منهم هو صاحب الموشح الرقيق الذي وصف فيه عين الذهب ووادي الباب ومطلعه : (بابي وا بابي وا بابي جرة من ماء عين الذهب)

وقد ذهل قانديك في جغرافيته (المرأة الوضية) فجعل هذه العين في الاندلس مذ قال « ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى البابي الحلبي هذا الموشح بابي الخ » والبابي المذكور مات سنة ١٠٩١ هـ اي بعد جلاء المسلمين عن الاندلس بنحو (٢٠٠) سنة فلا يعقل ان يكون — وهو في حلب — قال موشحه في العين التي في الاندلس . وناشر هذه الدواوين الثلاثة هو عضو مجعنا العلمي الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ وقد طبعها في مطبعته العلمية بحلب سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) .

وقد أثبتنا مراراً على نشاط رصيفنا الاستاذ في ما ينشره من الكتب والمخطوطات في الفنون المختلفة فجزاه الله خيراً .

(الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) - اخذت (مكتبة عرفة) في دمشق تنشر على نفقتها من وقت الى آخر الكتب التي تراها أعلق بفائدة الجمهور ، من ذلك الرسالة المذكورة التي ألفها الاستاذ الكتاني المعروف في دمشق بعلمه وفضله ورسومه في علوم الدين ولا سيما السنة والحديث . وقد جمع في رسالته كل ما يتعلق بالسنة وطبقاتها ودرجاتها ، فالتصنيف لما يجد كل ما يهمه وبقيده في الوقوف على علم السنة وتاريخه وتدرجه منذ صدر الاسلام الى اليوم .

(مستهل الآداب) - وهذا الكتاب ايضاً مما نشرته مكتبة عرفة لمؤلفه الأديب السيد محمد جميل سلطان من أساتذة المدارس وقد ضمنه طريقة حديثة في تسهيل تعليم الآداب العربية للطلاب طبقاً للمناهج المقرر تدريسها لطلاب الصف الخامس . فتشكر لمؤلفه وناشره ونقلت أنظار أساتذة التعليم اليه .

(الثقافة والتهديب) - رسالة لطيفة في مجملها غزيرة في مادتها وفائدتها لكاتبها الفاضل (ابو زهير الاندلسي) وهو لقب انتحله السيد راشد طيارة ، يوقع به آثاره . ومنها هذه الرسالة التي ضمنها مباحث في التربية والتهديب ومقامها من حياة الافراد والجماعات ، والبحث فيها مستند الى الاصول التي وضعها علماء هذا الفن المعاصرين ، فالرسالة لا غنى لعالم ولا لمربي عنها فنشكر لمؤلفها سعيه وجهته .

(الهندسة المستوية) - تأليف « وينشورث وسميث » وتعريب كل من الفاضلين جلال امين زريق والاستاذ السيد علي وقد وصل الينا من هذا المصنف جزآن الثاني والثالث اللذان قررت وزارة المعارف العراقية تدريسهما في السنة الثانية من الدراسة الثانوية فنقلت اليهما علماء هذا الفن وطلابه .

« المغربي »

ملحق لعلامة العربي

الموافق شوال سنة ١٣٤٨ هـ

(دمشق) : آذار سنة ١٩٣٠ م

قاعدة توهم الإصالة

— أو —

« انجذاب الطبع »

كنت منذ خمس سنوات نشرت مقالاً في مجلة المجمع (مجلد ٥ ص ٢٠٥) بعنوان « تأصيل اصل في اللغة العربية » قررت فيه قاعدة لغوية سميتها (توهم الإصالة) أو (انجذاب الطبع) وبنيتها على ما روي من أن (عمارة ابن عقيل) أحد من تؤخذ عنه اللغة في القرن الثالث للهجرة استعمل في شعره كلمة (أرباح) جمع ربح . فخطأه ابو حاتم السجستاني قائلاً ان هذا لا يجوز وإنما هي (أرواح) بالواو لان (الياء) في مفردة مقلوبة عن (واو) فاعتذر عقيل بقوله (لقد جذبني اليها طبعي) يعني انه يسميهم يقولون في جمع ربح (رباح) فتوهم الياء أصلية فقام عليها (ارباح) .

وقلنا في مقالنا المذكور ان علماء اللغة اقتصروا غلط عقيل واستفادوا من (انجذاب طبعه) فخرجوا كلمات كثيرة في اللغة على قاعدة (توهم الإصالة) مخالفين القياس في ذلك . وقد ثبتت طائفة من تلك الكلمات سردها واحدة واحدة في مقالنا المذكور . وأثبت كيف كان قياسها وكيف جرى الاستعمال عليها بخلاف القياس مراعاة لقاعدة (توهم الإصالة) وهذه هي تلك الكلمات نذكرها درج مقالنا هذا :

(١) عيد أعباد	(٧) مذهب تمذهب	(١٣) تهمة أنهم الحاكم
(٢) منطقة تنطق	(٨) مصيراً مصرّة ومصران ومصارين	(١٤) (ساق) وجمعها سواق
(٣) مدرعة تمدرع	(٩) مسيل مَسْلُ ملان أملة	بالهمزة
(٤) مسكن تمسكن	(١٠) مكان أمكنة أمكن أماكن	(١٥) سنة سانه
(٥) منديل تمندل	(١١) حيلة أخيل	(١٦) ثور أشبه
(٦) مُسَلَّم تمسلم	(١٢) نخمة أنخمة الطماء	

هذه الكلمات وردت في كلام العرب فهي إذا قاموسية وقد طبّقها علماء اللغة على قاعدة (نوم الأصل) . وهناك كلمات ذكرناها وردت على تلك القاعدة لكنها ليست قاموسية وإنما هي مولدة استعمالها المولدون متأثرين بالقاعدة من حيث لا يشعرون وهي :

(١٧) مسخرة تمسخر عليه	(٢٠) سلطان تسلطن
(١٨) ملمون تلمن	(٢١) شيطان تشيطن
(١٩) مشيخة تمشيخ	

هذا ما أحدثه المولدون من الكلمات المراعى فيها قاعدة (نوم الأصل) اما المعاصرون فهل استفادوا من تلك القاعدة ؟ نعم . فان الشيخ ابراهيم اليازجي استعمل :

(٢٢) كلمة (منطاد) وجمعها على (مناطيد) نوها ان نون (منطاد) اصلية مع انها زائدة وكان القياس ان يقال (مطاييد) . ثم خرجت أنا كلمة جديدة شائعة على الالسنه والأقلام ولا سيما في المعاملات الرسمية وطبقته على تلك القاعدة وهي كلمة :

(٢٣) أذّر تأشيراً بالهمزة على نوم أصلتها في كلمة (إشارة) وكان القياس ان يقال (شور على الكتاب) لا أشر عليه .

هذا ملخص ماجاء في مقالنا السابق . ومازلت منذ ذلك الحين أتتبع الكلمات القاموسية التي وردت مضروبة و غرار تلك الكلمات فعثرت على طائفة منها أحببت جمعها في هذا المقال وتخريجها على قاعدة (نوم الأصل) أو (انجذاب الطبع) كما فعلت في كلمات المقال الاول . وبعد ان أسردها آتيت على كلمات استعمالها نحن اليوم مخالفين فيها القياس . ثم أستفتي الزملاء يجوز استعمالها بناءً على القاعدة نفسها .

(٢٤) مر في مقالنا السابق (مجلد ٥ ص ٢١٠) ان اصل (سنة) منو حذفوا واوها وعوضوها تاء فقل سنة . لكنهم كثيراً ما يقفون عليها بالهاء فيقولون (سنه سنه) وبذلك توهموا الهاء أصلية وبناءً على هذا التوهم قالوا في جمع سنه (سنهات) وفي فعلها (سانه) اي عامله بالسنة كما قالوا (سنوات) و(ساناه) على الأصل .

وأقول هنا انهم كما كانوا يقفون في (سنه) على الهاء حتى ظنوها أصلية كذلك كانوا ينطقون الهاء تاء فيقولون (سنة سنة سنة) حتى توهموا ان التاء أصلية وليست مقبولة عن وار . وتوهمهم هذا جذب طبعهم الى اشتقاق فعل منها واثبت التاء في الفعل : فقالوا (أسنت) مشتقاً من كلمة (السنة) المستعملة في معنى الجذب والتحط لا بمعنى العام . ومعنى أسنت القوم أجذبوا وخطوا . وكان القياس ان يقولوا (أسنى القوم) بالألف المنقلبة عن الواو الاصلية . نعم هم يقولون أسنى القوم لكن لا بمعنى خطوا بل بمعنى أقاموا في المكان سنة واحدة . ومن قبل توم الاصاله في تاء (سنة) استعمالهم فعلاً لها من التفعّل فيقولون (تسنت فلان فلانة) اي ان فلانة المسكينة أسنت وأجذبت وقلّ مالها وهي كريمة فاقترص فلان الثيم الكثير المال حالتها هذه فتزوجها .

(٢٥) (مبسم مباسم) المبسم أثر الكي في الجلد مشتق من (الوسم) الواوي فأصل (مبسم) (موسم) قلبت واو ما ياء لانكسار ما قبلها فاذا جمعتهما على القياس قلت (مواسم) بتصحيح الواو . لكنهم قالوا في جمعها (مباسم) ايضاً وهذا بناءً على توهمهم اصاله الياء في (مبسم) كما توهموا اصالتهما في (ريج) و(عيد) مذ قالوا (أرياح) و (أعياد) . ولعلمهم انما قالوا مباسم في مبسم ابتعاداً عن التباسها بالمواسم جمع موسم وهو اجتماع الناس في أيام مخصوصة .

(٢٦) (زير أزيار) الزير هو الذي يزور النساء ويجب محادثتهن من غير شر . فهو من (زار يزور) الواوي وأصل (زير) (زور) قلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها . فجمع (زير) (أزوار) يرد الياء الى أصلها . لكنهم لكثرة ما سمعوا كلمة (زير) توهموا ياءها أصلية فقالوا في جمعها ايضاً (أزبار) .

(٢٧) (مكحلة تمكحل) (المكحلة) بضم الميم اسم آلة للوعاء المعروف الذي يوضع فيه الكحل وقد أنس الناس بكلمة مكحلة وترددت على أفواههم حتى حسبوا سمياً (أصلية) وحتى قالوا في الفعل منها (تمكحل) اي أخذ مكحلة كما قالوا تمنطق . وقياسه تكحل من دون ميم .

(٢٨) (مولى تمولى) المولى السيد وميمه زائدة لانه مشتق من (ولى) . فكان قياس فعله ان يقال (تولى) فلان علينا . لكنهم توهموا ميم (مولى) أصلية فقالوا (تمولى) علينا و (ما كان فلان مولى ولقد تمولى) .

(٢٩) (اتقى اتقى يتقى) فعل (اتقى الله) اصله إدغى من الوقاية قلبت الوار تاء ثم ادغمت التاء الآن وقد كثر استعمال (اتقى) حتى توهموا ان تاء اصلية لا متقلبة عن واو ثم توهموا ان ثلاثي (اتقى) (اتقى) لا (دقى) ومضارعه يتقى لا يقي . انشد ابن دريد :
جلا ما الصيقلون فاخلصوما خفافاً كلها يتقى بأثر
واسره (تقى) لا (قى) قال الشعبي :

(اتقى الله لا تنظر اليه يا فتى وما خلني في الحج ملتئماً وصلًا)

وهكذا زادوا في لغة العرب بناءً على قاعدة (التوهم) فعلاً ثلاثياً هو (تقى يتقى) كقضى يقضى . وجعلوا له مصدراً وهو (تقى وتقاء) واسم مصدر وهو (تقوى) . فكأنه لا وار في اصل المادة بل ناسوها بالمرّة . وكل ذلك ناتج عن لزوم التاء في (اتقى) وتوهمهم أصلتها .

(٣٠) (اتخذ اتخذ فعل (اتخذ) افعال من الاخذ . واصله إيتخذ ولقد توهموا أصالة التاء في (اتخذ) من كثرة استعمالها حتى اشتقوا منه فعلاً ثلاثياً مبدوءً بالتاء فقالوا (اتخذتُ مالاً اذا كسبته واتخذتُ زبداً صديقاً) من باب تعب . وجعلوا له مصدراً مبدوءً بالتاء ايضاً فقالوا (اتخذاً) على وزن (تعباً) .

(٣١) (خنش خنشاء) خنشى كحلبى ألفها زائدة لكنهم توهموا أصلتها فاشتقوا من خنشى فعل (خنشاء) كلفاء اذا صيره كالخنشى ومنه قول المتنبي :

خنشى الفحول من الكفاة بصغه ما يلبسون من الحديد معصرا

اي صير فحول الكفاة خنشى وذلك مذ صبح دروعهم بعصرا الدم . ولون العصفور والورس مما يتضمخ به النساء فهم خنثى : بين النساء والرجال .

(٣٢) (مأونة : مان يمون) وزن (مأونة) مَفْعَلَةٌ وهي مشتقة من (الأمين) بمعنى التنب فاصل (مأونة) (مأينة) . والاصح ان كلمة (مأونة) مشتقة من (الاون) واصل معناه الشدة والتعب كالابن لكنهم تقلوه الى معنى التكلف للنفقة خاصة . والمأونة هي النفقة التي

يتكلمها رب العائلة تكلفاً . وقد كثرت (المأونة) في استعمالهم حتى توهّموا ان ميمها اصلية كالفاء من (فعولة) مع انها هي كاليم في (مفعلة) وبناء على هذا التوهم اشتقوا من (مأونة) فعلاً ثلاثياً فقالوا (مأنه يؤونه) ثم خففوا همزته فقالوا (مانه يمونه) وكان القياس ان يقال بدل (مانه يمونه) (أنه يؤونه) لان اصله الاون او الين كما حر .

(٣٣) (زيار زير) الزيار خشبتان يضغط بهما البيطار جحفة الفرس (أي شفته) لينزل فيتمكن من يطرته . واصل (زيار) (زوار) بالواو . لكنهم توهّموا أصالة يائها لكثرة الاستعمال . وبناء على هذا التوهم قالوا في فعله (زير) البيطار الدابة . أي شدة جحفتها بالزيار والقياس فيه زور بالواو .

(٣٤) (عيال : أعيل) عال الرجل عياله يعولهم اذا كفاهم مؤونتهم ويقال في المازيد منه (أعول عياله) بمعنى عالم . فأعول بالواو هو الاصل والقياس . لكنهم أحياناً يقولون (أعيل) الرجل عياله بالياء مكاتب (أعول) وهذا منظور فيه الى توهّم أصالة الياء في (عيال) الكثير ترددها على الأفواه . مع ان (ياء) عيال مقلوبة عن واد : اذا اصله (عوال) . قال ابن بري « كأن (عوال) في الاصل مصدر أريد به المفعول » يريد ان معنى عوال في الاصل هو ان تعول غيرك ثم استعملوه في من تعولهم . وهكذا وجود الياء في (عيال) جعلهم بتوهمون و يشتقون منها فعل (أعيل) اذا كثرت عياله : كما يقولون ايضاً (أعول) بالواو على الاصل . ولعل الذي روج (أعيل) في الاستعمال أن لأعول الواوي معنى آخر وهو رفع الصوت بالبكاء . فمن ثم استحسنوا ان يقولوا (أعيل) بالياء استناداً الى قاعدة التوهم وخصوا (أعول) الواوي بالعويل .

(٣٥) (قيل : أقيل) القيل الملك او من كان دون الملك من ملوك حمير : فهو بمثابة (برنس) في لغات الأعاجم . واصل (قيل) المخفف (قِيل) مشدد . خففوه مثلاً خففوا (ميت) فقالوا (ميت) واصل (ميت) ميت . فكذلك اصل (قيل) قيلول : فهو مشتق من القول . لان الامير الحميري يقول ما يشاء فينفذ قوله . فاذا جمعوا (قيل) المخفف قالوا (أقوال) لان المجموع ترد الاشياء الى اصولها كما يقولون في جمع (ميت) (أموات) . لكن الفصحاء اكثر ما يستعملون في جمع (قيل) (أقبال) بالياء وهذا بالطبع مراعى فيه قاعدة (توهّم الاصل) أي أصالة الياء في (قيل) . ولعل الذي روج هذا الجمع

وجعله يغلب على (أقوال) هو تجنبهم الالتباس (بأقوال) جمع (قول) مصدر قال .
 (٣٦) (منارة : منائر) ميم منارة زائدة لان الكلمة مشتقة من النار او النور . فوزن
 (منارة) مفعلة لا فعالة . لكنهم توهموا أصالة ميم (منارة) كما اذا كانت مشتقة . من
 (منر) وهذا التوهم جعلهم يعتبرون ألفها زائدة كألف (فعالة) لا أصلية . ويجمعونها على
 (منائر) بالهمزة لا (مناور) بالواو . فانظر كيف عكسوا : فتوهموا الحرف الزائد (وهو
 ميم منارة) أصلياً . والحرف الاصل (وهو واو منارة : منورة) زائداً . حتى ظهر أثر
 هذا التوهم في جمع التكسير فقالوا (منائر) بالهمزة . والقاعدة في ذلك ان الواو والياء اذا
 وقعتا بعد الف تعمران اذا كانتا زائدين كياء (فضيلة) في (فضائل) وتبقيان على حالتهما
 اذا كانتا أصليتين فواو (منارة - منورة) أصلية فيجب ان تبقى على حالها في الجمع . فيقال
 (مناور) ومع هذا فقد قالوا ايضاً (منائر) على توهم أصالة الميم وزيادة الواو .
 (٣٧) (حيّز : تحييز) الحيز المكان ويستعملونه أحياناً كما نستعمل نحن اليوم كلمة
 المنطقة مذ نقول ان البلد الفلاني داخل في منطقة الحرب او منطقة الثورة مثلاً . والفعل
 منه تحويز بالواو لان اصل (حيّز) (حيوز) من حاز الشيء يحوزه اذا ضمه اليه وجمعه .
 و (الحيز) يحوز ما في ضمه . فقياسه نحوّز لا تحييز . لكنهم مع هذا قالوا (تحييز) على توهم
 أصالة الياء في حيّز .

« هذه ثلاث عشرة كلمة عثرت عليها أخيراً وأضفتها الى الكلمات التي أودعتها مقالتي

الاول .

وكما زدت في مقالتي الاول فعل (أثّر نأثيراً) وطبقته على قاعدة (توهم الاصالة)
 و (انجذاب الطبع) واستحسنتم تجويز استعماله - أحب في مقالتي هذا ان أسرد خمس
 كلمات أطبقها على القاعدة المذكورة وهي :

(٣٨) سيد : سيّد (سيّد أصله سيود من (ساد يسود) الواوي فاذا أراد
 العرب ان يقولوا صار فلاناً سيداً قالوا (تسود فلاناً) وهذا هو القياس كتحويز من
 الحيز . لكنهم قالوا ايضاً (تحييز) بالياء على توهم أصالة الياء في الحيز كما مر . فلم لا يطادعني
 الرفاق فنقول (تسيّد فلان) أي صار سيداً . كما قالوا (تسود) . وذلك بناءً على توهم
 أصالة الياء في (سيد) كما توهموا هم أصالتها في (حيّز) . ثم فنخصص (تسود) - بالشيء

الذي صار أسود كما مر في تخصيص فعل (أعول) بالعويل وجعل (أعيل) للعيال . ولم لأشايح على ذلك . وانا نرى الناس اليوم يستسهلون ان يقولوا (تسبد) اي صار سيذاً . ولا يفهمون من (تسود) الا معنى اسود اي صار أسود .

(٣٩) (رياضة : تريض) أصل رياضة رواضة بالواو لانها مصدر راض الدابة يروضها فالفعل منه (تروض) وهو القياس لكنهم يقولون اليوم (تربض) بالياء . فلما ذا لانجيز لم ذلك كما جاز في (أعيل) مستندين الى قاعدة (نوم الاصاله) أي أصالة الباء في رياضة . ويحق لنا هذا التوهم لكثرة ما نستعمل كلمة رياضة استعمالاً . مستفيضاً على أطراف السندنا وأسنة أفلامنا .

(٤٠) (مختار : مخاير) التاء في (مختار) زائدة كما لا يخفى . فالواجب اذا حذفها في جمع التكسير فيقال (مخاير) وهو الأصل . لكن كثرة استعمال كلمة (مختار) مراداً بها شيخ الحارة او شيخ القرية الذي ترجع اليه الحكومة في أمورها — هذه الكثرة جعلتنا نتخيل ان تاء (مختار) أصلية . ولذا انجذب طبعنا الى إثباتها في جمع التكسير فنقول (مخاير) بالتاء . كما أثبت العلامة البازجي النون في (مناطيد) مع ان القياس والأصل أن يقال (مطاويد) ولا أكلف نفسي عناء في استصدار فتوى من الزملاء يجوز استعمال (مخاير) فان فتواها معها وقد أعلنتها على السنة جميع الناس وأبدت ذلك معاملات الحكومة .

(٤١) (مسمار : تمسمر) ميم (مسمار) زائدة لان أصله اسم آلة من (سمّر) الشيء (بالتخفيف) وسمّره (بالتشديد) شدّه بالميم . لكننا من كثرة استعمال (مسمار) حسبنا ميمه أصلية . وجعل الناس يقولون (مسمّره) كما يقولون (تمسمر) فلان في مكانه اذا ثبت ولم يتحلل . وكان القياس ان يقال (تسمّر) في مكانه من دون ميم في اوله . لكننا توهمنا أصالتها في (مسمار) فأجربناها في تمسمر . وهذا كما فعل من قبلنا في (تمسخر وتعلمن وتمشيخ) مذ توهموا ان الميم أصلية في مسخرة وملعون ومشينة .

(٤٢) (مركز : تمرکز) ميم (مركز) زائدة: اذ هو اسم مكان من (ركزه) اذا غرزه وأثبتته في الارض . والمراكز منابت الاسنان . وشاعت كلمة (مركز) في زماننا لمعان مختلفة حتى حسبنا ميمها أصلية . ولذا اشتققنا منها فعلاً وقلنا (تمرکز) اي ثبت واتخذ لنفسه

مركزاً . وكان القياس ان يقال تركّز . غير ان توهمنا أصالة ميم (مركز) جعلنا نقول (تمركز) كما قال العرب تمكحل مذ توهموا الميم أصلية في (مكحلة) .
هذه هي الكلمات الخمس التي أرى تجوز استعمالها وان نستفيد من قاعدة توهم الأصاله .
وأختم البحث بنقري كلمتين أرى ان أطبقهما على القاعدة المذكورة وأخالف ابن جني وسبويه فيما ذهبا اليه من امرهما . وهما :

(٤٣) (صاغ يصوغ صوغاً) واسم الفاعل (صائغ) بقلب الواو همزة . والمبالغة (صواغ) بالواو المشددة . لكنهم قالوا ايضاً في المبالغة (صيّاغ) بالياء المشددة المقربة عن واو . ولا موجب لقلبها . غير ان ابن جني علل القلب بكرامة التقاء الواوين . فنقول له : ولما ذالم يكرهوا التقاء الواوين في (جوال) مثلاً فيقولوا (جبال) . وعندني ان السبب في قولهم (صيّاغ) قول العرب في مصدر صاغ (الصياغة) بقلب الواو ياءً وقولهم في اسم الفاعل منه (صايغ) بتسهيل همزة ياء . وقد كثر استعمال كتي (صياغة) و (صايغ) في كلامهم كثرة جعلتهم يتوهمون ان الياء اصلية فيهما ثم جذبهم توهمهم هذا الى ان يقولوا في المبالغة (صيّاغ) بالياء على خلاف القاعدة كما قالوا (صواغ) بالواو على القاعدة .

ومثله في ذلك (نام نوماً) واسم الفاعل (نائم) واصله (ناوم) وجمع قائم (نُوام) بواو مشددة وهو الاصل . لكنهم قالوا ايضاً في جمع قائم (نُيَام) بياء مشددة . قال الشاعر :

(ألا طرقتنا مئة ابنة منذر فما أرقى النُيَام إلا سلامها)

وكذلك نسمعهم يقولون في جمع (نائمة) (نُوم) بواو مشددة على الاصل و (نُيَم) بقلب الواو ياءً على خلاف الاصل . واري انه لا داعي لهذا القلب في (نُيَم) ولا في (نُيَام) سوى توهمهم أصالة الياء في (نايم) و (نائمة) مذ ينطقونها هكذا بياءين متتاليتين عن الهمزة .
(٤٤) (فتي : فتّوان) ألف (فتي) منقلبة عن فاء لان فعله (فتي يفتي) على وزن (بلي يبل) فالقياس ان يقال في تثنيته (فتّيان) وفي جمعه (فتّية) لكن أهل اللسان كما نطقوا بذلك على الأصل خالفوه وقالوا في المثني (فتّوان) وفي الجمع (فتّوة) بالواو في الكتّين . فما الداعي الى ذلك ومن اين جاءت هذه الواو ؟ أجاب سبويه عن هذا بان إبدال الواو في ذلك شذوذاً . أما انا فأرى ان استعمال (فتّوان) و (فتّوة) بالواو بدل الياء مبني على القاعدة السخية : قاعدة (انجذاب الطبع) وتوهم أصالة الواو في كلمة (فتّوة) التي

هي مصدر (فتى يفتى) اليائي . قد تولدت (الواو) في (فتوة) — مع ان فعلها يائي — بهامل صرفي : ذلك انهم بنوا من فعل (فتَي) اليائي مصدرأ على وزن (فعولة) كما قالوا (طفولة ورجولة و مردوة) من (طفل ورجل و مرد) فكان (فتوة) : فتى هذا البناء اجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الياء واوآ وأدغمت في الواو الزائدة . فأصبح المصدر (فتوة) . اردقول في إعلال (فتوة) ان الواو قلبت ياء كما هو المشهور في القاعدة فصارت (فتِيَّة) ثم قلبت الياء المشددة واوآ مشددة لانضمام التاء قبلها اذ القاعدة ان الياء اذا كان قبلها ضمة نقلب واوآ فصارت (فتوة) . ثم ان كلمة (فتوة) شاعت ورددتها الافواه وغلبت في الاستعمال على المصدر الآخر وهو (الفتاء) وبذلك توهموا ان واوها أصلية . وبعد ان استحكمت هذا التوهم سهل عليهم ان يقولوا في مثني فتى (فتان) كما قالوا فتيات وفي جمعه (فتوة) كما قالوا (فتية) وفي جمع فتاة (فتوات) كما قالوا (فتيات) وملخص القول ان اجراء (فتوان) و (فتوة) و (فتوات) على قاعدة (توم الأصاله) خير لنا من ان نقول كما قال سيبويه — ان ذلك شذوذ . لان القول بالشذوذ يؤدي الى عدم قبول كلمات جديدة . بخلاف القول بقاعدة (توم الأصاله) فاننا نستفيد منه تصحيح كثير من الكلمات التي قد نحتاج اليها في المصطلحات الحديثة .

« المغربي »

جامع التواريخ المسمى بنشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

-- ٣ --

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن
شيرزاد الكاتب قال لما تقلد ابي ديوان الضياع المروقة بنصيب الحال (١)
استخلف اخي ابا الحسين زكريا بن يحيى على الديوان وأجرى له عشرين
ديناراً في الشهر وأجرى علي عشرة دنانير برسم التحرير في هذا الديوان
فأنفت من ذلك ولم اقبل الرزق ولا العمل ومضيت الى ديوان ضياع الخاصة.
وكان يليه اذ ذاك ابو حامد محمد بن الحسن الملقب بسودانية فلم القه ولا
توسلت اليه بما كان بين ابي وبينه. ولزمت الديوان بمحضرة ابي يوسف عبد الرحمن
ابن محمد بن سهل المعروف بالمرمد. واليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان
مدة شهر وكنت أتعلم. فبلغ ابا حامد خبري ولم اكن اذ ذاك بلغت عشرين
سنة ولا قاربها. فاستحضرني فدخلت اليه فمتبني على تركي الدخول اليه
والتعرف اليه. وامرني بملازمة حضرته واجري لي درجين وثبتاً وقرطاساً في
كل يوم وقال سود فيها وتعلم الخط. فلما كان بعد ايام فرقت ارزاق الكتاب
لشهر واحد فوقع الى خازنه المتولي للتفرقة أن يحمل الي بقية عشرين ديناراً
ثلاثمائة درهم. وقال قد اجري لك هذه في كل شهر. فصرت الى ابي فأريته

(١) م. ع. لم نتر على ضياع بهذا الاسم.

اياها وقلت قد فعل الله بي خيراً مما فعلت. فقال خذ الان العشرة والزم موضعك ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر. فاخذتها وكان هذا اول اقبالي .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو القاسم سليمان بن الحسن بن محمد قال لما انفذ ابني الى مصر اجتذبت (١) البحتري وابامعشر فكنت آنس بهما لو حدثني وملازمتي البيت وكنا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماً أنهما اضافا في وقت من الاوقات اضافة شديدة وكانا مصطحبين فمرض لهما ان يلقيا الممتر وهو محبوس و يترددان (٢) اليه و (لا) يوصلان عنده اصلاً فتوسلا اليه حتى اقباه في حبسه. قال فقال لي البحتري فأشدته اياتا كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري لما حبس وجعلتها اليه وهي (٣)

جعلت فداك الدهر ليس بتفك	من الحادث المشكوك والحادث المشكي
وما هذه الايام الا منازل	فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وانما	صفا الذهب الا بريز قبلك بالسبك
اما في رسول الله يوسف أسوة	لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة	قال به الصبر الجميل الى الملك
على انه قد ضيم في حبس العلى	واصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات ودفعها الى خادم كان معه وقال غنما واحتفظ بها فان فرج الله عني فاذا كرني بها لا قضي حق هذا الرجل قال ابو معشر و كنت

(١) ع لعلها محرفة عن اجتذبت . (٢) ع لعل اصل العبارة : وجعلا يترددان اليه ولا يوصلان عنده اصلاً فتوسلا اليه . (٣) راجع ديوان البحتري (ص ١٣٢٩ - ٢ : ١٥٤) .

قد اخذت مولده وعرفت وقت عقد البيعة للمستعين ووقت البيعة بالمهد من المتوكل للمعز ونظرت فيه وقد صححت النظر وحكمت له بالخلافة بعد فتنه وحروب وحكمت على المستعين بالخلع والقتل فسلمت ذلك اليه وانصرفا . قال وضربت الايام ضربها (١) وصح الحكم باسره فدخلنا جميعاً الى المعتز وهو خليفة وقد خلع المستعين وكان المجلس حافلاً قال ابو معشر قتل لي المعتز : لم انسك وقد صحح حكمك وقد اجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً وثلاثين ديناراً زلاً وجمعتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وامرت لك عاجلاً بالف دينار صلة . قال فقبضت ذلك عاجلاً كله في يومي قال البحراني وانشدته نا في ذلك "يوم قصيدي التي مدحته بها وهناته ولحوت المستعين واوها :
 يجانبنا (٢) في الحب من لانبجته ويمد عنا في الهوى من تقاربه
 حتى انتهيت الى قولي :

وكيف رأيت الحق قر قراره	وكيف رأيت الظالم آلت عواقبه
ولم يكن المغتر بالله اذ شرى	ليعجز والمعتر بالله طالبه
رمى بالتمزيب عنوة وهو صاغر	وعرى من برد النبي مناكبه
وقد سرني ان قبل وجهه مسرعاً	الى الشرق تحدى سفنه وركابه
الى واسط (٣) نحو الدجاج ولم يكن	لينشب الا في الدجاج مخالبه

فضحك واستعاد هذه الايات مراراً فأعدها فدعى (٤) بالخدام وطالب الرقعة

«١» م . ع المعروف ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ومن ضربه . «٢» راجع الديوان ١ : ١٧ . «٣» في الديوان الى عكر . «٤» م . ع دعى يدعي لغة في دعايدعو .

التي فيها ابياتي التي انشدته اياها في حبسه. فأحضره اياها بمينها فقال قد امرت
لك بكل بيت في الرقعة بالف دينار وكانت ستة فاعطيت ستة آلاف دينار.
وقال لي كاني بك وقد بادرت فاشتريت غلاماً وجارية وفرساً وفرشاً واتلفت
المال لا تفعل. فان لك فيما تستأنفه من ايامك معنا مع وزرائنا واسيائنا اذا
علموا موقعك منا غناء عن ذلك فاشتر بهذا المال ضيعة ببلد تقوم في ادناها
فترى اقصاها ويبقى لك اصلها وتنفع نفلتها كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال
الذي وصله به عبد الله بن جعفر فقلت السمع والطاعة وخرجت فعمات بما
قاله واعتقدت بالمال ضيعة جليلة بمنج ثم تأملت حالي معه واعطاني وزاد وما قصر.
حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح بن جعفر بن محمد بن الفرات بعد
عوده من مصر والشام في ايام الراضي وتقلد الوزارة قال اجتزت في رجوعي
هذا الى مدينة السلام بمنج فرأيت ضياعاً في نهاية العمارة والحسن فسأت
عنها فقبل هي اقطاع البحري الشاعر واملاكه فقلت لمن^(١) هي اليوم فقبل
لي هي اليوم في يد ابن ابنة ابنة ابي الفوئ فقلت هذا نسب طويل وامرت
الحسن بن ثوابة بقبضها فلما كان من الغد جاءني رجل متكهل^(٢) في زي
الجند وذكر انه صاحب الضياع وقال ياسيدي هذه الضياع التي قال جدي
البحري بسببها^(٣).

وما انا والتقيط اذ تكتبونه ويكتب قلبي جلة القوم او بعدي
وانشدت هذه الايات كلها وقال ذاك بكاء لاجل تقسيط يسير فكيف

«١» بالاصل : من . «٢» م . ع لعله مكتهل . «٣» راجع الديوان ١ : ٢٠٠

يكون حالي اذا قبضت هذه الضياع ؟ قال فتذممت ان اكون سبب ذهاب مديشته فاطلقت له عنها .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح قبل تقلده الوزارة الاولى بمدة طويلة قال حدثني ابي قال صرفت محمد بن سيف العامل عن بادوريا وتقلدها فاستدركت عليه اشياء كثيرة وطالبته بها فلم يرد فيها شيئاً . فأخرجته يوماً الى وناظرته فأقام على امر واحد فاعتظت عليه وامرت بصفحه فلم يتأوه ولم يزل يصيح واحدة فاذا صفع اخرى قال ثانية على هذا الى ان صفع ثلاث عشرة صفعة . فتمجيت من عدده وقلت هذا (١) له وبعك اي فائدة لك في العدد وان لا تستعني قال اننا اعدد ذلك اعزك الله لا صفمك بمعدده بعد ايام اذا صرفتك وتقلدت مكانك فلا اظلمك بالزيادة ولا تنفوز بالنقصان قال فأخجلني فقلت قم في غير حفظ الله الى منزلك فأطلقتته وذهب المال .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا نسطور به قال حدثنا ثعلب قال : كان عندنا في الحرية جمال (٢) مستور يوصف بالزهد وكان لا يحمل لاصحاب السلطان شيئاً وكان اذا حمل بقدر قوته على ضيق لم يزدد عليه شيئاً واراح نفسه ولا يحمل الا كارة (٣) خفيفة مثل لحم وفاكة (٤) وما يكون قدره خمسين رطلاً او نحوه قال فاتبته يوماً وهو لا يعلم اني خلفه فرأيت يضع رجلاً ويقول الحمد لله ويرفعها ويقول استغفر الله فقلت له لم تفعل هذا ؟ فقال اتاين نعم لله

١٥٠ له : من عدده هذا وقلت «٢» م . ع كذا في الاصل . وله . جمال مستور .

والحرية محلة بغداد منسوبة الى حرب بن عبد الله البلخي احد قواد النصور .

٣٥٠ م . ع الكارة مقدار سلوم من الطعام . «٤» بالاصل فاهه .

وذنوب قانا احمده عز وجل على نعمه واستغفره من ذنوبي فاردت امتحانه
 فقلت : ما تقول في علي وابي بكر ايها افضل ؟ فقال اذ نشرت الدواوين
 ووضعت الموازين أسئل عن ذنوبي ام عن تفضيل ابي بكر وعلي ؟ فقلت بل
 عن ذنوبك فقال فلي في نفسي شغل عن معرفة الافضل منهما .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال سمعت حامد بن العباس يقول
 ما في الدنيا اضر على الانسان من مداواة العدو وينبغي ان تشهر ما بينك وبين
 عدوك حتى لا يقبل قوله فيك قال وسمته يقول : ربما انتفع الانسان في نكبه
 بالرجل الصغير اكثر من منفعة الكبير . فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما
 حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلاً حراً فاحسنت
 اليه وبررته وكنت اعتمد على عناية ابي العباس بن الفرات وكان البواب
 قديم الخدمة لاسماعيل يدخل الى مجلس الخاصة ويقف بين يديه فلا ينكر
 ذلك خدمه عليه لسالف الصفة فصار الي في بعض الليالي فقال قد حرد الوزير
 علي بن الفرات وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في
 مطالبته ياتي مصادره وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرة ويهددك فشغل
 ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأي ؟ فقال اكتب رقعة الى رجل من معاملك
 يعرف شحه وضيق نفسه والتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها
 واسأله ان يجيبك على ظهر رقعة لترجع اليك فتخرجها فانه لشحه وسقوطه
 يردك بمذر واحتفظ بالرقعة فاذا طالبك الوزير اخرجتها اليه وقلت قد افضت
 حالي (الي) هذا واخرجتها على غير موافاة . فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قاله

وجاءني جوابه بالرد كما حسبنا فشددت الرقعة معي فلما كان من غد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة وأقرأته إياها ورقته وتكلمت فلان واستعجا وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال تكبتي فلما تقلدت في أيام عيد الله بن سليمان سألت عن البواب واجتذبه إلى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين ديناراً كل سنة وهو باق معي إلى الآن .

حدثني أبو الحسين قال حدثني أبي عن جدي عبد الله بن هشام قال حدثني يحيى بن عبد الله الكسكري (١) قال كنت أكتب لابن البختري الأصغر علي مصر . فصرف بسليمان ابن وهب وخرج معه ابنه عيد الله وكان يخلفه عليها فجلس "٢" المامل بن البختري لرفع حسابه وخلوا انظم الحساب وكنت اغدو واروح إلى سليمان اعرض عليه ما عمل وكان قد وكل بابن البختري قائداً من قواد مصر معه عدة من الفرسان والرجال والفدان وكان ابن البختري يقيم لهم الطعام الواسع وحضر المهرجان فتقدم بأن يحضر قدر نبيذ ويعمل فيها الهريسة في الدار التي كان فيها معتقلاً وكان قصيراً ضئيلاً فجاءه له بالقدر وطبخ فيها الهريسة في جملة الطعام وأكل الموكلون وشربوا وسكروا وعمل هو الحيلة فجلس في القدر وغطيت عليه وأخرجت ولم يعرفوا خبره حتى طلبوه لما افاقوا فلم يجدوه . قال يحيى بن عبد الله ولم أكن أتعرف الخبر فبكرت إلى سليمان على رسمي فوجدت عيد الله جالساً متشاعلاً بطلبه وقد صبح "٣" وهو

١٥ م . ع كسكر كجفر كورة قصبتها واسط . ٢٥ لعله : فحبس .

٣٥ م . ع كذا في الاصل . ولعله ضج . .

فيقال فينا كيف يحفظها ولا الاموال (١) والاعمال مع عجزهم عن حفظ محبوس وجعل يضرب الناس في التقرير عليه وامر بالقبض علي لما رأيته قتلته اعزك الله لو كان عندي علم بالخبر ماجئتك قال فصدق قولي وكان حضوري سبب خلاصي قال ووقع في يده وكييل نصراني لابن البخاري يتوكل في مطبخه وكان نبطياً (٢) وقيل له انه لا يجوز ان يخفى عليه خبره فجعل يضربه وكان في المجلس سليمان بن وهب واصحاب البرد والاخبار والناس باجمعهم و كنت احسن بالنبطية (٣) ولم يكن عبيد الله يحسنها فلما هي الضرب على الوكيل كاد ان يقر على موضع ابن البخاري ففهم ذلك سليمان ولم يحب ان يامر بالانكار فيكتب بالخبر واراد ان يسلم النكوب سلوكا المذهب الناس قديماً في طلب السلامة بالابقاء على اعدائهم قال فقال للمضروب كلاماً بالنبطية تفسيره لا تقر فان الاقرار مثل القير لا ينقطع قال فتصبر الرجل على الضرب ثم قال سليمان لعبيد الله الى كم تضرب هذا البائس لو كان يعرف شيئاً لقاله اقطع عنه الضرب لا يتلف فتدخل في دمه قال فرفع الضرب عنه واطلق من يومه وأفلت المستتر

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن عبد الملك التماريخي قال حدثنا المبرد قال حدثني الحسن بن سهل لما امن وجلس في بيته قال

١٥ له : محفظون الاموال . م . ع : لعل الاصل يحفظ هو . لاء . م . ع : لعله قبطياً لان الحادثة وقعت في مصر .

٣٥ م . ع : لعل الباء زائدة اوسقط لفظ التكلم او نحو .

دخلت يوماً إلى المأمون وهو جالس وبخضرتة جماعة من خواصه منهم اسحاق ابن ابراهيم بن مصعب وكان في يده كتاب يقرأه فلم ينظر اليّ فوقفت قائماً فقال له اسحاق يا امير المؤمنين ابو محمد الحسن بن سهل فقال لي اقم فقدمت فقال احضر دواتك فاحضرت فقال وقم بتقليد اسحاق بن ابراهيم جميع اعمال المعاون بالسواد جزاء له على ما نبه عليك (١) من تكرمتك يا ابا محمد فشكرته ودعوت له ووقمت بذلك.

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن احمد الداري الصيدلاني البصري قال انشدني ابو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي الضرير المعروف بالبصير لنفسه :

واحرى بما الذي لقيت انا احمل في كل بلدة شجنا
ادخلها وادعاً فتجلب لي رقة قلبي من اهلها سكنا

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال رأيت بعمان شيخاً من الخوارج قد دخل في يوم جمعة من ناحية بلد الشراة الى السوق بعمان وكانت طريق الناس الى الجامع والناس يتعادون الى حضور الجمعة خوفاً من قوتها والخارجي ماش الهوبنا (٢) في حاجته لا يراعي امر الجمعة فاذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع فالتقيا فقال الشيخ للخارجي وهو لا يعرفه وقدرانه يريد الجامع الى اين تمضي يا شيخ وقد صلى الناس وفاتتك الصلاة فقال الخارجي يا بله انما فاتت من ادر كما يريد ان التجمع معهم لا يسقط الفرض الذي

(١) لعله عليه . (٢) م . ع كذا في الاصل . والصواب الهوبني .

هو الظهر وهو اذ جمع معهم ترك الظهر فتفوته الصلاة الواجبة وهي الظهر ويصلي مالا يجدي عنه في مذهبه من تكفيرهم . قال ولم يفهم الشيخ ما سمعه وقلت انا للخارجي اظلك اعزك الله شاريا قال فقال نعم والحمد لله قال وهم يستحبون ان يقال لهم شرارة ويأبون ان يقال لهم خوارج ويذهبون الى قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية)

حدثني ابو الحسن علي بن نطفيف البغدادي المعروف بابن السراج المتكلم المعروف بالبهمشي^(١) قال كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد شيخ للامامية يعرف بابي بكر بن الفلاس وكان طيباً فحدثنا يوماً انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع . ثم صار يقول بمذهب اهل التناسخ قال فوجدته وبين يديه سنور اسود وهو يمسخها^(٢) ويحك بين عينها ورأسها وعينها تدمع كما جرت العادة في السناير بذلك وهو يبكي بكاء شديداً فقلت له لم تبكي؟ فقال ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه امي لا شك وانما تبكي من روثها لي حسرة . قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم عنه وجمعت السنور تصبح قليلا قليلا . قال فقلت له وانا معتقد الطنزيه : فهي تفهم ما تخاطبها به؟ فقال نعم فقلت له اف تفهم انت عنها صياحها؟ فقال لا فقلت له فانت اذا المسوخ وهي الانسان .

كتب محمد بن عيسى احد كتاب زماننا^(٣) بتعزية الى صديق له قرأته

(١) م . ع البهمشي نسبة الى البهشية وهي طائفة من المعتزلة تنتمي الى ابي هاشم الجبلي .
(٢) م . ع السنور الهر والانتى سنورة فالصواب اعادة الضمير عليه مذكراً او تأنث السنور . (٣) له سقط كتاباً .

بخطه فاستحسن منه صدره . وذهنته من سره امتداد عمره . ساءته فجائع
دهره . بفقد حميم . او طارق هموم . حادة للز . ان معروقة وسنة للحدان ما اوقه . واحق
من سلم للاقضية والاقدار . من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار . فان اصابته
مصيبة تلقاها مسلماً او تأتته ^١ وجدته محتسباً .

كتب الي عمرو بن محمد بن الاشعث « شاب ورد من عمان مجتازاً بوسيط
ذكر انه كان من الجند فيها فزالته نعمته وهرب حين ملاك الديلم عمان اياتاً
في آخر رقعة له اقتضاني فيها ثواب مديح كان اسلفني وهو :

مات الرجاء بغيظه فلك البقا	ولربما افضى النعيم الى الشقا
فان احترقت فمن تلب حادث	لاقل منه تاهباً ان يحرقا
ان كان عود الجود جف فانه	لم يسق ماء نذاك حتى اورقا
واردت منك اذا حرمت مطالي	تسمى ممي قلعتني ان ارزقا

حدثني ابو علي المتشاب قال حدثني ابي قال كنا مع حامد ابن العباس في
ولايته يوماً جلوساً في الحيش بواسطة في النصف الاخير من تشرين الثاني
لشدة الحر فجاء البرد في ليلة فاصبحنا من غد وقد لبسنا الخروز والمحشو
وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدة الحر وشدة البرد في ليلة واحدة .

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن اسماعيل بن سايدة الواسطي قال سمعت
عض شيوخنا يحكي عن ابراهيم الحربي انه قال : في العافية طعم كل شي وفي
الرزق نصر كل شي .

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال سمعت القاضي ابا جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي الانباري يحدث ابي وقد جئت اليه ومعي تهته بعيد اضحى فحدث احاديث فقال حدثني ابو حازم القاضي قال كان في حجري ايتام ذكور واثاث خلفهم بعض المال فرددت امانتهم الى بعض الشهود فصار الي الامين يوماً وعرفني ان حامل المستغلات يفسد الذي يتولى مستغلات السلطان وحامل بادوريا قد ادخل ايديهما في املاك اليتام وذكر ان الوزير عبيد الله بن سليمان امرها بذلك عن امير المؤمنين المتشدد فصرت الى المتشدد في يوم موكب فلما انقضى الموكب دنوت منه وشرحت له العبادة فقال لي يا عبد الحميد : هذا حامل خاتي في مالي واقتطعه ولي عليه مال جليل من نواح كان يتولاها من ضيعتي خاصة ومالي عليه بضمف هذه الاملاك التي خلفها . فقلت يا امير المؤمنين ما تدعيه عليه يحتاج الى بينة وقد صبح عندي ان هذه الاملاك املاكه يوم مات ولا طريق الى انتزاعها من يد واوثة الابينة بالمال . هذا حكم الله تعالى في البالغين . فكيف في الاطفال ؟ قال فسكت ساعة مطرقاً ثم دعا بدواة ووقع بخطه الى عبيد الله بن سليمان بالافراج عن الضياع .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد بن القرات وكان يخلف ابا نوح عيسى بن ابراهيم علي ديوان الضياع . حدثه انه كانت في يد صاعد بن مخلد ضمايات كثيرة وكانت اليه معاملة مع ابي نوح وكان صاعد اذ ذاك من وجوه الناس ولم يكن بلغ البالغ الكبار فحضر عنده (١) صاعد

اول خلافة الممتز ونحن حضور فطالبه ابو نوح باموال وجبت عليه وجرت بينهما مناظرات ادت الى ان تنطع في الجواب فاغتاظ ابو نوح فاغضبه. فرد عليه صاعد مثل ما قاله له فاستعظم الناس ذلك فاستخفوا به وقالوا يا مجنون ويا جاهل قتل نفسك قم قم فاقاموه وخلصوه من ان يفتك به ابو نوح في الحال. وقالوا هذا مجنون ولم يدر ما خرج من فيه. وانصرف صاعد الى منزله متحيراً لا يدري ما يعمل فيما قد نزل به. فحدث اخاه عبدوناً بما جرى فقال له ان لم تطمني فانت غداً مقبوض عليك مطالب من المصادرة بما لا يني به حالك ولا حال من عرفك من اهلك ومقتول بلاشك تشفياً منك. قال وما الرأي ؟ قال كم عندك من المال الصامت العتيد واصدقني عن جميعه. قال خمسون الف دينار قال تسمع نفسك ان تمرى منها ورمي بها كأنها لم تكن وتنقذ نفسك وتحرس دينك وما بقي من حالك وضياحك وعقارك فتصير من اجلاء الناس او لا تسمع بذلك فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع وتذهب الضيمة والنعمة كلها وتذهب النفس. قال ففكر طويلاً ثم قال قد تمرى عنها في عز نفسي. قال اعطني منها الساعة ثلاثين الف درهم. قال خذ. فاخذها وجاء الى حاجب موسى بن بقا وقت عتمة وقال له هذه عشرة آلاف درهم خذها واوصلني الى فلان الخادم. قال وكان هذا الخادم يتمشقه موسى جداً ويطيعه في كل امره وموسى اذذاك هو الخليفة وكتبته (١) كالوزراء والامور في يديه والخليفة في حجره. قال فاخذ الحاجب المال واوصله الى الخادم

١٥٠ م . ع الكتبة بكسر الكاف الكتابة كلاً مرة والامارة .

فاحضره العشرين الالف (١) درهم الباقية وقال هذه هدية لك وتوصلني الساعة الى الامير وتعاونني في حاجة اريد ان أسأله اياها ومشورة اريد ان أشير عليه بها فواصله الخادم فلما مثل بين يديه سمى اليه بكتابه وقال قد نهبتك واقتطفوا مالك واخربوا ضياعك واخي يجمل كتبك اجل من الوزارة ويتغلب لك على الامور ويوفر عليك كذا ويفعل كذا ويحمل اليك الليلة من قبل ان ينتصف الليل خمسين الف دينار عيناً هدية منه لك لا يريد عليها مكافأة ولا يرتجمها من مالك وتستكتبه وتخلع عليه غداً سحرآ قال فقال له موسى افكر فقال ليس هذا موضع فكر والح عليه قال وقال له الخادم (٢) في الدنيا احد جاءه هذا المال العظيم دفعة واحدة فردده وكاتب بكاتب والمال ربح قال فأجابه وصافحه فقال له فتنفذ الساعة بمن يحضرك اخي وتشافه بذلك . وانفذ من احضره وبات عبيدون في الدار وقلد موسى كتبه اصاعد في الحال وامره بالبكور اليه ليخلع عليه وتقدم الى النقباء بان يباكروا الرجل ليركبوا معه . قال وبكر صاعد وليس عند احد له خبر فخلع عليه موسى بن بعا لكتبته وركب الجيش على بكرة ايهم وانقلبت سر من رأى بظهور الخبر فبكر بمض المتصرفين الى الحسن بن مخلد وكان صديقاً لابي نوح فقال له قد خلعت على صاعد . فقال لاي شي فقال تقلد كتبة موسى بن بعا فاستعظم ذلك . وقال ثيابي قال فأحضرت فلبس وركب الى ابي نوح فقال له عرفت

«١» م . ع كذا في الاصل بتعريف العشرين والالف والافصح تعريف الدرهم وحده .

«٢» م . ع لعله سقط « همزة » او « ما » .

خبر صاعد؟ فقال نعم. الكلب. وقد بلغت ماأملني به؟ والله لا فعلن به ولا صنمن.
قال انت فأثم ليس هذا اردت. قد ولي الرجل كتبة الامير موسى بن بعا
وخلع عليه الساعة وركب الجيش معه باسرههم الى داره فقال له ابو نوح: هذا
ما لم نظنه: بات خائفاً واصبحنا خائفين منه. فما الذي عندك فقال له انا اصالح
بينكما الساعة قل فركب الحسن بن مخلد الى صاعد وهناه و اشار عليه ان
يصالح ابا نوح وقال له وانت بلا زوجة وانا اجملك صهره وتقتضد به فانك
وان كنت قد نصرت عليه فهو من يعلم موضعه ومحلّه ويجمل بمصاهرته
ومودته وانت حبيب على الرجل. قال ولم يدعه حتى اجاب الى الصلح والصهر
فقال له فتركب ممي ايه فانه هو ابو الابنة والزوج يقصد المرأة ولولا ذاك
لجامك. قال فعمله من يومه الى ابي نوح واصطلحا ووقع العقد في الحال بينهما
وزوج ابو نوح في مجلسه ذلك ابنته الاخرى بالعباس بن الحسن بن مخلد
فولدت له ابا عيسى المعروف بابن بنت ابي نوح صاحب بيت مال الاعطاء
ثم تقلد ديوان زمام الجيش لعمه سليمان بن الحسن وكان اصغر سنّاً من ابيه
فكانت كتبة صاعد لموسى ومصاهرته لابي نوح اول رتبة المظيمة التي بلغها
ثم تقلبت به الحال حتى ولي الوزارة.

تاريخ الادب

أما وقد أوجزت في الكلام على الادب وتدرسه ، وعلى الذوق وثقافته ، ولما تحت الى تمازج الثقافات ، فبنت دون شيء من الاسماء كيف يأخذ بعض الامم عن بعض ، ويقتبس بعضها من بعض ، فيزيد هذا الاقتباس في عبقرية البشر ، اما وقد فرغت من هذا كله ، فقد لزماني على ما أعقد ان أحوض في الموضوع الذي انتدبت اليه وهو تاريخ الأدب ، وما تاريخ ادب العرب الا تسلسل قرائنهم وبنات افكارهم من يوم ظهر هذا الشعب الكريم على وجه الارض حتى يومنا هذا ، ما تاريخ الادب سيف الحقيقة الا سلسلة آثار ، اذا نظرنا اليها وجدنا فيها سلاسل شتى : سلسلة آثار مؤلف من المؤلفين ، سلسلة آثار عصر من العصور ، سلسلة آثار تطور الادب في خلال القرون الخالية ، ما تاريخ الادب الا النظر في تأثير بعض المؤلفات في بعض واتصال بعضها ببعض وتسلسلها في تداقب الاحقاب ، هذا هو تاريخ الادب ومن هذين السطرين يتبين لكم حرج الموضوع وضيق مذهب ، وتبدو لكم سعة مجاله وتراعي اطرافه في وقت واحد ، اما حرج الموضوع فانه ناشئ عن فقدان ما يجب علينا ان نتوصل به من الوسائل الى معرفة قرائن العرب ونتائج عقولهم على حسب روح هذا العصر ، واما سعة المجال فحسبكم ان تجدوا في تاريخ ادب العرب صوراً ناطقة تفصح لكم عن اطراد آثار عبقريتهم في مطاوي الاحقاب .

ما طالعت مقدمة من مقدمات تاريخ الادب الفرنسي الا وقع نظري على عبارة تدخل الخوف على قلب من يتفرغ لتسدير تاريخ الادب حتى يتهبب الموضوع فيكاد يمسك عن الكلام لدهشه وتحييره ، فقد وجدت في احدى المقدمات هذه العبارة : تاريخ الادب الفرنسي انما هو نتيجة حياة باجمها او تكفي حياة باجمها حتى يتم مثل هذا التاريخ ، واذا انتظر المؤرخ نتائج بحثه وادقيته ليشرع في موضوعه ، أفينكذب هذا التاريخ

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على انه يجب على المؤرخ ان يعمل على قدر مجهوده دين شيء من الاوهام .
وقال الاستاذ بروتير في تقديمه مذهب سانتوف : وعلى هذا فانت دراسة كاتب
كبير ان لم تستغرق حياة يومتها استغرقت سنين طويلة .
هذا قول كتاب اذا احبوا ان يكتبوا في تاريخ الادب وجدوا السبيل مهيمة فما نقول
لكتاب تعرضهم العقبات وتحيط بهم المصاعب فتقف اقلامهم لتحريرها ، الموضوع حديث
لم يكتب العرب فيه على حسب روح هذا العصر وانما كتبوا بأساليب لا تناسب اوضاع
هذا العصر ، مات فلان سنة كذا . . . ومن قوله في وصف كذا . . . وله تشبيهات
فريدة . . . كل هذا ليس من تاريخ الادب في شيء ، واذا كنا نجد بين نقد المتقدمين
من ارتفع الى منزلة أعلى ، وحقق في جو أفسح كالجرجاني في وساطته ، وكالشعالي في
كلامه على المتنبي ، او كغيرهما فهذا قليل على ن تقد الادب شيء وتاريخه شيء آخر .
قلت في صدر الحديث : تاريخ ادبنا ضيق المذاهب ، فلنبحث عن شيء من هذا
الضيق ، اذا اخذتم تاريخ ادب غربي وجدتم في قاتمته وصف اول هذا الادب كيف
ولد وكيف عاش ، فلا يستغني المؤرخ عن التفتيح عن لغة قومه ، كيف نشأت هذه
اللغة وما هو اصلها ومنحدرها وما هي عناصرها ، لا يستغني المؤرخ عن هذا كله حتى يستطيع
ان ينظر في تسلسل الآثار العقلية نظراً ثاقباً ويحيط بمختلف العوامل التي عملت في
هذه الآثار ، فيكون مثله في ذلك كمثل المؤرخ الطبيعى فكما ان هذا المؤرخ يصف
اتصال المخلوقات الحية في الطبيعة بعضها ببعض على صورة مرتبة فكذلك يجب على المؤرخ
الادبي ان يبين كيف تسلسلت آثار عبقرية قومه والتحق بعضها ببعض من مبادئها الى
خواتيمها ، أفيتيسر لنا في حالتنا هذه ان نعرف شيئاً عن مبادئ لغتنا فنعرف كيف ولدت
الفاظها وكيف عاشت كما يعرف الفرنسيون مثلاً كيف نشدت لغتهم من الاصل اللاتيني؟
كنت اذا كر مرة في امر لغتنا الكريمة أستاذاً مطلقاً على اللغات السامية فقلت له
في جملة ماقلت : وددت لو اننا نعرف كيف ولدت لغتنا في اول امرها كما يعرف بعض
الافرنجة كيف ولدت لغاتهم ، فقال : هذا امر عمتع الآن ، ان بعض الافرنجة شهدوا
ميلاد لغاتهم فدوتوا آثارها وتعدوها فكان مثلهم في ذلك كمثل من يفرس شجرة ثم
بتمهدها حتى تورق وتثمر وتثمر ، اما نحن معاصر الساميين ، فاننا لم نشهد ميلاد لغتنا

فلا نستطيع ان نعرف اليوم كيف ادرقت هذه الشجرة السامية وكيف ازهرت وكيف
أثمرت وبنينا وبين الذين غرسوها وتعهدوها أحقاب متطاولة وعصور متراخية ، خفيت
علينا حتى اليوم آثارها ورسومها فلا نعرف عن هذه الاحقاب شيئا . —

هذا صحيح ، والغريب انكم تجدون من كان يعتقد ان لغة العرب قد تكاملت دفعة
واحدة دون شيء من التدريج ومنهم (رثان) فقد قال :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر : صعب اظهار مسره ، انتشار اللغة العربية فقد
كانت هذه اللغة غير معروفة بادي بدء فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي
غنى ، كاملة بحيث انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها اقل تعديل مهم ،
فلبس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لال امرها تامة ، ولا ادري هل وقع مثل ذلك
لغة من لغات الارض دون ان تدخل في اطوار مختلفة » .

وانا لا ادري كيف صدر هذا الكلام عن رجل مثل رثا ، اي شيء يتكامل في
الطبيعة فجأة ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان
الحيوانات والنباتات تولد فتعيش وتموت فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات ،
اما قول (رثان) لبس لغة العرب طفولة ولا شيخوخة فهو مخالف لاصول العلم ، لغة
العرب عهد طفولة ولكننا لا نعرف شيئا عن هذا العهد ، لبعده عنا وخفاء رسومه
علينا ، فلا يمكن ان تكون لغة جاهليتنا متكاملة على صورتها هذه من دون ان يتسلسل
فيها هذا التكامل عصوراً متطاولة صقلت اللغة وحسنوها حتى طلعت علينا - في حلتها
الانيقة ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى ذلك في شعرهم ، أفأجد حاجة الى ذكر
قول عنتره :

(هل غادر الشعراء من متردم)

اول قول اسري القيس :

(عوجا على الطلل القديم لعلنا نبيك الديار كما يكي ابن حزام)

او قول زهير :

(ما ارانا نقول الا معاراً او معاداً من قولنا مكروراً)

فالذي يستنبط من كلام عنتره واسري القيس وزهير ، انه جاء قبلهم شعراء جالوا

في الشعر كل مجال وحاتوا في معانيه كل محقق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا
عنترة وامراً القيس وزهيراً وامثالهم فيض قلوبهم وصب اذهانهم ، وانطوت آثارهم فلا
نعرف عنهم شيئاً ، ف لغة العرب متقدمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة
التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلاريب في انها قد سبقتها احقاب مديدة ،
انتقلت فيها اللغة من طور الى طور ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انتقلت
اللغة في اثناؤها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمه فهي سر من الامرار وهذه ثمة في
تاريخ ادبنا ، ولا نسد هذه الثلثة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الام التي خالطها
العرب في قديم الدهر وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته اليها
بمخالفيرها ، فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب
اهله . قال ابن فارس : ذهب علماؤنا او اكثرم الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب
هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

تصوروا بعد هذا كله حرج موضوعنا وضيق مذاهبه ، اني لا اجد لذة في تاريخ الادب
الا اذا عرفت اوائل الآثار وادوارها ، ومبادئ المصنفات وخواتمها ، واستطعت ان
اصل الاواخر بالاوائل واربط الخوانيم بالمبادئ حتى اعلم كيف تسلسلت ثمرات القرائح
رنتائج الخواطر ، وكيف اثر بعضها في بعض وتحدت بعضها من بعض فاذا لم ينتهياً لي
شيء من ذلك كان العلم نافعا . —

على ان هذه العقبة التي نعتزنا في سبيلنا ليست فريدة فان من ورائها عقبات غيرها :
اظن انكم تذكرون قولي في ثقافة الذوق : لا بد لنا من معرفة العصر الذي ندرس
شاعراً من شعرائه ، فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها
هذا الشاعر في عصره والمواظف التي أيقظها ، فاذا كنا ندرس شعر المتنبي ، ووقع
نظرنا في شعره على لفظة (ابتنشاك) ومعناها : الكذب ، وهي لفظة غريبة فكيف نجزم
امر غرابتها اذا لم يكن في لغتنا معجم يشير الى تاريخ الالفاظ ، كيف نعرف ان لفظ
الابتنشاك كان غريباً في عصر المتنبي اذا لم يكن في لغتنا معجم يبين لنا ان هذا اللفظ
استعمل في عصر كذا ثم بطل استعماله بعد ذلك العصر ، فاذا كان في لغتنا معجم لغوي
تفسر فيه الالفاظ بحسب تاريخها استطعنا ان نجزم امر غرابة الالفاظ ، فلا نسير في

نقينا واستقصائنا على غير هدى وانما نلجأ الى مصادر موثوق بصحتها ، فنقطع دون شيء من الحيرة والارتباك فلا يزال تاريخ ادبنا مثلوم الجوانب فاذا كنا نبحث عن شاعر من الشعراء فقد لزمنا في مثل هذه الحالة ان نقرأ شعرا مل عصره كلهم ، حتى نعرف مصطلحات ذاك العصر ، وهل يتيسر شيء من ذلك ؟ فاما ان يوثقنا البحث عن هذا الامر ، واما ان نستعين عليه بالكتاب الذين ظهوروا في ذاك العصر و اشاروا الى غرابية الفاظ شاعر من شعراء عصرهم ، فاذا لم يكن شيء من ذلك بقيت في تاريخ ادبنا زاوية فارغة . —

ولو جاوزنا هذه العقبة لا عترضتنا عقبة غيرها فان في تاريخ ادبنا شيئا من الغموض نشأ عن ان طائفة من الاسماء اطلقت على مسميات لا نرى لها اثرا في هذا العصر ، لنضرب مثلا لذلك فقد قرأت في بعض كتب الادب هذا الكلام : دخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عبادة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة ، فالعبادة القطوانية منسوبة الى قطوان — موضع بالكوفة — منه الاكسية ، غير اننا لا نعرف شيئا عن نوع هذه العبادة وكذلك المدرعة فانها ثوب ولا يكون الا من صوف ومن الذي يعرف هيئة هذا الثوب^(١) .

فانتم تجدون في سطر واحد كلمتين او ثلاث كلمات تدل على مسميات نكاد لا نعرفها ففي لغتنا كثير من الاسماء اطلقت في القرون الخالية على مسميات ثم انطوت تلك القرون فذهبت بذهابها المسميات وبقيت الاسماء في بطون المعاجم تدل على اشياء لا نعلمها ، وقد كانت هذه الاسماء وضعت للدلالة على انواع من السلاح واللباس والطعام والشراب والدرام وماشابه ذلك ثم ذهب الذين كانوا يتقلدون هذا السلاح و يلبسون هذا اللباس و يأكلون هذا الطعام و يشربون هذا الشراب و يضربون هذه الدنانير والدرام ، فذهبت بذهابهم مسمياتهم وبقيت الاسماء وحدها فلا تزال طائفة من ادبنا غامضة بعض الغموض .

(١) اخترت هذه الاسماء عرضاً وقد يجوز ان تكون مسمياتها معروفة في بعض قبائل دية الشام على ان في لغتنا اسماء كثيرة غيرها لا تعرف مسمياتها . فكتب الادب ومجمعات لغة معلومة بهذه الاسماء في كل عصر من عصور اللغة .

ما اردت الاستقصاء في البحث عن تلم تاريخ الادب وانما احببت ان ألمح الى طائفة من هذه الثلم ، حتى ندرك مبلغ ما يقف في سبيل المؤرخ الادبي من المصاعب التي يستعصي عليه تذليلها ، وانني لأجد الى جنب هذه العقبات عقبات غيرها لا بأس بالاشارة اليها .

اقتصر الذين كتبوا عن مؤلفي العرب على ذكر اليسير من آثار حياتهم العامة وحياتهم الخاصة فذكر اميلادهم ووفاتهم ولما من اخبارهم وقد ورد قليل من النقد في تضاعيف كلامهم ، وما عدا ذلك فاسا لا نكاد نجيط بشيء من آثار حياة مؤلفي العرب فلا نعرف مثلاً كيف ولد هذا المؤلف وكيف عاش وكيف رباه اهله حتى نشأ وترعرع ، لا نعرف كيف كانت حياته في مدرسته وما هي اخلاقه واوضاعه وعادته ومذاهبه واهواؤه ، وما هي وجهته في حياته ، ما هي انبأؤه الخاصة والعامة ، ما هي هيئته وصورته ، ما هي ملابسه ، ما هي الكتب التي كان يقرأها . كل هذا ينفعنا في تاريخ الادب حتى نكشف لنا اسرار المؤلفين فنتعین بذلك على العلم بافكارهم وعواطفهم ، ونحل عقد هذه الافكار والعواطف في اثناء بحثنا عن آثار عقولهم وألبابهم ، وهذا النوع من المعرفة عنصر من عناصر التحجيس والتدقيق . فاذا فائنا هذا العنصر اضطررنا الى النظر في آثار المؤلف نفسها لانها تدل على فكره وعلى عاطفته وعلى روحه ، الا اننا قد نضطرب في خلال البحث والنظر اضطراراً نقف فيه حائرين فلو كنا نعرف دقائق حياة المؤلفين لما اضطررنا هذا المضطرب ، وقد استدرك هذا الامر طائفة من المؤلفين في هذا العصر فكتبوا تراجمهم بافلامهم ووصفوا دقيق حياتهم وجليلها وكشفوا الغطاء عن كثير من امورهم ، والمرء اذا صدق اعلم بظواهره وبواطنه ، وادري بفضائله ورذائله ، وافطن لمواطن القوة والضعف فيه ، فضلاً عن اللذة التي نجدها في قراءة هذا النوع من التراجم ، فانها تزعم العقول وسلوة القلوب فكأننا بمحض رجال قد باحوا باسرارهم فنكاد نشهد حر كائهم وسكنائهم ونكاد نسمع صوتهم وكلامهم ونرى ابتسامتهم ونقطبيهم ونشار كهم في آلامهم وأفراحهم وما شابه ذلك . —

قال « سانبوف » في كلامه على هذه التراجم :

« احببت في كل حين مراسلات اكابر الكتاب واحاديثهم وافكارهم ، احببت تفاصيل طبائهم واخلاقهم وتفاصيل تراجمهم التي كتبوها ، فان الباحث بمعكف خمسة

عشر يوماً على آثار ميت مشهور سواء أكان هذا الميت شاعراً أم فيلسوفاً ، فيدرسه ، ويقلب النظر فيه ، : يسأله ما شاء من المسائل ، ويجعله قبالة عينيه .

هذه طائفة من نواقص تاريخ ادبنا ولو شئت لأتيتُ على ذكر غيرها من النواقص ، وإنما مرادي بيان ما يباغت المؤرخ من بعض المصاعب على ان التلوُّم في التفرغ لوضع تاريخ الادب لا طائل فيه ، فاذا ظللنا ننظر فانتسالا نصنع شيئاً ، اذا كنا ما تنفك نردد ان تاريخ الادب يستغرق وضعه سنين طويلة فقد تمر هذه السنون من دون ان نشرع في الوضع ، فاذا اخرج شيوخ الادب مكنونهم واستنفدوا وسعهم فتصدي كل منهم لمادة من المواد ، وعمل على قدر مجهوده ، هيأنا تاريخ الادب ومنى تهيأ تاريخ ادب العرب استطعنا ان نحيط بتسلسل آثارهم وامكارهم وقرائنهم من اول امره الى آخره .

دمشق : في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

نقد المؤرخات الادبية

ذكرت لكم اليسير من العقاب التي بصعب قطعها على الذين يتصدون لوضع تاريخ الادب ، وقد خالج قلبي الرجوع الى هذا الموضوع وانتم لا تجدون ريباً في علو شأنه ، ورفعة مقامه ، وكفى بتاريخ ادبنا ان يكون عنواناً لحسنات قوم ذهبوا بين سمع الارض وبصرها ، فلم تبق من جلاله ملكهم ونخامة سلطانهم الا آثارها مدة ، اذا نحن اعملنا الروية فيها برزت لنا بلاغة منطق اهلها ، ورجاحة احلامهم ، وصحة عقولهم ، لم تبق من قوم ملؤا الدنيا وشغلوا الدهر الا صور جامدة اذا نحن قاجبناها اعربت لنا عما نسجت طباع الذين صوروها وسبكته افهامهم ، فرأيتكم كيف درج صوغ اذهانهم في مواضي الليالي من طور الى طور ، وشهدتم اطراف عصورهم وما كان يتخلل هذه العصور من خلافة في الالسن ، او من تشديق وتقمير فيقلب بكم تاريخ ادبنا من عصور السهولة والايجاز الى عصور التكلف والتزبد ، ومن الاقتصاد في النظر الى التبسط في التفكير وعلى هذا يكون التاريخ صلة محكمة الاطراف محبوكة الوشي ، بين حاضر الخواطر وماضيها ، واذا استطعنا ان نؤلف بين الحاضر والماضي حافظت لغتنا على وحدتها وازدادت عظمة سلطانها .

نعم ، خالج قلبي الرجوع الى لمبحث عن تاريخ الادب لان هذا التاريخ هو الذي ينزع بالنفس الى التمتع بآثار الاولين ويحمل رجال الادب على املاء قلوبهم من هذه الآثار ، فيطامهم على دروج اصحابها من حال الى حال وبنبهم على توصيهم في اساليب شتى ومذاهب مختلفة ، كل عصر وله اسلوبه ، وكل دهر وله مذهبه ، وجملة المقال ان تاريخ الادب هو الذي يضي لنا سبيل العقل البشري حتى ندرك آثار العبقريّة في الاحقاب ، فنصل او اخرها باوائليها ، ومتى استحكمت هذه الصلة اتسعت افياء العبقريّة . هذا هو تاريخ الادب وهذه هي فعلته في الامم ، بقي ان نعرف كيف ينبغي لهذا التاريخ ان يكون حتى يعمل عمله هذا . جعل تاريخ الادب لاهياء آثار الماضي ورسومه ،

حتى تمثل الاذهان هذه الرسوم والآثار فتصبح بمحض من اشخاص ناطقين ، بصورون لنا صوراً شتى ، في كل صورة منها فكر وشعور ، ينبغي لتاريخ الادب ان يكون فيه شيء من الحياة حتى يمثل لنا حقائق الآثار على وجوه متباينة ، فمرة نرى وضوح هذه الآثار وصفاءها ، ومرة لا نرى الا ايهامها وتعتيقها ، وحينئذ نسمع خفي صوتها ، وحينئذ لا نجد فيها الا الجمود ، ان تاريخ الادب هو الذي يبعث انواع هذه الآثار حتى تأخذ العين خصائصها وصفاتها ومحاسنها ومناسدها وجودها وحياتها وعلو قدرها وانحطاطها ، ومختلف ألوانها ، ومتباين اساليبها ومذاهبها . ان تاريخ الادب هو الذي يبعث روحاً في هذه الآثار كلها مستعينا على التمكن من احيائها بالفن وما أوتيته من سلطان ، فالفن وحده هو الذي يحيي ما مات من الرسوم . وخلاصة الامر اننا نطلب الى المؤرخ الأدبي ان لا يذهل عن شيء في تصوير صفات التاريخ ، فلا ينبغي له ان يغفل عن تفاصيل الآثار وظروفها وعن ألوانها ومعارضها وخصائصها .

فلنجث بعد هذا كله هل كان عندنا تاريخ أدبي يستطیع ان بصور لنا حقيقة الماضي ، حتى نطلع على اطوار هذا الماضي وضروب اساليبه ومذاهبه ، اما المؤلفون في القديم فقد ذكرت لكم انهم لم يصنعوا شيئاً في تاريخ الادب واما المؤلفون في هذا العصر فما اظن انهم سبقوا المتقدمين في هذا الميدان ، وسينظر في ذلك في مجلسنا هذا ، اظن انكم ما نسيت قولی : التاريخ الادبي انما هو سلسلة آثار ولم اقل مجموع آثار ، والفرق بين الجمع وبين التسلسل ظاهر ، فالآثار المجموعة ليست من تاريخ الادب في شيء وانما الآثار المطردة المتسلسلة هي التي تصور لنا الماضي ، الآثار المجموعة لاتدلكم الا على نتائج خواطر لا يتصل بعضها ببعض ، فلا تحيطون بشيء من تأثير عصر في عصر ، وتأثير مؤلف في مؤلف وانما الآثار المتسلسلة تصف لكم ارتباط عصر بعصر ، واتصال مؤلف بمؤلف فتشاهدون سير العقل البشري ونقله من حال الى حال ، ان ما وضع حتى اليوم من المؤرخات الادبية مجاميع لا سلاسل ، فان اصحاب هذه المجاميع اذا درسوا مؤلفاً من المؤلفين فانهم لم يدرسوا من تقدمه ولا نظروا في الذي جاء بعده ، انهم لم ينظروا في اواصر المصنفات وارتباطها بجملة التاريخ الادبي ، ان الذين كتبوا في تاريخ الادب كانت كتبهم مجاميع ولم تكن سلاسل مطردة ، فان كل عصر متصل بالذي سبقه ومعهذا السبيل للذي تلاه .

تصفحت طائفة من كتب تاريخ الادب في هذا العصر، واحببت ان اجد فيها ما اصطلمحوا عليه ان تكون اشياء هذه الكتب ، فلم اظفر بشيء وانما الذي تبين لي ان هذه المؤرخات الادبية مجاميع آثار فيها قليل من الدراسة الادبية والنقد الادبي ، ولكن هذه الدراسة مشوهة الاسلوب وهذا النقد مثلوم المذهب ، فلم تبين هذه المؤرخات الآثار التي ابقاها شاعر من الشعراء في اهل عصره ، ولم توضح العوامل التي عملت في هذا الشاعر حتى قال شعره ، ولا ذكرت كيف نشأ خيال هذا الشاعر ، وكيف نما حسه وشعوره ، لم تبين الظروف التي قال في خلالها شعره ، على اني اعتقد ان ذكر هذه الامور لا يتيسر في هذا العصر لمؤرخ ادبي ، وعلى التخصيص ذكر الروح الادبي والروح الفني في عصر من العصور ، لوعورة هذا المسلك وخشونة هذا المركب ، ولا يتبها شيء من ذلك الا بعد سنين طويلة فكتب تاريخ الادب في هذا العصر ليست من التاريخ في شيء وانما هي مجاميع مشتتة على قليل من دراسة الادب ونقده ، فلنبعث هل تشمل في الحقيقة على شيء من هذه الدراسة وهذا النقد .

اخذت عرضاً تاريخياً ادبياً وضعه استاذ من اساتيد الادب في مصر ، وكتب التاريخ قليلة ثلاثة او اربعة على ما اظن ، اخذت عرضاً هذا التاريخ وقرأت كلام صاحبه على المثني حتى اعرف كيف حاول ان يبحث عن المثني ، ولم تكن غايته الاستعانة بهذا الكلام ، فان الناقد الادبي يجب عليه ان يقرأ آثار المؤلف حتى يستطيع ان يبدى رأياً فيها ، فاذا استعان بكلام غيره على هذه الآثار لم يكن نقده نقداً ، قرأت الكلام على المثني في هذا التاريخ لاطلع على أسلوب المؤرخ او على أسلوب الناقد على الوجه الاصح ، فوجدته بعد ان ذكر البير من اخبار حياته اشار الى منزله في الشعر فحكم له وقال : لم ينفج احد بعده بلغ غايته في الشعر ، الا اني كنت احب ان اعرف شيئاً عن نبوغ المثني نفسه ، فلماذا لم ينفج احد بعد المثني ، فلم يبين الناقد السماء التي خلق فيها المثني ، ولم تطاولها سماه ، ولا الافق الذي امتد اليه حسه ، ولا الصور التي صورها ، ولم يذكر شيئاً من شعور المثني ودقائق هذا الشعور ، وهو العامل الاكبر في شعره ، ولا ذكر طبيعة هذا الشعور ولا اشار الى شيء من عاطفته ، ولا وضع طبيعة هذه العاطفة ، ولا يبحث عن قلق المثني واضطرابه وعن اسباب هذا القلق والاضطراب ، ولا اشار الى تناقض المثني في اخلاقه ، ولا صور

لنا مثله الاعلى في الحياة ولا ذكر هل كان هذا المثل مادياً ام معنوياً ، ولا تعرض لبعض نزعات المثني في الفلسفة ولا ابدى رأيه في خلود المثني ، هل يخلد ابو الطيب ، وما هو السبب في خلوده ، وفي الجملة فقد قرأت البحث عن المثني فلم تنشأ في ذهني صورة عامة ، قال المثني في كل الاغراض ، ما هي هذه الاغراض ، اجاد المثني في وصف الممارك ، ولكن اين مواطن الاجادة ، المثني في كلامه كثير من التعقيد اللفظي ، فاين مواضع هذا التعقيد ، قرأت هذا كله فلم تنشأ في ذهني صورة المثني العمامة ، ولا صورة شعره ولا صورة حسناته ولا صورة سيئاته ، فلم اعرف شيئاً عن جملة حاله وشعره وأسلوبه .

فرغت من هذا التاريخ ، فأخذت تاريخاً غيره فوقع نظري عرضاً على بحث صاحبه عن ابي فراس الحمداني ، فتبين لي ان المؤلف قد استعان برأي الثعالي في ابي فراس ، حتى انه لجأ في ذلك الى الفاظه نفسها ، فقال : ولما خرج قمر البیان من صراره ، واطلق اسد الحرب من اساره . وقال في موضع آخر في كلامه على شعر ابي فراس : شعره على مثال الشعر القديم متانة وأسلوباً الا ان عليه رواء الطبع وسمعة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز ، وهذا الكلام انما هو كلام الثعالي نفسه ، اي امانة في تقدي لم يقرأ صاحبه الاثر الادبي الذي ينقده ، اي روح في كلام لم يصدر عن قلب صاحبه ، فلو قرأ هذا المؤلف الاثر الادبي الذي ينقده لكان له رأي فيه خاص به ، مثل المصادر الادبية في تأثيرها في اذهاننا كمثل مشاهد الطبيعة في تأثيرها في حواسنا فكما ان هذه المشاهد قد تترك في حواس مصور آثاراً لا تتركها في حواس غيره من المصورين ، فكذلك المصادر الادبية فانها قد تترك في ذهن رجل آثاراً لا تتركها في ذهن غيره ، فيجب على الذي ينقده ان يقرأ الكلام الذي ينقده ، واما اذا رد ما قاله غيره فلا تجدد امانة في قوله ، فاذا كنا لا نزال نكرر آراء المتقدمين ونستعين على بحثنا بكلامهم نفسه ، او تشويه هذا الكلام في بعض الاحايين فكأننا لم نخط خطوة في الف سنة .

اكتفيت بهذا القدر من الاستشهاد لأبين لكم ان فريقاً من المؤلفين في الادب لا يزالون ينسخون في هذا الدهر اقوال المتقدمين ، فهم ينسحبون على اذيالهم في كتابة المؤلفات الادبية مع شيء يسير من التعديل ، على ان البحث عن مؤلف من المؤلفات في هذا العصر

يختلف عما كان في القديم فقد استفاخت المناهج العلمية في دراسة الادب وشاعت مذاهب النقد وتبدلت الارض غير الارض والسموات واصبح هذا التطور علامة الحياة نفسها ، فلو اجتزأنا بآراء المتقدمين لجدت القرائح ، ولتضبت الخواطر ، فان لكل ناقد أسلوباً ، وان لكل مؤرخ مذهباً ، وعلى قدر اختلاف هذه الأساليب والمذاهب يزداد رونق الأدب ، فاذا تشابهت فنون الكتابة تفرت الاذان عن كل مردد ، وانتقضت القلوب عن كل مكرر .

اما وقد أشرت الى بعض المطاعن في المؤرخات الادبية فلا ارى بأساً بان اتلو عليكم صفات المؤرخ الادبي على حسب ما حددها الاستاذ « فاكه » في كتابه : فن القراءة .

« يجب على المؤرخ الادبي ان ينسج من دخيلته ^(١) على قدر ما اعان عليه الامكان ، يجب عليه ان يتجرد منها كل التجرد ، فلا يجوز له ان يعرب عن الاثر الذي ابقاه في نفسه مؤلف من المؤلفين ، وانما ينبغي له ان ينصع عن الآثار التي ابقاها هذا المؤلف في اهل عصره وابناء زمانه ، فاذا كان يبحث عن عصر من العصور وجب عليه ان يبين روح هذا العصر المصم على حسب ما يعرف من تاريخه وان يوضح الروح الادبي والروح الفني في هذا العصر على قدر ما يعرف من التاريخ الادبي والتاريخ الفني ، يجب عليه ان يقيس — وهذا الامر يكاد يكون ممثلاً — العوامل التي عملت في مؤلف من المؤلفين وان يبين كيف نشأ عقل هذا المؤلف بحسب الكتب التي قرأها في حياته ، وبحسب الرسائل التي كتبها ، وبحسب رأي اهل عصره فيه ، يجب عليه ان يبحث عن مجامع الظروف العامة التي كتب في خلالها ، ظروف قومه ، وظروف مكانته ، وظروف امله ، وظروف شخصه . يجب عليه ان ينتقب عن التأثير الذي اثره هذا المؤلف نفسه ، اي ان يذكر الرجال الذين رافقهم كتابته ، والرجال الذين لم تعجبهم هذه الكتابة ، فلا يجوز للمؤرخ ان يعرف الا الحوادث ولا ان يعلم غيره الا بهذه الحوادث نفسها ، و يروابطها ، فلا يحق للمؤرخ ان يعلم كيف يحكم هذا المؤرخ ، ولا يحق له ان يعلم انه يحكم ، لا يجوز له ان يعرف انه يشعر .

(١) دخيلة الرجل، مذهبه وجميع امره وقد استعملت بدلاً من « الشخصية » .

اما الناقد الادبي فانه على خلاف المؤرخ فهو يبتدي من حيث ينتهي المؤرخ الادبي ، انه على سطح هندسي غير السطح الذي ترى عليه المؤرخ الادبي ، فالذي يُطلب الى الناقد ان يبينه انما هو فكره في مؤلف من المؤلفين ، او في اثر من الآثار العقلية سواء أكان هذا الفكر صادراً عن عوامل عقلية ام كان صادراً عن هوائج غسبية ، فلا يطلب اليه ان يصور مخططاً وانما يطلب اليه ان يبين الآثار التي بقيت في نفسه بعد سفر من الاسفار » .

دمشق : في ٢ كانون الاول سنة ١٩٢٩

أطوار النقد

أفلا يزال منكم على ذكر ما قلته لكم في آخر مجلس من مجالسنا ، أفلا يزال عالقاً بمحفظكم ان تاريخ الأدب شيء وان النقد شيء آخر ، فقد حدثكم بخصائص المؤرخات الادبية ، ونعرضت لبعض المطاعن فيها ، فأرى ان اجمل النقد حديثي في هذه الامسية فألمح الى أطوار النقد في لغتنا الكريمة في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس ، ثم أجمل الكلام على النقد الادبي في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

كان نقد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي ايام بني أمية حكماً مختصراً يحكمونه على شاعر من الشعراء او لشاعر منهم ، وقد كان يجري شيء من هذا النقد في اسواق العرب واندبتهم في الجاهلية وفي مجالس الخلفاء وقد ملئت كتب الادب بكثير من موجز هذه الأحكام انقل اليكم نماذج منها على سبيل الاستشهاد .

قيل للحطيئة من اشعر الناس فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حبة وقال : هذا اذا طمع .

وقال عبد الله العباس : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انشدني لأشعر شعرائكم قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ، قال زهير ، قلت : وكان كذلك ، قال : لا يعاقل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال : اشعر الجاهلية امرؤ القيس واخريهم مثلاً طرفه ، واما شعراء الوقت فالنرزدق أغرم وجريو المجام والأخطل اوصفهم .

من هذه الامثلة القليلة يتبين لكم ان النقد كان عبارة عن خطرات سريعة ونظرات عجيبة لا يستند الى شيء من قواعد الفن الشعري الا ان هذه الأحكام كانت صادقة في معظم الاحاين تصدر عن بديهة وفطنة حتى جاء القرن الثالث فدخل النقد في طور آخر

وَألف المؤلفون فيه كتباً منها طائفة زعم أصحابها أنها تشتمل على تفصيل الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين وانزالهم منازل والاحتجاج لكل شاعر بما وجدته أصحاب هذه الكتب من حجة له ، وما قال فيه العلماء ، من هذه الكتب : طبقات الشعراء للجمحي ، غير أن صاحب هذه الطبقات لم يبحث إلا عن الصور الفنية كحسن الديباجة وكثرة الرواق وجزالة البيت وما شابه ذلك ، كقولهِ مثلاً كان الخطيئة متين الشعر ، شرود القافية . وكان نابضة بني جمعة شاعر مفلحاً فلا يختلف طراز هذه الآراء من الطراز القديم .

ومنها طائفة تضمن قواعد الشعر ككتاب أبي العباس ثعلب إلا أن بعض الذين توسعوا في هذا الباب هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، وابن عبد ربه في عقد الفريد ، والآمدي في موازنته بين أبي تمام والبحتري والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه ، وابن رشيق في كتابه العمدة إلى غيرهم من الذين كتبوا - في تراجم الشعراء والكتاب كالشمالي وابن خلكان .

كانت هذه الكتب أشبه شيء بكتب الفن الشعري في بعض أمم الغرب فإنها تشتمل على قواعد الفن والتذوق فلم يشر أصحابها إلى الآثار الأدبية إلا من حيث الصور الفنية فلم يخبر ابن قتيبة مثلاً في كتابه - الشعر والشعراء ، إلا عما يستجد من شعر الرجل وما أخذه العلماء عليه من الغلط والخطأ في الفاظه ، فلم يخبر إلا عن الوجوه التي يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها ، وكل هذا لا يتعدى المحاسن اللفظية غير أن ابن قتيبة قد تبسط في بحثه عن القديم والحديث بعض التبسط فقال : ولا نظرت إلى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، فالذي يدل عليه باطن كلام ابن قتيبة أن القديم إنما هو قديم بالنسبة إلى عصرنا ولكنه حديث بالنسبة إلى العصر الذي ظهر فيه ولكن الذي توسع في قواعد الفن إنما هو ابن رشيق في كتاب العمدة ، على أنه مع توسعه هذا لم يجاوز تقده الاقتصار على الصور الفنية فقد قال في فضل الشعراء :

(كل منظوم أحسن من كل منشور من جنسه في معترف العادة إلا ترى أن الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه وإلى يقاس وبه يشبه ، إذا كان منشوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به شيء

الباب الذي له كسب ومن اجله انتخب وان كان اعلى قدراً واعلى ثمناً فاذا نظم كان اصون له من الابتذال واطهر لحسنه مع كثرة الاستعمال. وكذلك اللفظ اذا كان منشوراً تبدد في الاسماع وتدرج عن الطباع .

فكان الشعر عبارة عن الفاظ تشبه الدر على ان ابن قتيبة كانت يعرف ان العرب احتاجت الى الشعر لتفتي بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكر ايامها الصالحة وادطانها النازحة ولكنه نظر الى ظواهر الاكسية التي كانت تصون كرم هذه الاخلاق وطيب هذه الاعراق وصلاح تلك الايام ونزوح تلك الاوطان ولم يغفل في بواطن هذا الكرم وهذا الطيب وقد كانت في هذه الكتب كلها شيء من النقد الغوي وهو على ما اعتقد الاساس الذي لا يستغني عنه النقد الأدبي نفسه ، وان كان يختلف عنه ، فلا تكاد نجد نقداً ادبياً دون ان يكون فيه نقد لغوي فالكتب التي ذكرتها لكم لم ننظر في روح الشاعر وفكره وعاطفته فلم تفكك اجزاء هذا الشاعر وتبحث عن كل جزء منها ، فكان العصر الذي ظهرت فيه عصر صور فنية الا ان فريقاً من المؤلّنين اشاروا الى تأثير بعض العوامل في الشعراء كتأثير البيئة من حاضرة وبدو وتأثير المزاج من سلاسة في الطبع وجفاء في الخلقة ومنهم الجرجاني في وساطته وهذا مذهب طريف في نقد الادب في لغة العرب يكاد يشبه مذهب « تين » في النقد الحديث وسيأتي الكلام على هذا المذهب .

ومن هذا القبيل ابو عامر ابن شهيد الاندلسي فالآثار الادبية في نظره صور ظاهرة تدل على بواطن اصحابها فن قوله :

« ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فن كانت نفسه من اصل تركيبه مسئولية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً بطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيأتها ، ومن كان جسمه مسئولياً عن نفسه من اصل تركيبه والغالب عليه جسمه كان ما يطلع في تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الاولى في التمام والكمال وحسن الرونق ، وهذا الاسلوب في النقد يكاد يشبه اسلوب سانتبوف في هذا العصر ومذهب سانتبوف التعمق في روح المؤلف حتى يبعث من مدفته قنرى هيأته وصورته .

اما التراجم فكنتم تجدون في معظمها اساليب متشابهة والفاظاً متقاربة بحيث يتحقق عندكم ان الشعراء الذين يتقدم اصحاب هذه التراجم متماثلون في صيغهم وقوالهم فن

قول اصحاب هذه التراجم : فلان احدا فرد الدهر في النظم والنثر وفلات فرد دهره وشمس عصره وفلان اعجوبة الزمان ونادرته وفريد عصره و باقته ، فيكاد يخيل اليكم ان الناس كلهم اعاجيب الزمان ونوادره وآحاد الدهر وشموسه ، أفلم يمسس ليل الى جنب شمس من تلك الشمس .

هذه هي جملة اطوار النقد في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس اتيت على ذكرها على سبيل الايجاز ثم وقف النقد وقفته فلننتقل الى اطوار النقد في بعض لغات العرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

ما اظن ان ادباً من الآداب قد نمت مذاهبه وامتدت ظلاله في العصور الاخيرة دون ان يكون للنقد الاثر البالغ في نمو هذه المذاهب وامتداد هذه الظلال ، فالادب الالماني في القرن التاسع عشر قد انبجج نوره من افق الناقد « لسينغ » وقد كان النقد روح الادب الفرنسي من ثلاثة قرون ، ولم يحدث حادث في هذا الادب وفي اذواق اهله من القرن السادس عشر حتى يومنا هذا الا كان النقد مصدر هذا الحادث او اصله ، حتى ان كثيراً من شعراء فرانسه امثال رونساو ومالرب وبوالو وفولتير وشانو بريان وهوغو قد اعتمدوا على النقد ولجأوا اليه في بسط آرائهم ومعتقداتهم في الادب .

نشأ النقد الادبي الحديث في ايطالية في القرن الخامس عشر وقد كان لشأنه هوامل شتى منها عاملان كبيران : عامل باطن وعامل ظاهر ، اما العامل الظاهر فهو اضطراب رجال التجديد في ايطالية الى تعارفهم وانصرافهم الى استخراج ما خفي من الكنوز في متقدم العصور من مدافنها ، واما العامل الباطن فهو نيقظ « الشخصية » فقد كان الرجل في القرون الوسطى تابعاً لطبقته ولرجال ثقافته ، قبل ان يكون مالك امره ، فلم يكن له في كل حين تصرف في شأنه وعمله وفكره فلما طلع فجر التجديد نيقظت « القوميات » وخرج الفرد عن الرق فاصبح هم رجل الفن ان يدخل في عمله سواء أكان هذا العمل شعراً ام كان تصويراً شيئاً من روحه اي شيئاً من طابعه^(١) .

ثم انتقل النقد من ايطالية الى فرنسا فصيغ فيها بصيغة ادبية فجعل نقدة الكلام في

(١) رأي الاستاذ برونثير .

تأليفهم المحل الاول للمبادي والمذاهب ، اني لا اعرض في هذا المقام لتطور النقد في
فرنسة فهذا خارج عن موضوعي ، فلا اعرض لكتب الفن الشعري في العصرين السادس
عشر والسابع عشر ، ولما كانت تشمل عليه هذه الكتب من قواعد الذوق والفن ، ولا
انصدى لاضجاج القوم في مسألة القديم والحديث ، ولما نشأ عن ذلك من خروج النقد
عن طور ودخوله في طور آخر فبعد ان كان الناقد يدرس الآثار من حيث انها آثار
شعر يدرسها من حيث انها صور الحضارات ، اني لا انصدى لتطور النقد بعد هذا كله
فقد اصبح للأثر الادبي في نظر « فيلمان » ارتباط وثيق بالوضع الاجتماعي والسياسية .
كل هذا لا حاجة بنا اليه في هذا المقام ولربما مست الحاجة اليه في العام المقبل ،
ربما احتجنا اليه في دراسة نقدنا الادبي في اطواره كلها في الجاهلية وصدر الاسلام وفي
زمن بني امية وبني العباس وفي عصرنا هذا فقد نضطر الى شيء من ذلك اذا درسنا هذا
النقد وقبلنا بين اطواره وبين اطوار النقد الحديث .

كل هذا لا حاجة بنا اليه اليوم على انه لا اجد لي بداً من ان اذكر لكم اربعة نقدة
قد استفاضت مذاهبهم في الادب الحديث وكان لها اثر فيه ، واريد بهم فيلمان وسانتبوف
وتين و برونثير فاذا اردنا ان نفهم اوضاع الادب الحديث فلا مندوحة لنا عن الاطلاع
على مذاهب هؤلاء النقدة .

اما « فيلمان » (١٧٩٠ - ١٨٦٧) فهو مؤلف كتاب درس الادب الفرنسي ،
واستاذ البلاغة في السوربون ، وصاحب مر (الاكاديمية) وكتابه هذا كان فاتحة النقد
الحديث فقد جعل فيلمان للمجالس الاجتماعية اثرآ في الادب فقال :

لم يخرج من المجالس البيانية نوع حديث في الادب فقط اوصيصة خطابية او بلاغة سياسية
بدلاً من البلاغة الدينية وانما خرج منها شيء آخر ، هبت من هذه المجالس نفحة حياة خرج من
هذه المجالس عنصر حديث امتزج باجزاء الادب كلها فبدل منها وغير واعاد اليها شبابها .
واما « سانتبوف » ١٨٦٩ - ١٨٠٤ فقد حاول ان يطوي من ظل العاطفة الشخصية

في النقد على قدر الامكان ، فالناقد في نظره يجب عليه ان يكون متزهاً عن كل غرض
حتى يستطيع ان يكشف اسرار ارواح تختلف عن روحه ، يجب عليه ان يكون صاحب
عقل مطلق لا يشغله غرض من اغراض الفن والاخلاق والدين والسياسة .

فالنقد يلزمه ان يكون في حيدة عن كل شيء على نحو حيدة العلم .
لا يريد « سانتبوف » ان يكون النقد تابعاً لاقية محدودة فاذا كان تابعاً لشيء من ذلك فكأننا نحاول ان نلزم الاشياء ان تكون تابعة لمذاهبنا فالطبيعة مملوءة بامور متنوعة وقوالب مختلفة فلا يلزم الناقد ان يكون خاضعاً لسلطان واحد ، وقد اعترض على تبينه «تين» لما شاء هذا ان يطبق مذاهب العلم في العقل البشري ويحمل للعبقرية الشخصية اسباباً عامة . يقول « سانتبوف » ينبغي للناقد ان يتجرد من نفسه في النقد ، فن شروط عبقرية النقد ان لا يكون الناقد فن وان لا يكون له أسلوب فاذا كان للناقد شيء من ذلك صرف همه الى اثره الخاص فظهر أسلوبه في خلال الاثر الادبي الذي ينقده .
فاذا احتاط الناقد في هذه الامور كلها وجب عليه يومئذ ان يبحث كل مؤلف من مرقدته حتى يرى هيأته الخاصة على ان يعني بكل الظروف التي اتى على ذكرها المؤلف في ترجمته ومن هنا يتبين لكم ان النقد أصبح كتابة عن تعمق في روح المؤلف .
اراد سانتبوف ان يدرس آثار الرجال على نحو درس علماء الطبيعة لنماذج الانواع المختلفة في عالمي الحيوان والنبات الا انه يرى ان اليوم الذي نستطيع فيه تصنيف الكتاب اصنافاً ، ان اليوم الذي نستطيع فيه وضع تاريخ طبيعي للعقول انما هو يوم بعيد على ان الذي يهم انما هو وصف الافراد على وجه الضغط .
واما تين (١٨٢٨ - ١٨٩٢) فكل اثر من الآثار الفنية في نظره يصدر عن صاحبه حتماً لعله من الملل الخارجة لان لرجل في الطبيعة يتبع القوانين العامة على نحو المخلوقات والبكم قوله ؛
قد يمكن ان يعتبر الرجل حيواناً من نوع سامر يضع فلسفة ويقول شعراً كما تنسج ديدان القز بيوتها وكما تبني النحل خلاياها فاذا وجدنا بشائناً ونخللاً فأننا نريد ان نعرف كيف يكون بناء الخلية .
من هنا يظهر لكم ان تين قد حاول ان يطابق بين العلم وبين نقد آثار العقل والماطفة وعلى هذا فقد أراد ان يجعل النقد تاريخاً طبيعياً كبيراً تقدر فيه الآثار والقرايح والامزجة بحسب الجنس والبيئة والزمن ، لقد أدخل تين عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهبه لا يخلو من بعض المبالغات وقد اثار في الفلسفة وفن الرواية .

ثم جاء برونتير (١٨٤٩-١٩٠٧) فانبسط سلطانه على العقول حينئذ من الدهر ومذهبه في الأدب مذهب الشؤ والارتقاء قال :

انما نعلم ما استفاد التاريخ الطبيعى والتاريخ والفلسفة من هذا المذهب ، فأريد ان أبحث عن هذا الامر : أفلا يستطيع التاريخ الادبي والنقد الادبي ان ينتقيا بهذا المذهب ، انما مثل الانواع الادبية في نظره كمثل انواع الحيوان والنبات فانها تولد فتعيش وتموت او تنحول . هو لا يؤمن بمذهب التواء الدائى في الادب ، فالطريقة الفنية في القرن التاسع عشر لم تظهر فجأة وانما قد هيئت من القرن الثامن عشر .

هذه نظرة عامة في أطوار النقد الادبي الحديث ليس فيها شيء من التطويل والتفصيل وانما غايته اطلاعكم على الزميد من مبادئ هذه الاطوار حتى لا تكون غريبة عن اذهانكم وقد تبين لكم من هذه النظرة كيف امتد سلطان العلم الى افاق الادب فامتزج بالادب علم النفس والتاريخ الطبيعى وعلم التشريح وعلم الفيزيولوجية ومذهب الشؤ والارتقاء ثم دخل النقد بعد برونتير في طور آخر وقل اعناء القدة بالاقبسة والمذاهب وجعلوا مهمتهم ان ينقلوا الينا الآثار التي رسمت في نفوسهم من قراءة كتاب من الكتب او ان يفهموا هذه الكتب ويفسروها لنا .

وجملة القول : النقد يحيط بالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ وما شابه ذلك فلا يصح ان يكون النقد في حال من الاحوال ثرثرة وهذياناً او خلطاً وتخيلاً .
دمشق : في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

خأص السمن وأخلصه اذا اخذ خلاصته ، وتأثّل الناس اذا اخذ منهم أثلاً اي مالا
 واثترش خماشته من فلان : اخذ ارشها وهو دبة الجراحات ، وتحوّف الشيء : اخذ حافته —
 واخذه من حافته ، ونصفه ونصفه وانصفه : اخذ نصفه ، واريجل الرجل : اخذه برجله ،
 واجتئل : التقط الجلة للوقود ، وخلف فلاناً واختلفه : اخذه من خلفه ، وتعدمن اخذ
 مدهناً ، واعتصر : اخذ عصرة المطاء اي ثوابه ، واغتئل الضيعة : اخذ غاتها ، وتنبّل
 من فلان : اخذ الانبل فالانبل ، وتجالل الشيء وتجاله واجتاله : اخذ جملته ، واستعظمه :
 اخذ معظمه ، واقتلذ المال : اخذته قلزة ، واعتدف الثوب : اخذ منه عذقة اي قطعة —
 والعدفة اخذها ، وجزأ الشيء اخذ منه جزءاً ، واشتقه : اخذ شقه ، واستذبل المال :
 اخذ نبيله اي خيباره ، ونخبه : اخذ نخبته ، وتشاففته : اخذت بشقه اي بفضله ،
 واستدر المدر : اخذه ، واعنف الامر : اخذه بعنف ، وتكلأ الشيء : اخذه كلاًة —
 والكلاة : تسليها . والكلاة هي النسبنة والعربون وكذلك اكلاها ، وتغف الاثاء
 والضرع : اخذ غفته اي بقية ما فيه ، وعصى بمعني عصياً : اخذ العصا — وبسيفه :
 اخذه اخذ العصا .

وتنقر الرجل : اجثنى المغافير من شجرها . والمغافير صمغ يسيل من شجر العرطف حلو
 كالاحلف غير ان رائحته كريهة منكورة ، وقُرظ القرظ : جناها وجمعه . والقرظ ورق السلم
 يدبغ به او ثمر السنط ويعصر منه الاقافيا وهي مما يتداوى به وقيل هو شجر عظيم له شوك
 غليظ وزهر ابيض وثمر مثل الترمس تعصر منه الاقافيا المذكورة ، ونكماً : اجثنى الكم ،
 وتمثّر : اجثنى المِثْر ، وهيدالمهيد مثله . والهيد والهيد : الحنظل يقال صحبة العبيد . امر
 من طعم المهيد . وفي الاساس المهيد حب الحنظل ، واطرث : اجثنى الطرثوث وهو
 نبت يؤكل يرتفع كالدرقة المنقوفة واصله قطع حمر خشنة ويسميه الاطباء رب الارض
 ورب الرياح ، وسأق : اقتطع السلق من الارض ، واقتد ، اقتطع القثد وهو نبات يشبه

القضاء وقيل الخيار ، وتلثى والثلثى : اخذ الثلث ، واقتل القتال : استنفذه بيده عن الشجر ، وتحال الرطاب : طلبه خلال السعف بعد انقضاء الصرام ، وحنظل : جنى الحنظل وهو لغة في الحنظل . ويقال خرج القوم يذأ تنون اي يجنون الذؤنون وهو نبت من الزم . وقد اجرم التمر اي حان جرامه ، واقطب الكرم دنا قطافه — والقوم : حان قطاف كرومهم ، واخرف النخل : ان له ان يخرف اي يحني ، واقطع : اصرم ، واجنى الشجر صار له جنى يعني فيؤكل .

واحتش الحشيش طلبه وجمعه ، ودوت الديوان جمعه ، وحطب واحتطب : جمع الحطب وحطب فلاناً : اتاه بالحطب — وجمع له الحطب ، ورزم الثياب : شدما وجمعها رزماً ، وخل الكساء : جمع اطرافه بخلال ، وبقل بعيره : جمع له البقل ، وانجب : جمع النجب اي لحاء الشجر وقيل قشر عروقها وقيل قشر صلب منها ، وجمل الشيء : جعله جملة ، وخرط الجواهر : جمعها في الخريطة ، واستخبل الشيء : استخسه بالخلب ، وجيش القائد : جمع الجيوش ، وكوم التراب جمعه وجعله كومة ، وخلا الشعير في الخلا : جمعه ومثله النقط اللقاط ، وحزب القوم جعلهم احزاباً — وجعلهم من حزبه .

واستكار استكارة : حمل الكارة على ظهره وهي ما يحمل من الثياب على الظهر وصميت : كارة القصار بذلك لانه يكوثر ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض ، وأبى الشيء : جعله في الثبان وحمله بين يديه . والثبان هو الموضع الذي تحمل فيه من ثوبك اذا تلحفته او توشحته فتثنيه بين يديك ثم يجعل فيه من الثمر وغيره شيئاً وقال الازهرى ليس الثبان بوعاء ولكن ما جعل فيه من الثمر فاحتمل في وعاء وغيره وقد يحمل الرجل في كفه فيكون ثباناً ، وقد احتضن الشيء اي احتمله وجعله في حضنه ، واحنجز : حمل الشيء في حجزته وهي . فقد الازار — وموضع التكة من السراويل .

وجنح البعير انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل . ورعى الرجل الحمل ادخل المربعة تحته واخذ بطرفها الواحد وآخر بطرفها الآخر ثم رفعها على الدابة فان لم تكن مربعة اخذ احدها بيد الآخر ورفعها وذلك يقال له المرابعة ، والمربع والمرابطة

خشبية يأخذ الرجلان بطرفيها ليرفعا الحمل على الدابة ويقال رابعوا الحمل اي ادخلوا
المربعة تحته . وحَدَج البعير شد عليه الحَدَج اي الحمل . ووسَقى الحنطة جعلها وسقا
وسقا قال الخليل الوسق هو حمل البعير والورق حمل البغل او الحمار .

وأزَنخ السابَ أغلقه بالزلاخ والزلاخ والمزلاج والزلاج : المِخْلَق الا انه يفتح
باليد وهو المعروف عند عامتنا بالدُفْرَة ، وكذلك زلجه وأزله اي اغلقه بالزلاج .
وعَصَم القربة جعل لها عصاما وشدها بالعصام وهو عروة يُمَأَق بها .

وَأَثَقَب الشيء خرقه بالثقب . وتقر الشيء ثقبه بالنتقار . ووقَب وقبة اوجدها
وهي نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء — والكوة العظيمة فيها ظل* . وخزَم انف البعير
ثقبه لتعليق الخزامه فيه — والبعير جعل في جانبي منخره الخزامه وكذلك خزَم البعير
وائقه ، والخزامه حلقة من شعر تجعل في وتره انف البعير يشد فيها الزمام ويسمونها بعضهم
بالخزام . وعَاطَى عبده ثقب عطاءه وقيل قطعها وهي عصبة صفراء في صفحة العنق .

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

العربية واصالها

وقفنا على ما كتبه حضرة الخوري جرجس منش في مجلة المجمع العلمي (٦٩٩:٩) بعنوان : «العربية . هل هي موضوع ابن بطوطة ؟» فتعجبنا من هذا العنوان الغريب ، لانه لم يذهب الى هذا الرأي احد ، اذ كلنا يعلم ان ابن بطوطة ذكر اللفظة سماعاً عن اهل البلاد الذين كانوا ينطقون بها . فهو راوٍ لا واضع . فكيف نسب حضرة هذا الاسم الى ابن بطوطة في ذالك العنوان ؟ فلو قال مثلاً : «العربية : هل هي من عصر ابن بطوطة» لما فاقشناه . اما انه ينسبها الى الرحالة المذكور ، في الوقت الذي يصرح فيه بانه يروي الكلمة رواية ، فهذا مما كنا نحب ان يرفع نفسه عنه . وهناك نسبة أخرى كنا نود ان لا يذكرها بالوجه الذي ذكره . فقد قال حضرة : «وقد كان . . . الاب انتاس الكرمني قد ذهب الى ان العربية تركية الاصل في تقدمه على الشيخ ابراهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة عربية بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل ١١ . . .» كذا رأينا هذه العبارة مكسوة بعلامتي تعجب . ونحن لم نفعل ذلك . فحي اذن من حضرة الخوري الماضل ومن زياداته . وكان يحسن به ان يقول انما من عنده او أن يملأها بين عضادتين او هلالين او غير ذلك من العلامات ، ليشر القاري بانما ليست لنا اذ لنا بمن يسخر بمعرفة اليازجي . ومقامه من اللغة اشهر من ان يذكر .

اذن وضع حضرة هاتين علامتين هو من عنده ليدل بهما على تعجبه من جهلنا . قلنا : اتنا نقر بهذا الجهل وقد صرحنا به مراراً ، لكن مع هذا كله لم تنسب الى نفسنا القول بتركية اصل العربية . وكلامنا صريح فويق هذا وهو : «وهي تركية الاصل» ولم نقل : «وعندنا انها تركية الاصل» الى غيرها من العبارات الدالة على ادعائنا بالامر . انما اوردنا رأي الغير . والذي صرح به قبلنا انها تركية صاحب مرآة اللغات ، ومولف

الدور العُمانية في اللغة العثمانية ومصنف لمجة اللغات وغيرهم وهم كثيرون . ولما قلنا انها تركية الاصل لم نقل انها بلفظها الحالي تركية الاصل بل اردنا ان نقول تركية التركيب والوضع . ألا يعلم الناس ان عولس او عوليس علم يوناني . ومع ذلك نقله بعضهم بالعين كما ترى . أفلكون الكلمة بتندي بعين يزول عنها اصلها اليوناني ؟ ^(١) فقول حضرة الخوري : « وهذا يؤكد (اي كتابة الكلمة بالعين) ماسبق وقلته لاطن العربية من اصل تركي » قول يقرب من قول الاطفال والرضعان .

اما ان « العربية » تركية فنحن لانك فيها . وذلك لاننا نراها مدونة بهذا المعنى في كتاب « ديوان لغات الترك » لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري ^(٢) . وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) اي في اواخر المائة الحادية عشرة . وانت تعلم ان المؤلف تركي وصنف كتابه في بغداد ونقل الفاظه عن الترك كما تعلم ايضا ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان والأطراف الا بعد مئات من السنين ، بخلاف ما يجري في هذا المهد اذ يم اتخاذ اللفظة نقلها على اجنحة الصحف والمطبوعات . اما في عهد البداوة فان الكلمة ما كانت تنشر الا بعد مئتين من السنين فوجود العربية عند

(١) من الاعلام اليونانية التي عربها سليمان البستاني بالعين : عرليق وعساراقس وعسטרورف وعيطيفيل وعسقانيا وعسقانيوس وعسقلاف وعفرؤذيت وعفنتوس وعفطوليقي وعمارنقا وتزيد على ذلك المقيون وهي يونانية ايضا قديمة التعريب . والامة نقول اليوم معكروني والكلمة الابطالية خالية من العين . ونحن نقول كمك بالعين متأثرين بالسلف القديم وهي كاك بالفارسية اي بلاعين . وقالوا السقرقع واصلها السكركه ودرقاعة واصلها درگاه وهما من الفارسية . ونقول الآن عنارم من التركية آفرين . الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر اصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها بلفظنا بهذا الحرف الحالي .

(٢) صنف المؤلف هذا الكتاب واهداه الى ابي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله الخليفة العباسي وطبع في الاسنانة سنة ١٣٣٣ هـ طبعاً متقناً وعلى ورق ثخين حسن .

الترك بصورة (أرّبه) أو (ارابه) بمعنى « العجلة أو المركبة » في لساننا اقدم من نقل معناها بهذا اللفظ ثقلاً عن الارميين ان صح هذا النسب الموهوم فيه .

اما انها سر يانية فهي لم ترد فيها بهذا المعنى . وهل يمكن ان يستشهد بوجود كلمة بمعنى من المعاني غير المعنى المطلوب الذي يجري فيه الجدل ؟ — ومن العجيب ان حضرة الخوري بلوي النصوص ويقلبها ظهراً لبطن ويسومها عذاب الهون ثم يحاول ان يخرج منها معنى العجلة الذي يولي عنه بعيداً كلما عالج القبض عليه . فالمراد من قول المؤلفين الارميين : جناح دولاب العربية : « العنفة » (كفة هبّة) وهي ما يضربه الماء فيدير الرحى . فاین هذا من العجلة يا حفظك الله ؟ نعم ان العربية هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء يبطن بها الخنطة او يصر بها البزر او يستخرج بها الزيت ، لكن بين ان يكون الزورق عجلة او مركبة فرق كالفرق الذي يرى بين السمكة السابحة في الماء والحیوان الداب على الارض . فان كان هذا يوافقه فلا يوافق النير من المتصنين .

ومن غريب ما استنتجه حضرة الخوري قوله : « وقد ذكر ابن علي صرباً على اللفظ الشرقي بمعنى العربية (العجلة) كما ربك » والعبارة التي يشير اليها حضرة هي : « (ايزارا) جناح دولاب العربية » . والحال اننا نعلم ان لا جناح للعجلة كما لا جناح للعجلة (بكسر الاول مؤنث العجل) . والعربية المذكورة في هذا النص هي المصرة لا غير . فكيف بلوي حضرة النصوص ويستنتج منها تلك النتائج ؟ ان هذا لا يمكن ان يسلم به جاهل فضلاً عن عاقل .

فمعنى العربية التي استعملها الارميون يوافق المعنى المذكور عنها في معاجم لغتنا العربية اي معنى المصرة الموضوعة في السفينة ولها دولاب وللدواليب عنفات يضربها الماء الجاري فتحركه اي (Presse hydraulique) وليس هناك اثر لمعنى العجلة .

والعربية التي يكتسبها صاحب «ديوان لغات الترك» ارّبه (كقصبة و بهاء في الآخر) تركية الاصل لا شبيهة فيها . وقد عربيها العرب بالعين كما عربيوا الفاظاً كثيرة فاقبلين اياها من اللغات التي لا عين فيها . ولا سيما هذه الاربّة عربت بالعين لقربها من لفظة « العربية » التي القوها لوجودها عند علمائنا ونكرة وان كان المعنيان يختلفان . فاننا نسمع المراقبين يقولون اليوم ام البوس في امبيوس وهي الحافلة — وقلم طوز في او كالبوس

الى غيرهما من الالفاظ التي يسمع مثلها وتجري على هذا الوجه من التحريف والتصنيف في جميع الديار واللغات لمشابهة بين الكلم العربية والكلم المألوفة على السماع .

(تذييل) اغلق علينا فهم بعض الالفاظ فترجو من حضرته ان يفيدنا عنها . قال : « ذلك ما تبادر الى ذهني » (ص ٦٩٩) أفريد ان يقول ذلك ما تبادر ذهني اليه ، او ما بادر اليه ذهني ؟ — وقال فيها « ليس هو من ائمة اللغة بل ليس هو الذي وضع . . . » افلو حذف « هو » من الجملتين الما كانتا اخف وارشق ؟ — وفي ص ٧٠٠ « في العهد العباسي اي في اواخر العصر التاسع للمسيح » — قلنا فسر العهد العباسي باواخر القرن التاسع للمسيح والذي نعلمه ان العهد العباسي يمتد من سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) الى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اي ٥٢٤ سنة . هذا فضلاً عن اننا لم نجد بين الاقدمين من استعمل العصر بمعنى القرن او مائة سنة . — ومما شق علينا فهمه قوله في ص ٧٠٠ « عربية خطأ محض (بالتركية) لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعلها المراد (ارايه در) اه .

فهذا كلام يدل على ان اللفظة التركية هي (ارايه در) . وهذا امر مضحك . انما المعنى هو « ارايه » بالتركية ، لان « در » في اللغة التركية اداة وصل الخبر بالمبتدأ . وبقائه « هو » بلفظنا . والسلف يحذفونه فيقولون مثلاً « العلم نافع » لا للعلم هو نافع — ومما لم يأنس بالنطق به فصحاؤنا قول حضرة الخوري في حاشية ٧٠٠ « مثل برنساء وما اشبه » — والذي ينطق به ائمننا وما « اشبه » (راجع لغة العرب ٧ : ٥٥٥) لتري سبب هذا التعبير) .

ومن الغار كلامه هذا التعبير : « وهذا يؤكد ماسبق وقتله لاظن العربية . . . » ولعل هناك غلط طبع اذ الصواب « ماسبق وقت » او « ماسبق اذ قلت » . او اشباه ذلك . ومما لم نفهمه قوله « من اعتاد الحرب (ص ٧٠١) أفريد من عتاد الحرب (بلا همزة في الاول) او أعتد الحرب او عتد الحرب » ؟ فاذا كان هذا هو المطلوب فلماذا كل هذا التخلقي ؟ — وفي تلك الصفحة : « ولما كانت المجلات . . . فقد توسطوا » والصواب حذف الفاء من الجواب إذ لا يتلقى جواب « لما » بالفاء بخلاف « اما » فلمل تشابه اللفظين استدرجه الى الوم . والاحسن ان يحذف معها « قد » ايضاً فيقول : « ولما

كانت ... تسمعوا» — وفي تلك الصفحة كرر قوله وما شبهه . — والصواب الاحتفاظ بالفضلة وان يقال : وما شبهه . — وضبط «ارامية» في تلك الصفحة بمد الهزة والصواب بغير مد والاكتفاء بالهزة المفتوحة او ان يقال « إرمية » (وزان عنب بالنسبة والتأنيث) كما صرح بذلك صاحب القاموس — واحسن الاقوال إرَم (كغيب) لانها واردة في سورة الفجر .

ارسلنا بهذه الكا على ما حضرنا ونحن اول من يتهم نفسه بالخطا وبقربه اذا مارآه متلجما في سماء التحقيق الصاحبة .

الاب انتانس ماري الكرملي
عضو المجمع العلمي

التذكرة الصلاحية

طلامت في الجزء العاشر (المجلد التاسع) من مجلة مجمعنا العلمي العاصر ما نشره العلامة المشرق السيد (ف . كرنكو) في شأن الجزئين من تذكرة صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندرة ووصفه ما احتوا عليه من الفصول الادبية ، فأحييت ان افيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من « التذكرة الصلاحية » بمخرانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس — رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى ان هذه المجموعة الادبية النادرة المثل هي مبعثرة الاجزاء فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمخطف البريطاني واكسفورد ودار الكتب المصرية وغير ذلك . اما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في القالب الربيعي يخرج في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية » الشيخ الامام العالم العلامة خليل بن ابيك الصفدي ، وبآخره ما نصه :

تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي ، وهو السابع من هذه النسخة ، والحمد لله رب العالمين .

فينسخ من هنا ان عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ فقد جمعنا كل

جزءين في واحد ، وخط هذا الجزء نسخي شرقي يرجع بحسب الظن الى القرن الثامن
— عصر المؤلف — والنسخة جميلة مقروءة اعنتى بها صاحبها وان لم يسم نفسه .

واليك ما اشتملت عليه من الفصول ، بعد الافتتاح .

ص ٢ الى ٣٥ — رسالة القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى صاحب
بهاء الدين بن حنا يملأه بواقعة السلطان الملك الظاهر مع التتار .

ص ٣٦ الى ٤٣ — مقاطيع وقصائد شعرية للقاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر
المقدم في اغراض شتى — وقد قال الصفدي عقب نقله لتلك الاشعار :

على انها قطرة من بحر زاخر ، ولمعة من معترض برق ماله من آخر ، ولو دونت
نظمه وجمع لكان اجزاء كثيرة في سائر الافانين ، ولقيل لمجموعه ما هذا ديوان بل
دواوين ، ولقد رأيت بخط العفيف الميسري ناقل جوهرة الثمين ، وحقيق لما نقل من
احسانه وحسناته انه كاتب امين ، لانه كتب من نظمته وثرته مما نقله من مسوداته
القاضي الاشرف ولد القاضي الفاضل ما عندي بمفردي منه خمسة عشر مجلداً فكيف
ما هو غير ما في ايدي الناس وغير ما هو عندي ايضاً بخط القاضي الفاضل — رحمه الله —
وهو خمسة عشر جزءاً مجلداً .

ص ٤٤ الى ٤٩ — رسالة من تحرير القاضي الفاضل بفخر وبياهي ويشيج ويترجع
وبفسح وبتروح .

ص ٥٠ الى ٩٨ — جملة من مختار نظم القاضي الفاضل .

ص ٩٩ الى ١٠٧ — رسالة قوام الدين ابي طالب يحيى بن زيادة التي اصدرها عن الامام
الناصر امير المؤمنين الى الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب .

ص ١٠٧ الى ١٠٩ — جواب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر عن الرسالة
المتقدمة وقد ضمنها فصول إنكار عليه .

ص ١١٠ الى ١٦٣ — نسخة الجواب عنها .

ص ١٦٤ الى ١٦٩ — المختار من كتاب الدعاء لابن ابي الدنيا (قال الصفدي) :

اخبرنا سماعاً شيخنا الامام الحافظ العلامة جمال الدين ابوالحجاج يوسف بن عبد الرحمن

{ بن يوسف المربي بدمشق ثالث ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبعائة بدار الحديث
الاشرفية الخ .

ص ١٧٠ — انشدني تاج الدين خليل بن ابراهيم بن احمد المصري عرف بالوجيزي
بدمشق المحروسة ٠٠٠ سنة ٧٣٤ بالجامع الاموي ، قال انشدني لنفسه ابو بكر بن
عثمان بن العجمي بالقاهرة ٠٠٠ شعر .

ص ١٧١ الى ١٧٣ — اشعار لابي اسحاق بن خناجة .

ص ١٧٤ — ابيات من قصيدة علي بن محمد الابردي التونسي (معاصر محمد بن هاني
الاندلسي) في وصف الاسطول .

ص ١٧٥ — ابيات من قصيدة المربي (الشاعر الاندلسي) في وصف الاسطول
ايضا .

ص ١٧٦ — حكاية عن امير مصر موسى بن عيسى .

ص ١٧٧ — اشعار للرستي وصدر الدين بن الوكيل وابن القدوي .

ص ١٧٨ — شعر لابن قلاقس .

ص ١٧٩ الى ١٩١ وهو آخر الجزء — المختار من شعر ابن دانيال .

قال المؤلف عقب ذلك ، تم اختيار ديوان ابن دانيال بالديار المصرية في العشر
الاواخر من رمضان سنة ٧٣٦ ، والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله وكفى .

وهو نهاية ما بهذا الجزء ، وكنتُ أخبرتُ انه يوجد بالديار المصرية التونسية
بعض اجزاء متفرقة من « التذكرة » فسي ان اظفر بمطالعته ونشر برنامج فصولها في
فرصة أخرى ، ان ساعد القدر .

عن المهدية (تونس) حسن حسني عبد الوهاب

عضو المجمع العلمي العربي

حول شعر بشار

جاءنا ثلاث رسائل من الافاضل الآتية توافيهم حول شعر بشار بن برد وجمعه
نذكرها حسب ورودها .

لما لم يتيسر لي خدمة ذميمة القصر للباخرزي التي كنت أربدها منذ سنين
فكرت في عمل آخر تخدمته فأشار صديقي العلامة الاستاذ عبد العزيز المجني
الى عدة كتب خطية عني بنشرها ، منها نسخة (شرح المختار من اشعار بشار) المحفوظة
بميدان آباد الدكن من الهند واخبرتها من بين الكتب المعروضة علي وارفضتها انفسني
واستعنت برئيس جامعيتنا الالامية الدكتور السيد رأس مسعود فاستعار لي النسخة
من حيدر آباد واخذت اعمل فيها وهي شرح اشعار بشار بن برد اختارها الخالديان ابو عثمان
سعيد وابو بكر محمد . شرحها اسماعيل بن احمد بن زيادة الله البرقي الافريقي . ولا اعرف
وجود نسخة أخرى من هذا المختار او شرحه سوى هذه النسخة الحيدر ابادية وهي جيدة
عتيقة يدل خطها على انها خطت في المائة السابعة من الهجرة وهي ذات اربعمائة صفحة
لكنها مخرومة من الابتداء قد ضاع من اوراقها شيء يسير . ولم اجد ذكر الشارح في
شيء من الكتب سوى ذكر اسمه في بغية الوعاة للسيوطي . الا ان شرحه هذا يدل على انه
رجل كبير فانه يذكر اولاً آيات بشار فيفسر كلماتها ومعانيها ثم يعارض كلام الشعراء
الآخرين في مواضع كلام بشار بعينها . وأريد ان اجمع اشعار بشار بقدر ما يتأتى لي
الحصول عليه من الكتب والاسفار بعد خدمة هذه النسخة وان اجعل الاشعار المجموعة
تذيلاً لها . ولا بد من هذا العمل اذ كنا نعم انه لا يوجد ديوانه وقد ضاع شيء كثير
من شعره وانما يوجد منها ما يوجد في الكتب على صييل الاقتباس . وحين نشر الشيخ احمد
حسنين القرني ما جمعه من اشعار بشار كتب السيد محب الدين الخطيب في مجلته الزهراء
انه أخبر بوجود نسخة من ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس لكنه
لم يدر ان كان ذلك الديوان من تأليف المتقدمين او من صنع المتأخرين . فحين عرفت
على خدمة شرح المختار كتبت الى الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ان بعيني في عملي
ينبغي ان يدرني بديوان بشار الذي عنده . لكن لم يعمل الي جوابه بعد ، فلعل مكتوبي ما وصل اليه

والآن رأيت محاضرة في بشار بن برد للأستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ذكر فيها أيضاً ما كان ذكر في الزهراء من وجود ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب ، فأرجو من السيد الموما اليه الذي هو من أعضاء المجمع العلمي العربي ان ينظر في هذه السطور ويتفضل عليّ بالاطخبار عن ديوان بشار الذي عنده والاولى ان يكون ذلك الاخبار في مجلة المجمع العلمي .

الجامعة الاسلامية عليكره الهند : محمد بدر الدين العلوي

— ❦ —

« بشار ايضاً »

قرأت في الجزء الثاني عشر من المجلة محاضرة (بشار بن برد) للأستاذ المغربي فانتفعت بها كثيراً واذ كان بشار احد الشعراء الملقين الذين غيروا الشعر العربي وحولوه الى طرق جديدة لم يسبق اليها احد قبله يلزمنا ان نفتش عن آثاره كلها التي بقيت . ولهذا السبب اقول ان في المكتبة السلطانية في حيدرآباد (في بلاد الهند) نسخة من كتاب قديم الخط عنوانه (المختار من شعر بشار) تصنيف الخالدين (ابي بكر وابي عثمان الشاعرين المشهورين) وقد طالعت هذه النسخة في مكتبنا في (علي كره) فوجدتها في غاية الجودة الا انه سقطت منها ورقة او ورقتان من اولها وقد عزم احد علماء جامعتنا على نشرها ولكنه بطيء العمل بها . واذ كان مشغولاً بنسخها لم يمكنني وصف النسخة كلها . ولكن وجدت فيها — سوى كثير من شعر بشار — ان المؤلفين قابلوا شعر بشار بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه او كانوا متأخرين . ولعل النسخة الموجودة في تونس التي ذكرها الاستاذ المغربي في محاضرته نسخة أخرى من هذا التصنيف نفسه .

علي كره (الهند) . ف . كرنكو .

عضو المجمع العلمي

— ❦ —

« بشار بن برد »

قرأت ما كتبه الاستاذ المغربي عن بشار بن برد وقد كنت درست هذا الشاعر العربي درساً واسعاً وكان في عزمي ان اكتب منه جملة من المقالات المتواصلة كما فعلت

في نشري المقالات العديدة عن المتنبي في جريدة (بيام صباح) وعن أبي الملاء المعري في مجلة (اجتهاد) ولكن الفرصة لم تسمح لي بذلك فبقي ما علمته عن بشار في صدري لم استطع رفع لواء دهائه عند الانزاع . ولا اجد من يفعل ذلك غيري ولا سبيل بعد تحويل الاحرف العربية الى اللاتينية . والآن احببت بعد قراءة ما كتبه الامام تاج المومنا اليه ان اضيف الى ما ذكره او اكرر بعضه فاقول :

(١) ان اشعار بشار بن برد عشرون بالمائة منها هي من الشعر الجيد الذي لا يلحق غيباره . ولكن الباقي هو من الشعر الساقط الذي لا يليق ان ينسب الى شاعر كبير مثل بشار وهذا مخالف لأشعار المتنبي فان ثمانين في المائة من شعر هذا الشاعر العراقي السوري الكبير الذي ليس له ثاني وهو بكر زمانه والازمنة التي بعده — لا قياس بينه وبين بشار .

(٢) لم يجر الادب العربي على حنة النشوء والارتقاء ولكنه مات بموت المتنبي وابي الملاء وكل شعر جاء بعدهما كان تقليداً لبس فيه شيء من روح البلاغة العربية والاسلوب الابداعي العربي بل كان من النظم لا من الشعر .

(٣) لا ريب ان بشار كان هجاء سبائاً شتاماً فاحش القول جافط المبدأ وان كان لا ينبغي ان ينسب ذلك الى طينة رديئة جبل منها ودم فاسد سرى في عروقه منذ الولادة بل يلزم ان يسند الى المحيط الذي نشأ فيه والمحيط الذي ولد منه فالرجل ولد من والدين فقيرين وكان في منتهى فيج المنظر (فرد اعمى كما وصفه هاجيه) فكان الناس يستهزئون ويستهزؤن به ويستمنونه وهو صغير وكان في نفسه النبوغ والاباء فكان يقابلهم بالمثل ونشأ على ذلك وشب وكل له مستهزي شاتم فكان يشتم شاتميه حتى ان بعض الشعراء اختلس الشهرة لنفسه من هجاء بشار ولولا ذلك لما كان ذلك الشاعر شيئاً مذكوراً . وقد قال بشار عن نفسه «ان الناس يشتموني فلا احتمل حقارتهم فاشتمهم مكرهاً» وهي حقيقة يلزم ان تكون عذراً لبشار في كثرة هجائه الناس .

(٤) ان النوازع لا يخلون من الهفوات والذلات بل هم اقرب الى غير التعقل من بالتعقل في اعمالهم وهب ان بشاراً هجا يعقوب بن داود الوزير بقوله :

بني أمية هبوا طال نومكمو ان الخليفة داود بن يعقوب

وهجا المهدي بقوله :

خليفة يرمى يلعب بالدبوق والصولجان

فهذا لا يستحق الموت بلا سؤال ولا جواب ولا محاكمة فقاتله ظالم والذي وشى به يستحق لعنة الله ولعنة العالمين على مدى الدهور ما دام في الدنيا اديب ينطق بالفساد .
وقد كنت جمعت بعض الشذرات عن صحايبا التعصب من اعلام الاسلام وعزمت على كتابتها بشكل رسالة . وقد تعهد طبعها صديقي القديم الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولكن لم يسمح لي الوقت ولو كنت كتبت هذه الرسالة لكنت امطرت قاراً على قاتل بشار وعلى الوزير الذي وشى به وهذا هو الواجب على كل كاتب نشأ في العصر الحاضر .

(•) ان اجتناب الناس تشييع جنازة بشار ليس بدليل على ان الناس كانوا جميعاً بكرهونه ويتمنون موته فما اجتنبوا التشييع الا خوفاً من حكومة الخليفة والوزير القاتلين . وهذا السلطان عبد الحميد — وهو اكبر السلاطين وكان الناس يعبدهونه — لما مات لم يشيعه احد خوفاً من حكومة الاتحاديين التي اسقطته وجعلت التقرب اليه جناية لا تغتفر . وهذا هو سبب ضياع اشعار بشار . (الاستانة) زكي مغامر

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

الاصول العربية لتاريخ سورية

« في عهد محمد علي باشا »

تولى جمعها الدكتور اسدرستم المجلد الاول الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٧ هجرية
طبعت في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ١٣٩

عنيت الجامعة الاميركية منذ عهد غير بعيد بهمة الاستاذ اسدرستم — احدا ساتذة
التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية — يجمع ما تشتت من الوثائق السياسية
وغيرها اهمد محمد علي الكبير . وانصرف جامع هذه الوثائق الى الاغضاء في هذا الفرع
من تاريخ مصر والشام لمكانة محمد علي من النهضة العربية الحديثة . وهذا الجزء هو النموذج
الاول من النماذج الكثيرة التي تتبعه سقط عليها الباحثون في الاماكن الرسمية والخاصة
ونشرها ناشرها كما كتبت حتى لا يتطرق التضييل الى نصوصها وتكون للتورخ مادة
كالاصل لا تختلف عنها بحال . وقد تمحى ما امكن في وضعها وتمثيلها على هذه الصورة
الجميلة فاستحق ثناء آداب العربية . وقد قدم الناشر لهذا الجزء مقدمة ذكر فيها طريقته
في النقل وأثنى على جميع من آزره في عمله من رجال البلاد وغيرهم من القناصل
والحاكم الشرعية وغيرها .

م . ك

معجم الادباء

« الجزء الخامس طبع في مطبعة هندية بمصر ١٩٢٩ »

نشر الاستاذ مرجوليوت في جامعة اكسفورد الجزء الخامس من كتاب ارشاد
الارب او معجم الادباء لياقوت الرومي في سنة ١٩١١ في مطبعة هندية بمصر واعاد الآن
طبعه على الوضع الاول مشفوعاً بفهارس اسماء الرجال واسماء الكتب فاستحق بعمله ثناء
العلاء والادباء . لا جرم ان توفر الاستاذ مرجوليوت الانكليزي على نشر معجم الادباء

نوفر الاستاذ وستنفيلد الالماني من قبل على نشر مهم البلدان لياقوت ايضا من الاعمال العظيمة في خدمة التاريخ والادب العربي . وفي المعجمين من الحقائق عن العرب والاسلام مالا يكاد يثر عليه الا في بطون الاسفار الكثيرة التي فقد بعضها . وقد قلنا غير مرة في هذه المجلة ان الفضل الذي يحرزه ناشر كتاب من هذا الطراز لا يقل عن فضل مؤلفه وابي عذره . ولطالما رجونا ان بثقل بنو قومنا علماء المشرقيات من الغربيين في تحقيقهم وطول نفهم لنشر آثار سلفنا .

اعمال غولدصهر العاجية

Bernard Heller: Bibliographie des œuvres de Ignace
Goldziher - Paris

نشرت مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز هذا الكتاب في مئة صفحة ذكر فيه واضعه الاستاذ هليلر من اعضاء مجعنا في البحر ما خطته يراعة العلامة المجري المرحوم السيد اغناطيوس غولدصهر من الابحاث الاجلامية واليهودية ونشر باللغات المجرية والالمانية والافرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية . وهي أبحاث كثيرة منها ما صدر في كتب ضخمة ومنها مقالات ممتعة كتبها في المجلات الغربية ومنها مقالات متفرقة في المجلات العلمية على اختلاف لغاتها وكلها تدور على ما صرف الاستاذ غولدصهر حياته في تكملة من الابحاث المشرقية . وقد قدم العلامة السيد ماسنيون أستاذ كوليج دي فرانس بباريز لهذا السفر مقدمة رائعة في وصف اعمال المصالح المجري مما لا ينقض بمثله بضعة من الاعلام . ونعسى ان يكون في الاطلاع على مثل هذه الجرائد من اعمال العلماء في الغرب عظة بالغة للشغف بالعلم في بلاد العرب ، يحتذون مثالم ويطرسون على اساليبهم البديعة في البحث والدرس .

جغرافية العراق الثانوية

« تأليف الزعيم طه بك الهاشمي . يقع في ٢٧٩ صفحة من القطع المتوسط »

الزعيم طه بك الهاشمي اخ باسين باشا الهاشمي الشهير هو من رجال العراق العاملين فان له عدة مؤلفات بعضها كبير الفائدة كهذا الكتاب الذي يبحث عن جيولوجية بلاد العراق وموائها وسكانها وانهارها وبحيراتها وجبالها وطرقاتها في البر والانهار ، وسككها الحديدية ووسائل الري فيها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها ومراقبتها الاقتصادية وصناعاتها وقبائلها وتقسيماتها الادارية الخ . وتجلى قيمة هذا الكتاب في فائدته وفي صعوبة تصنيفه . فاما من حيث الفائدة فانه من خير ما يرجع اليه المعتمون لشؤون العراق الجغرافية . واما من حيث صعوبة تصنيفه فان من يقدم على الكتابة في هذه الموضوعات يحتاج الى السياحة في انحاء البلاد ومراجعة كثير مما كتبه العرب والاجانب في رحلاتهم ومطالعة الرسائل التي تضعها الغرف التجارية والزراعية ومصالح الزراعة والاقتصاد والقبائل والنفوس وبيت المال وغيرها . ولا يخفى ما في تجميع ذلك من التعب .

ومما ورد في الكتاب ان مساحة العراق نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع وان سكانه يقدرون بزهاء ثلاثة ملايين نسمة فيصيب الكيلومتر المربع ثمانية اشخاص وهذا قليل ، وان ٧٩ في المئة من السكان هم عرب و ١٦ اكراد و ٢٤٧٥ فرس و ٢٤٢٥ ترك ، وان من سكانه النصارى الكلدان واليعاقبة والناسطرة ، وان اليزيدية يملفون نحو عشرين الف نسمة وان معظم اليهود يقطنون المدن وهم يملفون ٨٠٠٠٠ نسمة .

وجاء فيه ان ثمن الصادرات من العراق سنة ١٩٢٧ بلغ ٦١ مليون ربية و ثمن الواردات اليه ١٠٥ ملايين ربية فاذا صحت هذه الارقام ونسبة الصادر الى الوارد تكون حالة العراق الاقتصادية ارجح من حالة الشام قليلاً . ويظهر ان ام ما يتناعه العراق من البلاد الاجنبية هي المنسوجات القطنية والسكر ومواد المعادن والآلات والمنسوجات الحريرية والزيوت والشاي والاشاب وغيرها . وام ما يبيعها اياه التمر والحبوب والصوف والجلود والماشية والمنسوجات القطنية والممارين . ويظهر ايضا ان حظ بريطانيا من صادرات العراق و وارداته يكاد يبلغ الثلث وان العراق هو واسطة مهمة لنقل المتاجر بين الاقطار الحارة

فان ثمن ما يبر به على شكل « ترانسيبت » يعادل ثمن صادراته تقريباً .
 وجاء ان من المعامل الحديثة معملاً للغزل والنسيج في جوار الكاظمية بالقرب من
 بغداد ومعملاً للنسيج وآخر للحدادة في الموصل ومعملاً للعلاج في بغداد وآخر للحدادة ووضع
 السروج استه وزارة الدفاع وثالثاً للنسيج والتجارة استه مصلحة السجون ورابعاً لتوايد
 القوة الكهربائية في بغداد وهو اجنبي .
 ولقد طلب المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب ان ينبه القراء الى ما يثرون عليه من
 الاغلاط لكي يتلافاهما في الطبقات الآتية شأن المؤلفين الاقذاذ الذين يسرون من اظهار
 هفواتهم (جل من لا عيب فيه) ولذلك رأيت من الواجب لفت نظره الى
 الامور الآتية وهي :
 (اولاً) وردت في نضاعيف الكتاب الفاظ الباطل وعنة والفندق والاحراش
 والحبوبات والصنار والمكائن وصحيحها البليغ وعانة والبندق والاحراج اوالحراج والحبوب
 والدلب والآلات .
 (ثانياً) جاء في الصفحة ١٤٢ ان مالا يحتاج الى اسقائه في القسم الشمالي من العراق
 هي الكرمة وحدها مع انه يمكن زرع اللوز والتين وغيرهما عذياً في الارض الجبلية الكردية
 حيث الامطار تكفي لهذا الغرض .
 (ثالثاً) ذكر في الصفحة ١٥٢ ان البقي ينقل جرثومة الملاريا على حين ان ما ينقلها
 هو البعوض .
 (رابعاً) ذكر في الصفحة ١٣٦ انه اذا اتبعت خطة محكمة للري في العراق يكون
 بالامكان زرع مليارين او اكثر من المكثارات . وهذا مستحيل لان مساحة العراق كله
 لا تزيد على ٣٧٥٠٠٠٠٠ هكتار .
 (خامساً) ورد في الصفحة ١٠٠ ان حلب هي على خفة الفرات اليمنى مع انها تبعد
 عنه اكثر من ٨٠ كيلومتراً من اقرب طريق .
 (سادساً) خص لفظة الغنم بالفان على حين انها تطلق على الضأن والمز .
 هذا ما رأيت ان انبه المؤلف اليه ولا بد من لفت نظره الى ضرورة تجويد لغة الكتاب
 وتجويد طبع المخططات واستعمال المقاييس والمكايل العشرية بدلاً من الانكليزية وكذا

درجات الحرارة المثوية بدلاً من درجات فارنهایت (وان كان الانتداب في العراق انكليزياً)
فستان بين الاولى والثانية .

وبعد اننا نشكر للسيد الزعيم هديته ونتمنى ان يكثر في القطر الشقيق امثاله من
الرجال الذين يخدمون يخدم امتهم ولقمتهم .
مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي



الادب العربي

« في المغرب الاقصى »

[تصنيف السيد محمد بن العباس القباج]

— جزآن صغيران —

ذكر فيها المؤلف تراجم شعراء المغرب الاقصى في هذا العصر ، وأثبت فيها صورهم ،
ومنتخبات من شعرهم .

لمنع السيد محمد بن العباس القباج الى تنبه الفكر في الشرق العربي ، والى امتداد
صدي هذا التنبه الى المغرب الاقصى ، والى ما نشأ عن هذا الصدى من انقلاب في
الأفكار والاصاليب ، حتى عمل الادباء قرائهم في تقع الامة وصلاحها .
جمل أدباء المغرب الاقصى ثلاث طبقات :

طبقة الادباء الكبار الذين يمثلون الادب الماضي في مذاهبه .
وطبقة المخضرمين الذين اخذوا من الادب الماضي بنصيب وافٍ ، واقتبسوا معاني
أدب هذا العصر .

والطبقة الثالثة انما هي طبقة هذا العصر ، عصر الطيارات ، والسيارات والكهرباء .
مكننا رتب المؤلف كتابه .

اما الشعر الذي وقع تنازلي عليه في هذين الكتابين فهو مختلف المذاهب ، فمن
النغمي بايام الصبوة ، الى الحنين الى الوطن ، الى المراثي الى التسيب ، الى الاماديج ،
الى وصف الطبيعة ، الى شعر وطني ، الى استبزاز الشباب .

ان كان في هذا الشعر شيء يسر القلوب ، فما هذا الشيء الذي يسر الا ننبه الشعور في المغرب الاقصى ، فان بعض الشعراء اخذوا يشعرون ولو قليلاً بان لم وطناً يتفنون به ، اما بقية مذاهب الشعر في المغرب الاقصى فليس فيها شيء من رونق الجدة والحداثة ، فالادب العربي في عصرنا هذا قد انتقل من طور الى طور ، وقد شعر بذلك بعض ادباء المغرب الاقصى ، فلا بد لهم من الانتقال في ادبهم الى هذا الطور الجديد حتى تظهر على شعرهم آثار خيال طريف ، وصور حديثة ، وليس معنى هذا انه يجوز لم ان يقطعوا الصلة بينهم وبين شعراء العرب المتقدمين في الجاهلية والاسلام ، وفي زمن بني أمية وبني العباس ، فما يكسبهم المثانة في ادبهم الا الحرص على الآثار القديمة ، فشعرهم ينقصه شيء من هذه المثانة العربية ، وينقصه شيء من مطابقته لروح هذا العصر .

فاذا سرنا الادب العربي في المغرب الاقصى من حيث ننبه رجاله في هذا العصر فانا نأمل ان يسرنا من للنواحي كلها ، من ناحية حرصه على المثانة العربية ، ومن ناحية موافقته لروح العصر حتى يكون ننبه الشعور والفكر في تلك الربوع الكريمة متكاملًا من جميع الوجوه ، وحتى لا يبقى الفرق عظيمًا بين الادب العربي في المغرب الاقصى وبين الادب في مصر والشام وسائر الافطار العربية .

شفيق جبري

مجلد الجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٣٠ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ

تصنيف الاحياء

« والفاظه العربية »

قرأت في جزء شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ من المقتطف للدكتور محمد شرف صاحب المعجم الطبي العلمي فصلاً في تصنيف الاحياء من نبات وحيوان وفي الألفاظ العربية التي رأى استعمالها للدلالة على اقسام تلك الاحياء مع مقابلها بالانكليزية . وبعد ان امنت النظر في تلك الألفاظ وجدت ان الدكتور المحترم شذ في بعضها عما وضعه او استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل الدكتور العلامة بوست في كتاب « مبادئ علم النبات » وكتاب « نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات » والعلامة الفقيه يعقوب صروف في المقتطف وعلي رياض صاحب كتاب التاريخ الطبي و كبار مؤلفي الترك في كتبهم ، دع غيرهم وهم كثير ممن لم نقرأ تصانيفهم او ممن لا يعول كثيراً على رأيهم في الألفاظ الواردة في كتبهم . وبالنظر الى ما هنا الموضوع من الشأن فقد رأيت من الواجب ان اكتب فيه على عجل هذه الأسطر الموجزة .

يوجد بين الاحياء افراد تتشابه في خلقها وتجليتها كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان وكأفراد الحنطة في النبات . فمجموع افراد الضأن تكون نوع الضأن كما ان مجموع نبات الحنطة تكون نوع الحنطة . وقد ميز الانسان الأنواع منذ ازل من متوغة في القدم فأطلق على افرادها اسم نوعها . فالانسان الذي عاش في حقبة الحجر المصقول كان اذا رأى افراداً من البقر سمي كل رأس منها ثوراً او بقرة ولم يسمه كبشاً او نجة

واذا رأى سنابل من الحنطة سمي كل نبتة منها حنطة ولم يسمها شعيراً . فالضأن نوع والبقرة نوع وكذا كل من الحنطة والشعير وهكذا . ويطلق الفرنسيون لفظة (Espèce) على ما اسمناه نوعاً . وكل رأس من الضأن او كل نبتة من الحنطة تسمى فرداً وبالفرنسية (Individu)

قلت ان الحنطة نوع . ولكن جميع افراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها فقد يكون لعدد من افرادها صفات خاصة ربما انتقلت بالوراثة الى الانسال لكنها كثيراً ما تتبدل او تزول مع الزمن . فهذه الافراد هي من صنف او ضرب واحد كالصنف الحوراني من نوع الحنطة كالصنف الحموي من المشمش الخ . والصنف بالفرنسية (Variété) وقد اطلق عليه العلامة صروف هذا اللفظ فوجدته صواباً فذكرته في كتاب البقول وكتاب الدواجن . لكن غيرنا قد وضع له الفاظاً أخرى كما سيحي . وقد أوجد الانسان آلافاً من الاصناف النباتية . وهو يحفظ صفاتها بالرجوع في تكثيرها الى التطعيم وغرس القصبان والهكس (جمع عكيس وهي التريدة) .

ورب اصناف في الحيوانات خاصة تأصلت فيها الصفات ورمخت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل مادام افراد هذه الاصناف يسند بعضها بعضاً دون ان تنزوا عليها افراد من صنف آخر فتعجنها . فالصنف الذي اصبح راسخاً على هذا الشكل بالانتخاب الطبيعي او الصنعي يسمى عرفاً (او صلبة) وبالفرنسية (Race) كعرق العرب من نوع الخيل وكالعرق البلدي من نوع البقر الخ . وهنا ايضاً يوجد اختلاف في الألفاظ العربية التي وضعت لهذا المعنى كما ستري .

يتضح مما ذكرت ان النوع في التصنيف يقسم عرفاً واصنافاً وافراداً اي انه اذا كان لديك عشرون بقرة بلدية في مريض وخمسون شجرة من المشمش الحموي في بستان فان الاولى تسمى علباً عشرين فرداً من العرق البلدي من نوع البقر والثانية خمسين فرداً من الصنف الحموي من نوع المشمش . فالعروق والاصناف والافراد هي في سلسلة التصنيف حلقات دون الانواع ، فلتنظر ماذا يوجد فوق الانواع من الحلقات .

اذا التفت نظرة الى عدد من البقر والجاموس رأيتها متشابهة في كثير من صفاتها فنوعا البقر والجاموس هما من جنس حيواني واحد . وكذا نوع الاوبل ذوات السنام

الواحد ونوع الاربل ذوات السنامين . والجنس هو بالفرنسية (Genre) . وقد وضع العالم الطبيعى لينىوس الشهير قاعدة مهمة في تسمية المصنفات من الاحياء . ذلك انها لما كانت تسمى جميعا باسماء لاتينية (واللاتينية هي اللسان العلمى) فقد جعل اسم كل نوع من الانواع الحيوانية والنباتية مركبا من لفظتين الاولى منها تدل على الجنس والثانية على النوع . فنوع البقر مثلاً هو (Bos taurus) ونوع الجاموس (Bos bibelus) فترى ان لفظة بوس التي تدل على الجنس قد وردت في اسم النوعين فهما اذت من جنس واحد .

ثم يجب ان يجمع الاجناس شي ؟ فهذا الشيء هو الفصيلة وبالفرنسية (Famille) فالبقر والجاموس والضأن مثلاً من فصيلة واحدة وهي الفصيلة البقرية (والبقرية هنا من قبيل اطلاق اسم البعض على الجميع) والحنطة والشعير والذرة والأرز وعرق النجيل هي من فصيلة واحدة تدعى الفصيلة النجيلية نسبة الى عرق النجيل .

وربما كثرت اجناس الفصيلة الواحدة وانواعها حتى صار من الضروري جمع المتشابهات من اجناسها في حلقة واحدة تسمى قبيلة وبالفرنسية (Tribu) . فما يأتي فوق الجنس هو اذن القبيلة ومجموع القبائل هي الفصيلة . وقد تكون الفصيلة صغيرة ليس فيها قبائل .

ثم هنالك المتشابهات من القبائل فانه يجب جمعها في حلقة واحدة كالفصيلة البقرية وفصيلة الاربل مثلاً فان انواع كليهما تجتر ولذا تجمعان في حلقة واحدة تسمى رتبة المجترات والرتبة بالفرنسية (Ordre) .

وبعد الرتبة يأتي الصف (Classe) وهو مجموع الرتب التي لها بعض صفات مشتركة مثاله في الحيوان صف ذوات الثدي فانه يجمع رتب المجترات وأكالة الحشرات وأكالة اللحوم وذوات اليدى (الانسان) وغيرها من الرتب ومثاله في النبات صف ذوات الفلقة الواحدة فهو يجمع رتبة النجيليات وغيرها .

والحلقة التي تجمع الصفوف هي الشعبة (Embranchement) مثالها في الحيوان شعبة ذوات الفقرات فان فيها صف ذوات الثدي المار ذكرها وصف الطيور وصف

الزاحفات الخ . وفي النبات شعبة ذوات الازهار ذات فيها صف ذوات الفلقة وصف
ذوات الفلقتين .

وليس فوق الشعبة شيء سوى دوحه النبات ودوحه الحيوان .
يستنتج مما ذكر انه اذا كان لديك جاموسة بلدية مثلاً قلت انها فرد من العرق
البلدي ونوع الجاموس وجنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة المجترات وصف ذوات
الثدي وشعبة ذوات الفقرات . ولا يجوز ان تستعمل في التصنيف غير لفظة واحدة لكل
حلقة من الحلقات المذكورة والا التبس الامر على القاري وضاعت الفائدة من التصنيف
فلم يعد ذلك القاري يعرف في اي حلقة عملة يجب ان يضع النبات او الحيوان
المجهوث عنهما .

فالاوربيون وضعوا في لغاتهم لكل حلقة لفظة ثابتة لا يمكن ان تتبدل وبمجموع
تلك الالفاظ بالفرنسية من فوق الى تحت هي :

Espèce , Genre , Tribu , Famille , Ordre , Classe , Embranchement
Individu , Variété , Race .

اما نحن فقد ركب كل منا هواه وراح يترجم هذه الالفاظ بما يراه رصيده كون
التصنيف العلمي الدقيق على هذا الشكل ما كان موجوداً عند العرب الاقدمين او عند
من تقدمهم من الامم ، فلنظرة نوع مثلاً تراها في الكتب العربية القديمة تدل على معان
شي من رأس سلسلة التصنيف الى ذنبها . وهكذا لفظة جنس وغيرها .

وهاك ما وضعه بعض المؤلفين والعلماء مقابل الالفاظ الفرنسية المذكورة على التتابع :
(اولاً) الدكتور بوست في كتاب مبادئ علم النبات : الرتبة ، الصف ، (لم اجد
شيئاً مقابل Ordre) ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم اجد
شيئاً مقابل Race) ، التباين ، الفرد .

(ثانياً) الدكتور بوست في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات : القسم ،
الصف ، الرتبة ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم انتبه لما وضعه
مقابل لفظة Race) ، التباين ، الفرد .

(ثالثاً) الدكتور صروف في المختطف : كانت يستعمل الالفاظ الدكتور بوست

ويخطي الدين يشذون عنها حرصاً على سلامة اللغة وخوفاً من الالتباس . وقد كان يرى ان اصلح لفظة تترجم بها (Variété) هي لفظة صنف .

(رابعاً) اكبر مؤلفي الترك وهم متفقون على هذه الالفاظ وهي : الشعبة ، الصف ، الفرقة (او الرتبة) ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، التنوع ، الشخص (او الفرد) .

(خامساً) علي رياض سبغ كتاب علم النبات . القسم ، (لم اجد ما اورده مقابل لفظة Classe) ، الرتبة ، الفصيلة ، القسم ، الجنس ، النوع ، (لم اجد ما يقابل لفظة Race) الصنف ، المفرد .

(سادساً) الدكتور محمد شرف في المقنطف : القبيل ، القسم ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، السليلة (او الشنب) ، الضرب ، الفرد .
(سابعاً) ما اورده في كتابي البقول والدواجن^(١) : الشعبة ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، الصنف ، الفرد .

هذه هي الالفاظ التي وردت مقابل الالفاظ الفرنسية على التتابع . ومن البديهي انه يوجد هناك اقسام اخرى في التصنيف كتحت الشعبة او ردف الشعبة للمجموعات التي يجمعها الشعبة وتحت الصف او ردف الصف الخ . ومن البديهي ايضاً ان علماء الحيوان والنبات غير متفقين على كيفية وضع اقسام الاحياء ضمن حلقات السلسلة المذكورة وهذه الامور لانهمنا كثيراً اما الذي يهنا فهو ان نتفق نحن على الفاظ عربية ثابتة تترجم بها الاسماء الاجنبية التي وضعوها لتلك الحلقات . ويستبين مما ذكرت اننا جميعاً متفقون على الفاظ الفرد والنوع والجنس والفصيلة والرتبة مقابل الالفاظ الفرنسية (Espèce و Individu و Famille و Genre و Ordre) اما البواقي ففيها اختلاف ولهذا وجب ايضاحها بايجاز ولنبداً بالاساس اي بلفظة (Embranchement) فقد خالف فيها الدكتور محمد شرف المحترم من تقدموه فسمها القبيل وسميناها الشعبة وقال ان القبيل هو اول قسم من

(١) ذكرت خلافها في كتاب « الزراعة العملية الحديثة » وكتاب « الاشجار والانجم

الثمار » لفوضى المنتشرة في هذا العدد .

التفصيل وانه بمنزلة الجذع من الشجرة . فنحن لانوافق . على رأيه هذا لان الشجرة ساقاً واحدة على حين ان الشَّعَب هي اكثر من واحدة سواء في الحيوان ام في النبات . فاول قسم من التصنيف هو الشعب او الفروع في دوحة النبات ودوحة الحيوان اي فيما ترجموه حرفياً بالملكة النباتية والملكة الحيوانية . والشعبة هي اصلح لفظة لترجم بها اللفظة الفرنسية المذكورة وهي تطلق في اللغة على اغصان الشجر الغلاظ وعلى الطائفة من الشيء وتعمل في المجاز فيقال (انا شعبة من دوحتك) . وقد استعملت قديماً لهذا المعنى في مدارس الشام واصبحت شائعة فلماذا نطرحها ونستعمل لفظة القبيل التي لا تفيد معنى الشعب ولم يسمع انها اطلقت على جماعة النبات . ولم يستعملها احد من العلماء والمصنفين .

ولنهيض الى الحلقة المسماة (Classe) فنرى ان جميع الذين صنفوا بالعربية ترجموها بلفظة « صف » فاذا بحضور الدكتور يخالفهم كلهم و يترجمها بلفظة « قسم » مع ان لفظة صف ارجح من كل الوجوه لاسيما وهي الشائعة في الكتب المهمة كافة . وهو يسمي (Sous-classe) صفّاً مع ان قاعدة الاتساق تقضي بتسمية اللفظة المذكورة « تحت الصف » .

ثم لنهيض الى الحلقة المسماة (Tribu) فقد وضع لها العلامة بوسـت لفظة صبط وترجمها الباقون بلفظة قبيلة واللفظتان موافقتان وربما كانت الثانية اصلح . اما لفظة (Race) فانها تدل على الصنف او العرق الذي تأصلت صفاته ورست وتثبت وصارت تثقل بالوراثة ولا تتبدل ولهذا وجدت ان لفظة العرق التي اقراها مؤلفو الترك توافق هذا المعنى بعض الموافقة اي من حيث التأصل والرسوخ . اما لفظة سبيلة التي وضعها الدكتور محمد شرف فمعناها في اللغة البنت ولست اراها موافقة وكذا لفظة الشعب التي خص بها الانسان اليوم فصارت الآذان لا تألف مثل قولنا « شعب البقر البلدي او شعب الكلب السلوقي ٠٠٠ » . ولدي كتاب مؤرخ في ١٩ آذار ١٩٢٥ كان وجهه الى العلامة الفقيه الدكتور صروف وبه يقول انه يرجع رفع لفظة عرق من احدى مقالاتي في الخيل العرب ووضع لفظة صنف مكانها . فلما بينت له ان العرق (Race) هو الصنف (Variété) الذي تأصل وانه من الضروري التفريق بين المعنيين اقر لفظة عرق ولم يبدلها . هذا وقد عثرت في احد اعداد المقتطف على لفظة (رس) استعملها

العلامة الغويي الأب انتسب الكرملي لهذا المعنى ولا اظن هذه اللفظة تساوي لفظه عرق .

وقد اجاد الدكتور محمد شرف بانتقاء لفظه ضرب مقابل لفظه (Variété) . وقد كنت استعملت هذه اللفظة لهذه المعنى في غير مكان من كتيبي لكن لفظه صنف هي اليوم اكثر استعمالاً وعلى كل لاظن انه يحصل التباس من استعمال اللفظتين . وهما ترجحان بنظري على لفظي التباين والتنوع .

وهناك لفظه (Hybride) التي لم نبحث عنها الى الآن فان معناها الاصلي الولد الذي ينتج من تساقد حيوانين ينتسبان لنوعين فسيولوجيين مختلفين كولد الحمار والفرس وولد الذئب والكلبة الخ .

وقد ترجم الدكتور شرف هذه اللفظة بالكلمات الآتية وهي النخل والخليلس والمجبن والبيسر . فانا اسأل حضرة الدكتور ماذا ترك من الالفاظ للدلالة على الولد الذي ينتج من ابوين مننسبين لمراقين مختلفين لكنهما من نوع فسيولوجي واحد كالولد الذي ابواه من نوع الخيل مثلاً لكن الاب من عرق الخيل العرب والام من عرق البراذين او الأكاديش . وهو ما يسميه الفرنسيون (Métis) ويسمون شكل الضراب الذي يحصل منه هذا الولد (Croisement) . فانا أرى ان الولد المذكور هو المجبن بعينه وهو ايضاً الخلامي وطريقة الضراب هي التهجين . اما الهبريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما نطلق مصدر التبغيل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل^(١) . ويمكن مع التوسع ايضاً تسميته كودناً او نغلاً مع العلم بان النخل في اللغة ليس سوى ابن الزينة .

وبعد لقد كثرت الآراء في الألفاظ العربية التي يجب استعمالها لحلقات تصنيف الاحياء حتى انني اوردت في كتاب الدواجن الذي سأبشر طبعه عن قريب ، العبارة الآتية وهي : اذا قال احد النحاة (اموت وفي نفسي شيء من حق) فانا أقول (أموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات . . .)

(١) راجع ما نشرته في هذا الباب في الصفحة ٢١٥ من المجلد ٧٢ من المقتطف والصفحة ٤٣٠ من المجلد ٨ من مجلة المجمع العلمي بدمشق .

ولا يجوز ان يأتي كل مؤلف جديد بالفاظ جديدة فقد كفانا الى اليوم تعدد الالفاظ للمعنى الواحد . ولا أخالنا ناجين من هذه الفوضى ومن فوضى ترجمة المصطلحات العلمية عامة حتى تصبح عزيمة الحكومة المصرية على انشاء مجمع لغوي يعقد في كل سنة مؤتمراً فيدعوا اليه وفود مجامع الدول العربية السائرة ، وهناك في حضرة ارباط العلوم والفنون واللغة ثبت الالفاظ للمعاني بعد المناقشة في كل لفظة . وعلى الحكومات العربية بعدئذ ان تضمن بما لديها من الوسائل استعمال الالفاظ التي ثبتت دون غيرها . فهل تظنون اننا نعيش حتى نسمع بهذا المؤتمر .

مصطفى الشهابي

دمشق :

عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة



حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن قال كنت اخط بين يدي ابي العباس بن الفرات في اول وزارة عبيد الله بن سليمان واتحقق به لان ابي اصطنع اياه (١) وكنت اشرب معه . فكنا ليلة على شراب وقد جرت الاحاديث فحدثنا باخبار عدة من الكتاب والوزراء كانت فيهم حدة . وقال كان احمد بن الحبيب يركل المتظلمين . وكان ابو عباد ثابت بن يحيى يضربهم بالمقرعة اذا كان راكباً . وكان احمد بن ابي خالد يشتمهم . وعد جماعة . قال وكان في ابي العباس حدة وسفه لسان . فسمعنا ذلك منه ولم نقدم على مواقفته . فلما كان من غد ركب وانا معه في السحر . فلقيه في الطريق اهل سبطيا (٢) يتظلمون من عاملهم في شيء ذكروه . فصاح عليهم وشتمهم . فتقدم اليه احدهم فالح عليه في الكلام . فرفسه برجله من الركاب وقنمه بالمقرعة وبصق عليه . فذكرت الحديث الذي حدثنا به من ليلته فضحكت . فسمع قهقهتي فالتفت مبتسماً وقال من اي شيء ضحكت يا عيار ؟ ، فقلت زدتنا نذقة (٣) ياسيدي في ذلك الحديث الذي

١ . م . ع لعله اياه . ٢ . لعله سبطيا . م . ع الذي في ياقوت سبطية مدينة قرب سبطيا من اعمالها على اعلى الفرات . والمشهور انها بلدة من نواحي فلسطين . ولم نجد باليم الا سبطا قرية بصيد مصر . ٣ . كذا في الاصل ولعله تركة .

جری البارحة . فقال او قد حفظته ؟ قلت نعم . قال : فقال لي سليمان بن الحسن سمعت دفعات لا احصياها ابا العباس ابن الفرات وقد احتد طبعه على قوم غضب عليهم وكان يقول للواحد منهم يا ابن مائة الف كره خردل مضروبة في مائة الف مثلها زواني . تشاغل بحساب هذا فهو انفع لك .

قال ابو الحسين وما رأينا ولا سمعنا برئيس أسفه لساناً من حامد بن العباس فانه كان لا يرد لسانه عن أحد البتة . وكان اذا غضب شتم . فمن ذلك ان ابي حدثني انه كان بحضرته في مجلس حافل . فجاءت ام موسى القهرمانة فقالت له ان امير المؤمنين امرني ان اقول لك في مجلس حافل ان ابن الفرات كان يحمل اليّ خريطة في كل يوم فيها الف دينار والى السيدة عشرة آلاف دينار في الشهر والى الامراء والقهارة خمسة آلاف دينار في الشهر وانك قد اخلت (١) منذ اربعين يوماً . فقال لها في جواب ذلك الساعة قد جئت حادة محتدة تطاليتني بهذا اضرطي والتقطي . واحذري لا تغلطي . قال فقامت خجلة وكان ذلك احد اسباب سقوطه عندهم وغلبة علي بن عيسى على الامور ، ومن ذلك انه استحضر ابن عبد السلام العدل يطالبه بوديعة سُمِّيَ بانها عنده لابن الفرات وان يحيي بن عبدالله الدقيقي ايا زكريا قرابة ام كلثوم قهرمانة ابن الفرات اودعته (٢) ذلك فجرى الخطاب بينهم . في ذلك وعلي بن عيسى حاضر والخلق من القضاة والاشراف والاولياء . وكنت فيهم وانا حدث مع ابي . فقال له هذا الدقيقي ابن البظراء قرابة .

١ م . ع الظاهر انه من اخل بالشيء اذا قصر فيه . ٢ م . الصواب اودعه .

كثوم الغلاء تعرفه؟ فقال: العدل الوزير اعزّه الله اعرف به مني. ومن ذلك انه قال لابن الحواري في دار الخليفة وام موسى حاضرة ليلة قدم من واسط ليتقلد الوزارة في حديث جرى بينهما: قد نلت امه مرتين. فقالت ام موسى ويبي اي شيء هذا واستحيا. وقال لابن الحواري: نحن في السواد اذا غلبنا خصومنا قلنا قد نلنا امهاتهم. ومنها انه استحضر الوليد بن احمد بن اخت الراسبي ليطالبه بمصادرة قد وقف عليها عشية (ليلة) (١) عيد انى عليه في وزارته ولم يشغله حضور الناس عنده للتنهة بالميد فأتى بالرجل بحجة صوف فلما رآه على بن عيسى وكان حاضراً قال ان رأي الوزير ان يخليني واياه لا خاطبه واقوده الى امثال امره. فقال افعل، واستدعاه اليه وجعل يساره وكان على ابن عيسى قريباً في (٢) المجلس من حامد، فسمع عليه ما يخاطبه به. فسمع الوليد يحلف قليلاً قليلاً ما بقيت لي حيلة. فقال لملي بن عيسى يا ابا الحسن يلذني الساعة ان أنيل أم هذا. فقال علي بن عيسى اللهم غفرأ إبي والله أي لو تم. قال وكان ابن عبدوس الجهشياري الذي الف كتاب الوزراء قائماً على رأس علي بن عيسى لانه كان يحجب ابا الحسن وكان ابوه من قبله مضموماً اليه رئاسة الرجال برسم علي بن عيسى الوزير وكان يحجبه ايضاً. قال فتحنى ابن عبدوس من مكانه وقال لعن الله زماناً صرت انت فيه وزيراً. ومنها انني سمعته وقد اجتاز على باب دار كنا نتزها بشارع الكوفة اذ ذاك وانا قائم على الباب وقد اتفق انه كلمه في الموضع قوم من اهل بادوريا في خراج

النخل الشهير واكثروا انهم يبيعون المائة رطل منه وهي حمل نخلة بدرهمين وخارجها ثلاثة دراهم وانهم يمنعون من قلمه . فاما اذن لهم في ذلك واما خفف عنهم من الحراج . قال فصاح عليهم وقال ليس لي في هذا نظر قد صار النظر في هذا وشبهه الى علي بن عيسى فامضوا اليه . قال فانصرف القوم وسار خمس خطى او نحوها ثم وقف وقال ردهم فردهم الرجالة فقال لهم كائني بكم وانتم تمضون الى علي بن عيسى وتقولون قد احالنا الوزير عليك واجابنا . وامي ان كنت اجبتكم الى هذا زانية وامكم ان قلتم هذا زانية وام علي بن عيسى ان اجابكم الى هذا زانية . ثم سار متوجهاً الى بستانه المعروف بالناعورة ليشتره . ومن ذلك انه كان يجتمع مع علي بن عيسى في دار الخليفة لما ضمن حامد في وزارته السواد وصار علي بن عيسى مستوفياً عليه ومطالباً له فيتناظران في امر المال فيحتفيه علي بن عيسى بالحجة فيعدل هو به الى السب والسفه . فيقول له علي بن عيسى سلاماً سلاماً . يريد بذلك قوله الله تعالى : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » قلما كثر ذلك على حامد قال له يوماً عقيب سفه (١) جرى عليه مه كم تذكر سلامة الذي ينيل اختك اسماء . فقام علي بن عيسى وقال ما بعد هذا شيء . وتجنب مخاطبته بعد ذلك . وقال لعلي بن عيسى مرة بحضرة المقنذر انا والله نلت هذا مرتين وهو امر د .

حدثني ابو الحسين قال : رأيت بغداد في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وابي واما مستتران في الكرخ طوافاً يصيح ويقول انظروا الى قدرة الله

(١) م . ع كذا في الاصل وفي المصباح . قولهم عقيب بالياء لا وجه له فليراجع .

في رأس بقرة برأسين وأربع أعين فرأيت ذلك كما وصف .
 وحدثني أبو الحسين قال : سمعت أبي يقول لما ولي أبو الحسن بن الفرات
 الوزارة الأولى لم يبدأ بتقليد أحد قبل أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام .
 وكان مقبياً في مصر على عطلة فكتبه بأجل مكاتبه وقلده أعمال مصر وزاده
 في الدماء . وقال : هذا رجل قد جرت له على رئاسة والرياسة دين لا يقضى .
 قال أبو الحسين وسمعت أبا في الوزارة الثالثة أبا الحسن بن الفرات يقول
 وقد دفع إليه صاحب الخبر خبراً فقرأه وخرقه ثم قال يتمضي (١) الناس
 بتعطيل مشايخ الكتاب وتفريق الأعمال على آل بسطام وآل نوبخت
 والله لو لا أنه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدهم لما استعملت في
 الدنيا إلا آل نوبخت دون غيرهم . قال أبو الحسين : وإنما كان يتعصب لآل بسطام
 رئاسة (٢) أبي العباس عليه وللمذهب ويتعصب لآل نوبخت للمذهب .

حدثني أبو الحسين قال سمعت جماعة من مشايخ الكتاب يقولون كان
 المتضيد إذا نكب رجلاً من جلة العمال ورؤسائهم وكل به من يحفظه من
 قبله ولم يمكن عبيد الله من نفسه وربما أمر بصيانته وشدد الوصية في أمره من
 غير توكل به من جهته ولا اطماع في المال وكان إذا وكل به يظهر أن
 التوكيل للمطالبة وزيادتها والتشدد فيها لا لحفظه نفسه قيطم العامل . قال
 وكان يقول هؤلاء إكابر من العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية
 وعرفوا أقطار البلاد هم أركان الدولة وأعضاء الوزارة والمرشحون لها . فإن

«١» م . ع لعله بمضني أي يتناول عرضي ويعيني . «٢» لعله لرئاسة .

لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الامر واثريه.

حدثني ابو الحسين علي ابن هشام قال حدثني ابو منصور عبد الله بن جبير النصراني كاتب ابن الفرات . قال لما تكبت (١) بنكبة ابي الحسن ابن الفرات بمد الوزارة الاولى سلمت الى ابي الحسن علي بن احمد بن يحيى بن ابي البغل يحتسني عنده . وكان يطالبني بالمال فادفع عن نفسي الى ان احضرتني يوماً فخطبني في المال فلم اذعن بشي فعدا بتزوين وامره ان ينتف بالنتفاس ربع شعر رأسي فلما نتف منه طاقات يسيرة كدت اتلف وقام هو وقال اذا نتفم ربع رأسه فمرفوني فلما قام رشوت الموكلين فحلّقوا باقي الربع من رأسي ولم ينتفوا واعلموه انه قد نتف فامر ان يغير الموضع النظيف من رأسي بغير حار فجاؤوا بالقيير فوضموه على رأسي ولم يكن مفرط الحرارة لانه (لو) كان مفرطاً لاتلفني لا محالة . فعين احسست بحمي القيير قامت قيامتي وكدت ان اتلف فاذعنت بالاداء واقررت بسبعين الف دينار ودائع لي وكنت التزم تسليمها اليهم . فاخذت في اليوم الثالث فلما كتب خطي بتسليمها امر بالزيت فطلي به رأسي وقلم به القيير من رأسي ففرغ (٢) شعري الى الآن .

حدثني ابو الحسين (١) قال انصرفت من عند ابي عبد الله تفتويه وقد كتبت عنه اشياء فبحث الى ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج فقال لي ما هذا

(١) م . ع . كذا في الاصل ولله نكبت (٢) م . ع . لعله فقرع شعري اي حلق وبقيت فيه شعرات . (٣) معجم الادباء ١ : ٣١٤ .

الدفتري فأرثته إياه وكان على ظهره مقطوعتان فانشدنيهما تقطويه لنفسه. فلما قرأهما الزجاج استحسنتهما جداً وكتبهما بخطه على ظهر كتاب غريب وكان بحضرته . والمقطوعتان :

تواصلنا على الايام باق	ولكن هجرنا مطر الربيع
يروحك صوته لكن تراه	على روعاته داني النزوع
كذا المشاق هجرهم دلال	ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله ان تلقى (١) غضابا	سوى دل المطاع على المطيع

والاخرى :

وقالوا شانه الجدري فانظر الى وجهه به أثر الكلوم
فقلت ملاحه نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم
حدثني ابو الحسين قال حدثنا جماعة من شيوخ الكتاب منهم علي بن
عيسى والباقراني وغيرهما قالوا حدثنا عبيد الله بن سليمان . قال : لما اصاف (٢)
المعتمد بسر من رأى وأمره اذ ذاك نافذ ومعه قطعة من الجيش وكان سليمان
ابن وهب وزيره والموفق بواسط وعبيد الله بن سليمان كاتبه - طلب المعتمد
من سليمان مالا يحتاله لداره وحرمة وخاص نفقته لا يعلم به الجند فدافعه
بذلك . فقبض عليه وقال له : قد تقلدت منذ ايام المعتز والى الآن اعمالاً
متوالية منها الوزارة للهندي ومرة (٣) الجبل وغير ذلك وما نكبت ولا

(١) م . ع كذا في الاصل ولعله نقي . او تلقى (٢) م . ع : لعله صاف وفي اللسان
والناج صاف بللسكان اقام به صيفاً واصاف دخل في الصيف . (٣) لعله : وإمرة الجبل .

صودرت واريد منك خمسمائة الف دينار . قال وورد علي الخبر فلشدة محبتي لخلاص ابي ما جنيت عليه جناية عظيمة بان صرت الي الموفق فقلت له لم يقدم المعتمد علي ابي الا لبغضه لك وليس يحقد (١) علينا الا تمشية امرك واجتذاب الجيش اليك . فوعدني بتخليص ابي علي مهل . فقلت ان اخرت الامر اسرع الي مكروهه وازالة نومه . فقال ما تريد : فقلت تخرج بمن معك فتزعه من يده قسراً . فقال هذا يحتاج الي مال ورجال وهو خليفة علي كل حال ولا احسب الرجال يطاوعوني (٢) علي حربه . فقلت له علي المال والرجال . فقال دعني حتى افكر . قال ودافني واعتقد في اقبع اعتقاد ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال في قتال خليفته وتمكنه (٣) من المال من عنده ومن حيلته ما يرضي به الجيش . فلما عاودته قال يجب ان تقدم المراسلة بيننا وبينه فان انجمت وإلا كانت الحرب . فاخترنا للرسل (٤) صاعد بن مخلد وهو اذ ذاك من جلة أصحاب الدواوين . فاستداه الموفق من (٥) حضرته من سر من رأى فصار اليه وحمله رسالة الي المعتمد . فمضى واداهما واصلح الامر مع المعتمد لنفسه . اشار علي المعتمد باطلاق ابي حاجلا وضمن له إفساد رأي الموفق فيه وفي حتى يقيض علينا . فأقام ابي عند الموفق والوزارة اليه فدير امر الموفق . ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق

١٥ م . ع كذا في الأصل ولعل أصله بحقه اوضحته معنى تقيم ونحوه . ٢٥ م . ع حذف النون من هذا الفعل وامثاله للتخفيف وقد تكرر في مواضع كثيرة . ٣٥ م . ع كذا في الأصل . ٤٥ م . ع : للترسل . م . ع : الاولى للترسل او الرسالة . ٥٥ م . ع : الى .

في الامر وأتخذ المعتمد ثقافته سراً الى الموفق بما لقنه به صاعد ولم يزل ينسج (١) الامر حتى تمت النكبة علينا .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عيسى اخو ابي عيسى واسمه احمد ابن محمد بن خالد . قال : سمعت أسماعيل بن بلبل يقول ما في الارض اشد جناية على الوزراء والرؤساء من اصاغر اسبابهم . ولقد قال لي راشد صاحب جيش الموفق كنت قد بليت بالنظر في امر انزال الرجالة ومن يجري مجراهم وكنا نحتاج في كل يوم لذلك الى ستة آلاف دينار فما زالت تنقص بالاضافة الى ان تقتصر على ما لا بد منه وكان ثلاثة آلاف دينار . واعتمد الموفق عليّ في ذلك لشدة اهتمامه به لا قوم به اذا لم يطلق المال بمالي وجاهي وحيلتي فافقرني ذاك . وكان عبيد الله بن سليمان وابوه وهما مقيمان بمحضرة الموفق يقصداني ويرثان (٢) المال عليّ . فاحفظني ذلك عليهما . واقتصر (الى) على النفي دينار في كل يوم عاجلة والف بحوالا لا تروج . فكنت احتاج الى ان ارهن سيوفي وسروجي وادخل كل مدخل حتى اقيم الانزال (٣) ووقعتالي في بعض الايام الى جهيز هما لث بمال من مال الانزال جملاء من مال ضياعهما فتوارى ليث فبثت الرسل في طلبه . فوجده بعض رجالي فأوصل اليه التوقيع . فقال ما عندي للوزير ولا لابنه مال فقال له فاحتل ولو من مالك . فهذا امر مهم للامير ابي احمد . فقال وأيش لابي احمق عندي

١٥ م . ع : يقال نسج الزور بلفقه وزوره . ٢٥ م . ع : لعله يرتبان . ٣٥ م . ع الانزال الارزاق والاقوات .

فجاءني الرجل بالخبر فحملني الغيظ عليهما الى ان شكوت الى الموفق هذه الحال وقلت قد قال كلاماً لا يجوز امادة مثله قبحاً (١) عليك . فطالبني باحضار الرسول فاحضرته . فأمره ان يحكي الكلام فخاف الرسول فأرهبه فأماده عليه بعينه من غير كناية . فقال (صدق ليث لو لم اكن ابو (٢) احمق لما تركت عليه وعلى اصحابه الاموال حتى انتظر فكان ذلك سبب تعجيل النكبة لهما . فقال لي الموفق اريد ان تلزم اصحابك طلب ليث وتظهر انه بسبب هذا التوقيع وتبث الرجاله حتى اذا حصل قبضنا على اصحابه ؛ فانتقدت عدة ولم ازل اجتهد حتى حصل . وجاء سليمان وعيد الله من غد للخدمة على الرسم فشوغلاً (٣) في الدار الى ان حصل ليث فلما حصل قبض عليهما وانتقد الى صاعد من احضره فتقلد الامر وسلم اليه ليث . قال راشد صرت الى صاعد مهتأله بالوزارة . فقال قم بنا لاريك المعجب . فقمنا وخلصنا ودعا بليث ورفق به . فلم ينفع الرفق . فقال علي بحبس غلامه فجاء به فضر به بمقارع يسيرة . فقال انا ادلك على بئر المال . فقال ليث هذه البئر مالك او مال اصحابك ؟ فقال بل مالي انا رجل تاجر . فأخرجوا من البئر ثمانين الف دينار . واستخرج بعدها من ليث جملة أخرى كثيرة . فكانت تلك احد (٤) ما قوي طمع الموفق في آل وهب واستئصالهم

حدثني ابو الحسين قال كنا في مجلس حامد بن المباس وهو وزير

«١» م . ع لعل الاصل قال كلاماً قبيحاً لا يجوز امادة مثله عليك . «٢» م . ع ابو مرفوع على الحكاية . «٣» م . ع : كذا في الاصل ولعله شغلاً . «٤» م . ع : الاظهر احدي لطابق تلك .

وكان يتحدث في مجلس العمل كثيراً . فسمعتة يحكي . قال قال لي صاعد بن مخلد : لما قلدني الموفق وزارته شرطت عليه ان لا ادخل في مكاره سليمان بن وهب وعبيد الله ابنة ولا اطالبهما ولا انظر اليهما في مال ولا وديعة . وقلت للموفق : سليمان اصطنعني ورفع حالي وصرفني وما دخل قطلي في مكروه ولا دخلت لهما في مثله . ولم اجب الى التقليد حتى صافحني ان لا يلزمني ذلك . فلما تقلدت وخلع عليّ خاطبني في امرهم ^١ بعد ايام وذكر ضيق المال الا من جهتهم . فقلت الشرط املك وانت قادر ان تنصب لهذا كاتباً وتديره بنفسك وبمن ترى من حاشيتك . فماودني دفمات وانا ممتنع حتى مضى شهر من تقلدي . فلما رأني على هذه الحال راسل سليمان وقال له ان صاعداً غرني من نفسه وضمن لي القيام بالامور وقد بلغ ^٢ وليس يذهب ولا يجيء . وهو عدو له وعدو ابنك وهو سمي بكما فاضنه مني واذاً كر لي ما عليه من الاموال وما في جيبه ومعايبه والحجج والتطرق ^٣ عليه وعلى املاكه . وكان سليمان محكماً مجرباً فاعاد الجواب عن الرسالة بانني ان كنت موثقاً بي فلا تحتاج الي ضمانني لاني انصح واستقصي على كل من يجب عليه حق للامير ان اعادني الى خدمته ودافع عن كتب الرقعة ، وعلم انها حيلة عليه . لامتناعي من مكروهه حتى يجعل الرقعة (حجة) عليه عندي ، فانفذ الموفق الى عبيد الله

١ . م . ع . كذا في الاصل والاولى في امرها . م . ع . بلغ الرجل أعيا وبلغ الغريم أفلس اولل صواب العبارة « ضمن لي القيام بالاموال وقد بلغ » اي لم يكن عنده مال يعني منه تلك الاموال . م . ع . قال في اللسان . تطرق الى الامرا بتغى اليه طريقاً

مثل هذه الرسالة واستكتمه ذلك عن ابيه فكتب عبيد الله رقعة طويلة يسمى علي^(١) فيها اقبح سعاية ويضمنني بمال جليل ويثلبني ويتكلم بي . فلما وصات الى الموفق احتفظ بها وغدوت عليه فخطبني في تسلمهم ومطالبتهم فاستغفيت وقتت على الامتناع . فقال اقرأ هذه الرقعة فلما قرأتها ولم يكن عندي اذ ذاك علم كيف جرت الصورة وانما انكشفت لي بعد ذلك المجلس قامت قيامتي وخفت على نفسي من معاملة الموفق متى لم اعاجلهم ولم اشك ان ذلك القول صحيح من عبيد الله . وان الموفق قد انعم علي باطلاعي عليه فاستجبت^(٢) الى تسلمهم وناظرتهم والزمهم الاموال المظيمة واستمرت النكبة عليهم .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن عيسى يقول : سمعت عبيد الله بن سليمان يقول : لما دخل صاعد ابن مخلد علي وعلى ابي ليناظرنا ونحن في حبس الموفق قنا وتلقيناه فخطب ابي بجمل وأكرمه . وكلمني ببيع وجعل لا يخاطبني الا باسي . ويقول يا عبيد الله فلما اكثر علي آآني ذلك فقلت له نعم انا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد تنصرف في خدمة السلطان منذ خمسين ومائة سنة ونتقلب في جلائل الاعمال . انت صاعد بن مخلد : مخلد من ابوه ؟ فكان هذا من اكبر ما حفظه علي حتى تناهى في مكارهه . وكان ابي يلومني على ذلك ويقول سيل الانسان في المحن ان يتطأطأ لها .

«١» م . ع : المروق سعى به الى الوالي وشى به . او ضمنه بمعنى نعم فداء بجلى

«٢» م . ع : كذا في الاصل . ولعله استجبت

ويذل لوقوعها . ولا يغالبها . ولم تكن نفسي تطاوعني على ذلك وكان من
اضر الامور عليّ وكان الحزم مع ابي دوني .

قال ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي
صاحب حامد بن العباس وخليفته قال لي حامد : كان صاعد بن مخلد اول
من قلدني العمالة رياسة . فقال لي في بغض الايام احضر معي دار الامير
الموفق . فحضرتها معه فجلس في مجلسه منها . واستدعني على خلوة سليمان
ابن وهب وابنه عبيد الله وهما منكوبان . فرأيت سليمان وقد خرج بطيلسان
وخف ومبطنة وابنه حاف مكشوف الرأس على أذل صورة . فاكرم الارب
واسمع الابن المكروه الى ان دعا له بالمقارع فاخذ سليمان يستمطفه كل
الاستمطاف وهو لا ينثني ويقول له اذا صنتك يا ابا ايوب عن مثل هذه
الحال فلا اقل من ان تدعني تنقم^(١) من هذا الجاهل الفاعل الصانع . قال واقبلت
المقارع تأخذ عبيد الله بن سليمان وهو يستمطفه . فلما زاد الامر قال له سليمان
يا كافر يا فاجر ما تستحي انا اصطنعناك واقعدناك هذا المقعد تضربه بين يدي
سبة عليك . قال فاستحيا وامر بقطع الضرب فاضرب بعدها عبيد الله بحضرته .
ووضع الموفق بعد ذلك على ان يكون الضرب بحضرته بايدي غلمانه في داره
فعرض الموفق عليهما حتى نهكهما عقوبة وضرباً .

فحدثني ابو علي بن مقلّة في نكته بعد الوزارة الثالثة وهو في دار ابي
بكر بن قرابة لمال يوديه ضمنه عنه ابن قرابة وشكاً ما عامله به الحسيني من

المكروه ثم قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول سمعت ابا القاسم عبيد الله بن سليمان يقول: أخرجت وأخرج أبي في نكبتنا في بعض الايام بواسطة الى حضرة الموفق وقد نصبت له سبينة (١) فجلس وراءها ونحن نعلم بذلك . ودعا براغب فأمره بضربنا . فضرب أبي نيفاً وعشرين مكررة . ثم دعى بي فنوظرت . ثم امر بضربي . قال ان يستدعي لي من يضربني قال أبي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت وما اقول ما ا قوله دفعا عن نفسي ولا عن ولدي وانما ا قوله شفقة على الامير . فأعلمه ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ذبح سخلة بحضرة ايهافخبط (٢) من ساعته . قال فوالله ماضى راغب ليودي الكلام حتى جاءت الرسل من عند الموفق بان يرفع الضرب عنا . وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبينة فما عاد بعدها علينا مكروه .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو زكريا يحيى بن سعيد السوسي المعروف بخلف . وعمله في اليسار والجلالة والمكنة من السلطان والاشتهار بالدين والثقة والصدق والامانة وصحة الرأي (والمحل) — مشهور . وكان نصرا نبأ في حدائته فأسلم وحسن اسلامه . قال رأيت في منامي يعني بعد اسلامه علياً عليه السلام وكان جالس ومعه جماعة من اصحابه وبالقرب منه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما جماعة . قال فسألتهم : فقلت يا امير

١٥ م . ج : السبينة ضرب من الثياب تتخذ من مشاق الكتان اغلظ ما يكون وثياب من حرير فيها أمثال الاترج منسوبة الى سبن موضع بناحية المغرب . ٢٥ م ، ع : يقال خبطه الشيطان وتخبطه منه باذى وأفسده وخبله ، وخبط العرق اضطرب .

المؤمنين ما عندك في ابي بكر وعمر ؟ فإني خيراً كثيراً . قلت فلم لم تجلس معهما فقال حياء منهما لما يعمل بهما الرافضة .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنقطويه في مسجد الرصافة املاء في سنة ٣٠٨ . قال حدثنا ابن بنت يزيد بن هارون ولم يسمه وكذا املى علينا . قال رأيت جدي يزيد في النوم . فقلت له ما فعل الله بك ؟ ومنكر ونكير ما قال لك ؟ قال قال لي من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فقلت ألي يقال هذا ؟ وأنا اعلمه الناس منذ ثمانين سنة . فقالا لي نعم نومة العروس فلا بوس (١) عليك . وطابني ربي على كتابي (٢) عن عثمان بن جرير . فقلت يارب عبدك وما اعلم الا خيراً . قال انه كان يبغض علياً عليه السلام .

حدثني (٣) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن بن الفرات قال دخل عليّ المقتدر يوماً وأنا في حسبه (٤) في وزارة حامد . فقال لي يا ابا الحسن أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب ؟ فقلت نعم . قال اي شي هو من الناس ؟ قلت حامل له محل ويفهم من الحساب شيئاً وهو من صنائعي ووجوه عمالي . وقد كان قبل تقلد عمالات لعبيد الله بن سليمان وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي وهو من اهل بيت . قال فقال لي انه قد كتب

١٠، م، ع : المعروف لا بأس عليك اي لا خوف (٢)، م، ع اي كتابتي (٣) كتاب الوزراء لجلال ص ٨١ . (٤) م. ع هكذا في الاصل ولعلها الحسبة وهي اسم من الاحتساب ومنه محتسب البلد .

اليّ يخطب الوزارة ويتضمن (١) بحامد وبعلي بن عيسى . قال فقلت له : ولا كل هذا يا امير المؤمنين من هذا انما طمع في الامر لما رأى حامداً قد تقلد الوزارة ولعمري انها قد اتضمت بتقلده وطمع فيها كل احد . ولعمري انه فوق حامد اولاً في العفاقة (٢) وحفظ اللسان والحساب والحط ولكن ليس لانه فوق حامد يجب ان يقلد الوزارة . ولا لان الغلط جرى في امر حامد يجب ان يقلد هذا وعلى (٣) انه قد غلط في ظنه انه يصلح لصرف حامد لان حامداً وجلّ قديم الرياسة في المال وله مروءة عظيمة وضباع كثيرة وغلماں كثير واعداد وله هبة وسطوة وسن . ونشأ بعيداً من الحضرة فلم (٤) يستشف اخلاقه وافعله فاستتر امره عن اهلها وله كرم يغطي كثيراً من معاييه وترك الامر في يده ويد علي بن عيسى (اولى) ولا يلحق بمض كتابه فضلاً عنه واني لا قول الحق فيه اعلى عداوتهم الي . قال فأضرب المقتدر عن تقليده . قال هشام ثم تم التدبير لابي الحسن في الوزارة وصرف حامد . فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي ابو احمد ذكر تلك الحال التي حدثت بها المقتدر . فهاب الحسن ابن محمد علي الامر ورآه بعين رجل بعيد الهمة وعرف تقلب (الامور) رأى (٥) المقتدر فرأى ان يحسن الى الحسن بن محمد ويبيعه عن الاعمال . فقلده الموصل واخرجه اليها صار فآلاً بن حماد . فانتفع الكرخي بذلك المشروع .

١٥ م . ع : يقال ضمته التي فضمته غرضه اياه فالترمه ولعله يريد انه يلتزم استخراج المال منها ٢٠ بالاصل الوزارة ٣٠ لعله : وعندي ٤٠ م . ع : الاظهر تستشف ٥٠ م . ع : هكذا في الاصل ولعل الاصل ورأى المقتدر .

الاسلوب (١)

مر بكم وانا الخص لكم مذهب « سانتوف » في النقد ان الناقد ينبغي له ان يجرد من نفسه في نقده فمن شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد فن وان لا يكون له اسلوب فاذا كان له شيء من ذلك صرف باله الى العناية باسلوبه فظهرت آثاره على الكلام الذي ينقده . هذا الطراز من النقد اسمه : النقد الموضوعي وصاحب هذا المذهب يقتصر على الافاضة في الموضوع نفسه دون التمرض لاشياء لا تتعلق بالموضوع فكأنه يحاول ان ينسلم من عاطفته في نقده وقد اعترض على هذا المذهب اتانول فرانس فقال :

« النقد انما هو نمط من الروايات على نحو العਲقة والتاريخ تزاوله المقبول الفطنة العلامية وكل رواية اذا نحن فهمناها كل الفهم ان هي الا ترجمة المؤلف بقلمه فالناقد الحاذق هو الذي يفصح عن خوالج نفسه في تضاعيف روائع المؤلفات ، لا يوجد نقد موضوعي كما انه لا يوجد فن موضوعي وكل الذين يتبحسون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير روحهم فهم واهمون بالحقيقة ان المرء لا يخرج من باطنه ابداً وهذا من اكبر شقاء البشرية اننا قيد انفسنا فكأننا في محبس دائم فالتدي يلبق بنسا عمله انما هو الاعتراف بهذه الحالة الفظيعة والافرار باننا نتكلم بكلام على انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول : ساداتي . اني اريد ان اتكلم بكلام على نفسي في اثناء كلامي على « شكسبير » او « راسين » او « باسكال » او « غيت » فان في ذلك فرصة حسنة .

وهذا النوع من النقد اسمه . النقد الذاتي وصاحب هذا المذهب لا يستطيع ان يتخلص من الاعراب عن لوايح صدره في خلال كلامه على مؤلف من المؤلفين .
. مالنا ولهذا كله انما ينبغي الكلام على الاسلوب من حيث هو اسلوب دون الاندفاع

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

في التنقيب عن طبقات الاساليب والتلحج الى محاسنها ومقايضها الى غير ذلك مما يرجع الى صناعة الترسل والانشاء .

من شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد أسلوب فما هو الاسلوب ؟ .
قرأت من يومين كتاباً دوت في احاديث اناطول فرانس في مجاله ، قال جامع هذه الاحاديث وهو من الذين كانوا يحضرون مجالس اناطول .

طلبوا الى اناطول ان يقص عليهم قصة رنان مع راهبة الدير في لبنان فقال اناطول : اسموا الحديث من ثم رنان نفسه ولست أعني بهذا انه حسن القصص ولكنه كان صاحب طريقة خاصة ، فكان يملأ احاديثه شواهد ويتأوه وتأوهات البريتونيين ويتبسم ويدبر ابهامه على بطنه ويورم خديه الضمخمين في اثناء الحديث ، والخلاصة كان يطبع احاديثه بطابع خاص .

أحب ان استنبط تعريف الاسلوب من هذا الكلام فالأسلوب هو الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته ، والشاعر شعره ، والقاص قصته ، الاسلوب هو القالب الذي يصب فيه كل واحد منا فكره وعاطفته .

يقول بوفون : الأسلوب انما هو الرجل نفسه ، ومعنى هذا ان الاسلوب انما هو فهم المؤلف وطابع عقله فالاسلوب على هذا الوجه انما هو الشيء الذي يملكه المؤلف ويختص به في اي كتاب من الكتب ، لا يراد بهذا الكلام ان الاسلوب صورة طبع المؤلف او صورة اخلاقه ، وانما المراد به المنهاج الذي ينهجه هذا المؤلف في الافصاح عن فكره يختلج في ذهنه او عاطفة تضطرب في قلبه ، فهو جملة ما يتذرع به المؤلف من الذرائع الى تصوير فكره او تصوير عاطفته .

لنضرب مثلاً للاسلوب ، فلنرجع الى اديب من أدباء العرب ، فلنرجع الى شيخ أدبائنا في القدم وأعني به الجاحظ ، من اساليب الجاحظ انه يلجأ الى أحقر موضوع وبجي موضوع أحقر من الكلام على الحاح الدياب ، فيفرغ هذا الفكر في قالب وبطيمه بطابعه الخاص ، واذا هو موضوع يستهوي النفس ويستميل القلب قد استخلص منه حكمة من أروع الحكم ، وهي حكمة أروع من عجز الانسان عن اضعف المخلوقات اي عن للدياب ، فالجاحظ يعظم المعاني الخفية فعظم ، ويحقر المعاني العظيمة فتحقر ، من هذا

النوع كلامه في كتاب الحيوان على ألحاح الذباب على احد قضاة البصرة في ايامه عبد الله ابن سوار ، وصف الجاحظ وقار هذا القاضي فصوره في سطر فقال : لم ير الناس حاكماً قط ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، ثم وصف جلوس هذا القاضي فصوره في صورة بناء مبني او صخرة منصوبة فقال : فبأني مجلسه فيجني ولا يتكي فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل عبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كأنه بناء مبني او صخرة منصوبة ، ثم أقاض في غير ذلك من دقائق الصفات حتى اذا فرغ من وقار القاضي وجلوسه ومن ألحاح الذباب عليه وحركة القاضي في اطباق جفن على جفن والموالاة بين الاطباق والفتح وقع في نفس كل واحد منا انه يستطيع ان يقص هذه القصة باسهل من هذا الكلام ولكنه اذا جمع ذهنه وقاب نظره في الموضوع وعرض على ياله مفردات اللغة وتراكيبها واخذ قلبه ليكتب اتى عليه يومه كله ولم يقل شيئاً .

هذا هو الاسلوب وهذا هو معنى كلامي : الاسلوب ملك المؤلف لا ينازعه فيه منازع ، فالفكر الذي بينه الجاحظ انما هو فكر عام يخاطر على بال كل واحد منا ولكن الممرض الذي عرض فيه هذا الفكر انما هو ممرض جاحظي لا يقلده فيه مقلد ولا يزاحمه عليه مزاحم قال صاحب كتاب ثقافة الافكار الاستاذ ريمي دي غورمون .

« الكتابة صناعة من الصناعات ولكن الاسلوب ليس من العلم في شيء فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه او اذا قلنا الاسلوب هو شيء مقدس فقلنا واحد ، فالاسلوب خاص بصاحبه وكما ان لكل واحد منا صوتاً خاصاً به او لوناً خاصاً بعينه فلكل واحد منا أسلوب خاص به ، انك تستطيع ان تتعلم صناعة الكتابة ولكنك لا تستطيع ان تتعلم كيف يكون لك أسلوب فمن الممكن ان تلون أسلوبك على نحو خضبك لشعرك ولكنك لزمك ان تتأنف هذا التلوين في كل صباح دون شيء من اللهو ، قد يتعلم المرء قليلاً ان يكون له أسلوب الا انه ينسى في خلال الحياة ما تعلمه ، فالرياضة التي تحمّن سائر المواهب تفسد في بعض الاحايين موهبة الاسلوب .

الكتابة على نحو ما يفهمها فلوير او غونكور انما هي ان تكون شيئاً وان لا تشبه غيرك فالحصول على أسلوب انما هو ان يكون لك في لغة عامة مشتركة لهجة خاصة نسيجة وحدتها على ان تكون هذه الهجة لغة كل الناس ولغة واحد من الناس في وقت .

لكل واحد منا أسلوب على قدر عاطفته وطبعه وحاله وتربيته وثقافته وبيئته ومزاجه وحسه ونصوره ، فالرجل صاحب النظر الثاقب له أسلوب موجز ، والرجل صاحب الخيال له تعابير مشحونة بالاستعارات والتشبيهات ، والرجل الذي لا ينظر له لا يتحدثون في كلامه وفي تأليفه صلة ما ، ولكل شعب من الشعوب أساليب خاصة فأهل الشرق اصحاب خيال ولذلك ملأوا أساليبهم بالاستعارات وفتوت المجاز وأهل اثنية شعب مصقول الحواشي رقيق الأطراف فكانت أساليبهم صلبية واضحة .

قال جوير : لكل مؤلف من المؤلفين معجم لغوي وأسلوب فهو يميل الى طائفة من الالفاظ لنفصح عن رنات خاصة ولون خاص وشكل خاص و ينزع الى تراكيب تلمس فيها اثر بنائه فله نحوه الخاص وله نوعه الخاص وله مآخذه ومساوئه .

رجع بنا القول الى بقية الكلام على الاسلوب من حيث اختصاصه بالرجل فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه فمعنى هذا ان الافكار هي ملك البشر مجذافيرهم وميراثهم يقنيسها من شاء ولكن الاسلوب الذي يصور به الكاتب هذه المعاني هو ملك له لا ينازعه فيه متازع ، وهنا تظهر براعة البارعين وعبقريّة العبقر بين ، وهنا يظهر خلود الخالدين فالاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تعب فيها لان للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب هذا ما قاله فولتير .

ومن اصحاب هذا الرأي فاكه فن كلامه : لا يكون الكاتب كبيراً الا اذا اخترع أسلوباً ، يسألون مصوراً عما يريد ان يصوره فيقول : اريد ان اصور فينوز ، لا شك في ان تصوير فينوز ليس فيه شيء من الابداع لان المصور الذي يستمد لذلك ليس باول مصور جال في فكره هذا الموضوع ولكن هذا الامر غير ذي بال اي ليس من الضرورة ان يكون اول مصور خطر بباله تصوير فينوز وانما المهم ان يصور فينوز تصويراً خاصاً به لا يشاركه فيه احد وكذلك فن الكتابة فانه يحتاج الى افكار حديثة وانما الحاجة تمس الى صورة حديثة لهذه الافكار .

ومن كلامه ايضاً في بحث ضائي الحواشي عن هوغو .

هوغو من الخالدين لان الذي يتخاد الكاتب انما هو جمال الاسلوب .

ومن اصحاب هذا الرأي انا تول فرانس فقد قال :

اي الرجال يستطيع ان يفخر بانه فكر في امر لم يفكر فيه غيره ، فالاديب يعلم علم اليقين ان الافكار ملك الناس باجمعهم فلا يقدر احد ان يقول: هذا الفكري ، الاديب يعلم ان قيمة الفكر بالقالب الذي يفرغ فيه هذا الفكر .

فافراغ فكرة قديمة في قالب حديث هذا هو الفن كله وهذا ما يستطيع البشر ابداعه وانشاءه ، ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبتته في اذهان الرجال .

وقال في موضع آخر :

الفن لا يكون موضوعه الحقيقة فالحقيقة تلمس في العلوم لانها غرض هذه العلوم فلا تلمس في الادب لان الادب لا موضوع له الا الجمال ولا يمكن ان يكون له الا هذا الموضوع .

هذه آراء كتاب الافرنجة في الاسلوب فلنتقل الى ناحية اقرب منا فلننظر الى ادبائنا انفسهم والى آرائهم في هذا المذهب ، قال ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعاتين وكتابه هذا من ابلغ الكتب التي تضمنت قواعد الفن والدوق .

« ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقدمهم والصب على قوال من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم و يبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الاولى و يزيدها في حسن تأليفها وجودة تركيبها و كمال حليتها و معرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها من سبق اليها ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته ان يقول ، وانما ينطق الطفل بعد اجتماعه من البالغين . وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه : لولا ان الكلام يعاد لنفد وقال بعضهم : كل شيء ثنيته قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال .

على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والتبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الالفاظ و رصفها وتأليفها ونظمها وقد يقع للتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلزم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر .

وقال ابن رشيق في العمدة نقلاً عن بعض العلماء .

ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والهاذق ولكن العمل على

جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالفيث والبحر وفي الاقدام بالاسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرفقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر - وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل العصور الحسنة بما يشاكلها وبليق بها من اللباس فقد بخت حقها وتضاءلت في عين مبصرها .

من هذا كله يتبين لكم ان اكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الاسلوب فالاعشاء بالاسلوب قديم عهده في الامم فاليونانيون كانوا على هذا المذهب والرومانيون اولعوا بالولع كله بجمال الاسلوب حتى افرطوا في هذا الامر فأدى بهم افراطهم الى التفسير في الكتابة الحسنة ، ان للاسلوب سلطاناً لا يقاوم ومافيمة الكاتب الا اسلوبه ، يقول بعض الادباء اكثر فراجع «شكبير» لم تكن الاسئلة استعارات طرست على آثار القصة الاولى التي جاءت ، انه لم يخترع الا شعره وعباراته فالصور التي صورها حديثة وحدائتها هذه هي التي بعثت روحاً في فواجمه ، انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البخيري ثم انظروا الى الذين طوام قلم يمتد لم ظل ولم يتسع لم في افعيش البخيري ويموت شعراء وقته لولا الاسلوب ، ان اختراع الميثاق محدود ولو لم يكن للمرء اسلوب يختلف به عن غيره لنقد الكلام في العصر الاول من عصور الآداب ولو كان مدار البلاغة على المعاني وحدها لكان الا لكن على رأي ابي هلال العسكري بليغاً لانه يفهمنا حاجته بل يلزم ان يكون كل الناس بلفاء حتى لا احتفال لان كل واحد منهم لا يعدم ان يدل على غرضه بعجمته اولكتته او ايمائه او اشارته بل لزم ان يكون الشور بليغاً لانا نسدل بصفاته على كثير من ارادته .

هذا هو الرأي الذي اطبقوا عليه وماخذعته بعض الناس ولا طعنوا فيه الا يعجزم عن ان يكون علم اسلوب حسن ولا يقفن في خلد اخذكم ان المراد بالاسلوب مجرد الالفاظ فهذا ظاهر الا حالة لائق الالفاظ تدل بطبيعتها على معان فلا ترون الفاظاً من دون معان والذين نجدون لم اساليب ضخمة ولا تجدون لم معاني ضخمة هم اصحاب اسلوب اجوف فارغ لانهم لم يحركوا الكلام على حسب الاماني ولا خاطروا الالفاظ على قدود المعاني .

دمشق : في ١٢ كانون الاول ١٩٢٩

سحر العبقرية

اجمات الكلام حتى اليوم على امور كانت على غير قصد مني شبه تمهيد لدراسة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عبادة وابي تمام ، وافق التمهيد مديد . فأنا اخشى اذا مضيت في هذه المقدمات ان تنقضي سنتنا ولم تجالس احداً من شعرائنا الثلاثة ولا احطنا بشيء من وشي طباعهم وصوب قرائحهم فأرى ان اجتزئ بهذا المقدار من التمهيد وان ادرس واباكم بعد اليوم اول الشعراء الذين ذكرتهم واريد به ابا الطيب المتنبي مالي الدنيا وشاغل الناس وقبل الكلام على المتنبي لا اجد لي مندوحة عن الكلام على الشعر والشعراء على وجه عام دون التعمق في دقائق الشعر وما يتعلق به فنه فما هو الشعر ومن هم الشعراء .

الشعر ومعناه في اليونانية . الابداع انما هو في متعارف الاصطلاح الفن الذي يستخدم الالفاظ المناسبة في تصوير الجمال ، اي في تصوير افكار وعواطف لامعة بما يناسبها من الصور . الغرض من الفنون بمجامعها تصوير الجمال وقد علم ان تصوير الجمال انما هو الافصاح عن فكر من الافكار او عن عاطفة من العواطف على ان تكون هذه الافكار والعواطف قد كسبت ما يشاكلها من ضروب اللباس ، والتأليف بين الافكار والعواطف وبين قولها انما هو من عمل الخيال اي خيال اصحاب الفنون ، فاذا خطر على بال واحد منهم موضوع من الموضوعات وقع في حالة اشبه شيء بالوحي يرتفع فيها الى جو اعلى من جو العامة ويحلق في سماء امد من سماتهم فيخلق الموضوع ذهنه وفي هذه الاثناء تنكشف الافكار له في شكلها الحسي فينزل الوحي عليه :

وعلى هذه الصورة ، الفنون كلها مماثلة وانما تختلف باختلاف الوسائل التي يتوصل بها اصحابها الى بيان اغراضهم ، فالمصور يلجأ الى الخطوط والالوان ، وصاحب الموسيقى يرجع الى الالحن والاصوات ، والشاعر يعتمد الى الالفاظ . قال انا تولى فرانس في سحر الالفاظ : قلق الشعراء لدهذ ، فلا ترثوا لهم ، ان الذين يفتنون بملون كيف يخلعون حالة

ببضاء على سواد قنوطهم ، فلا سحر الاسحر الالفاظ فالشعراء يتمزون كما يتمزى الاطفال وما عزائم الا الصور » .

فالشعر لا يتم بالأوزان والنقبة وإنما يتطلب صوراً لأنه بالصور وحدها يستطيع ان يحلم على الافكار والعواطف لباساً محسوساً .

[متى يكون الشعر]

لا يكون الشعر الا اذا جمعت الفاظ متناسقة وكانت هذه الفاظ تتضمن صوراً تناسب المعاني التي تصورها ، فلا تزداد الافكار والصور تناسباً ولا تزداد الالفاظ من جهة ثانية تناسباً ، سواء أكان هذا التناسق في الالفاظ نفسها ام كان في الافكار وفي الالفاظ التي تمثلها الا ازداد الشعر كمالاً .

قد يكون الشعر في مندوحة عن الاوزان طالما ان الشاعر يستطيع ان ينسق كلامه من دون وزن ، الا ان الاوزان نافعة لان الالفاظ الموزونة اشد تناسقاً دع عنك ان هذه الاوزان تجعل لكل نوع من أنواع الفكر والعاطفة لغة خاصة فلكل جنس من اجناس العروض مقام واذا امكن ان يكون شعر دون ابيات موزونة ولا اقول دون تناسق او اذا امكن ان تكون ابيات موزونة دون شعر فلا بد لنا في كل حال من اعتبار الاوزان قال شيبه في كتابه (علم الجمل) البيت من الشعر ما هو الا لباس ولكنه لباس طبيعي لطيف نلبسه الفكرة الشعرية ، البيت من الشعر جناح يعين هذه الفكرة على الارتفاع من الارض ويجول دون تلطخ بردها القشيب بالوحل ، البيت من الشعر انما هو المثل الاعلى للكلام .

وقال ابن رشيق في العمدة :

« فاذا اخذه — اي اذا اخذ الشعر — ملك الوزن وعقد القافية تألفت أشنانه وازدوجت فرائده وبناته واتخذ اللابس جمالاً والمدخر مالاً فصارت له الاذات وقلائد الاعناق واماني النفوس واكاليل الرؤوس يقلب بالالن ويخبأ في القلوب مصوناً باللب ممنوعاً من السرقة والنصب .

[ما هو ارتباط الشعر بالموسيقى]

الفناء الذي يزيد في تناسق الكلام يزيد ايضاً في كمال الشعر وقد كانت الشعراء

والموسيقى في بدء الجماعات متحدين فكانت كل شاعر صاحب موسيقى على ان اتحاد الموسيقى والشعر لا يتفع الشعر الا اذا كانت الالحان الموسيقي تصاحب في الشعر الانفاظ وحدها اما اذا حالت الموسيقى دون فهم الشعر امشتم الشعر ولم يزول الناس الموسيقى في الاصل للموسيقى ذاتها ولكنها كانت خادمة الشعر ولهذا لم نكامل اغاني الام في بدنها تكامل الموسيقى في عصرنا هذا .

وهنا لا بد لي من تلخيص هذا الامر : الموسيقى فن يختلف عن فن الشعر وان كانا يستخدمان الالحان في تصوير الجمال ، الا ان الموسيقى تستخدم الالحان للالحان ذاتها فغايتهما العاطفة موصولة بالالحان ، فكل ما غرقت الموسيقى في تناسق الالحان وتجردت من الفكرة التي تصورهما الفاظ هذه الالحان كانت الموسيقى متكاملة اما الشعر فانه على خلاف هذا الامر فهو يعتبر اللحن بمنزلة علامة لنقل الفكرة والصورة فاللحن ليس بغرض الشعر الحقيقي وانما حقيقة غرض الشعر الفكرة المحسوسة التي يمثلها اللحن للذهن .

للافصاح عن الفكرة والعاطفة مذهب آخر من الكلام وهو النثر ، فالشعر يختلف عن النثر من وجهين من حيث المعنى ومن حيث المبنى .

اما من حيث المعنى فالمنظوم من الكلام غرضه تصوير الجمال اي جعل الافكار محسوسة فهو يصور الجمال للجمال نفسه فلا تكون غايته الا اللذة ولكن النثر قد يكون من دون ان يجدوا فيه صيغة محسوسة للافكار ، واذا عني الكتاب في بعض الاحاين بالجمال فما هو الا ليحصلوا على منفعة ما ، فهم يستفيدون من سحر الجمال ما يمكنهم من التهذيب والاقناع وما شابه ذلك .

الشعر لا يعرض علينا الافكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الافكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فاذا قلنا الربيع فانا نفهم الذي يراد بكلمة الربيع ولكننا لا نتصور شيئاً في اذهاننا واما اذا سمعنا المجتري يقول :

اتاك الربيع الطلق يغتال ضاحكاً من الحسن حتى كاد ان يتكلم

ادركنا الفكرة نفسها اي فكرة الربيع ولكن سحر العبقرية قد بعث في هفوة الفكرة حياة حتى كأننا بمحض شخص باسم الشعر ضاحك الوجه قد هم بالكلام .

فالشعر غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتقاضي التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تحمل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ، قال اناطول فرانس :

« يحق للعلم ان يطلب اليه ان يبحث ذهننا ويقتبسه فكراً ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن ان يترك ليس له غير هذا الشأن ، ولكنهم في هذا العصر قد خلطوا وخبصوا فأحبوا ان يطبقوا في نتاج الأدب ما طبق من الطرائق في العلم على انه بين انشودة من الاناشيد وبين الهندسة الوصفية بون عظيم فالشعر غير الهندسة وما ينبغي للملافة ان تكون متعبة للذهن .

ولست ادري الى اي غرض رمى ابن رشيق في كلامه لما قال :
« والشعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لانواع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو ولغة وفقه وحساب وفريضة » .

اما ان يكون الشاعر مثقفاً فهذا لا بد منه ، واما ان يحمل الشعر ما تحمله اياه من فقه وفريضة وحساب فهذا مالا قدرة له عليه ، فالشعر شيء والجمع والطرح شيء آخر . قلت : الشعر يختلف عن النثر من حيث المعنى وهو يختلف عنه من حيث المبنى فلكل فكر مزه الافكار صورة تناسبه من الكلام والفكرة الشعرية تختلف عن الفكرة النثرية فوجب ان يكون لكل من الشعر والنثر لغة خاصة قال ابن رشيق :

« والشعراء الفاظ معروفة وامثلة مألوقة لا ينبغي للشاعر ان يبدوها ولا ان يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على الفاظ باعيناها سموها : الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها .
والشعراء هم اساتذة اللغة ، ان لم الفاظاً اشرف من الفاظ الكتاب فهم يستعملون كلاماً اندر واقدم ويولدون الفاظاً وتراكيب كنوليد امرئ القيس لهذا التركيب بعيدة مهيوى القوط او كنوليد غيره من الشعراء .

هذا موجز القول في الشعر وما اظن اني بلغت الغاية في الكلام عليه فان في الشعر شيئاً غير تناسب الالفاظ وغير تناسب المعاني والصور ، ان في الشعر سرّاً روحانياً يدركه الذي يزاوله وقد لا يدركه غير الذي يزاوله وهذا السر الروحاني هو الذي يحمل الشعر شعراً عز النفوس ويحرك الطباع ، ما اجل قول صبحار المبدئي لمعاوية وقد قال له معاوية :

ما هذا الكلام الذي يظهر منك فقار صحار : « شيء نجيش به صدورنا فتقذفه على السنننا . نعم الشعر شيء والشعر كل شيء ولكن ما هو هذا الشيء ان هو الا وحي بوحى ، فما الاوزان وما القوافي وما النسيق ، ان في الشعر شيئاً لا تهبه صناعة وانما تهبه الطبيعة وحدها ، تلهمه الهاماً فيطفع على خاطر صاحبه ، فيقذفه على لسانه فمن كان الشعر غير مناسب لطبيعته وغير ملائم لقرينته فليسمع ما قاله له ابن عبد ربه :

« فلا تمض مطيتك في التماسه ولا تثب نفسك الى انبعائه باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم ، فان ذلك غير مثلك ولا مجد عايتك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك ، واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبته ، وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الحزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة في غير ولا تغير » .

من هذا كله نتخلصون ان الشعر قد ركب في الطبع وامتزج بالنفس فالطبع هو العامل الاكبر في الشعر ولعمري كيف يكون الشاعر رقيقاً اذا قدت طبائعه من الصخر . ونحت قلبه من الحجر ، ام كيف يكون ظريفاً اذا نشأ على الغلظة والفظاظة وطبع على فتور الذهن وجمود النفس ، فالناس كلهم يستطيعون ان يتكفوا الشعر وما كل شعر يقولونه خالد على وجه الدهر فاذا لم يكن الشعر ابن الوحي والالهام ذهب جفاء ولم يمكث في الارض .

هذا هو الشعر ، هذا هو سحر العبقرية فمن هم الشعراء من هم هؤلاء السحرة فاذا اردتم ان تعرفوا من هم الشعراء فاسمعوا ما قاله فكتور هوغو :

من الخطأ لا بل من الجنابة ان يخطر ببال الاديب انه يحق له ان يكون بمعزل عن مصالح قومه وورغائبهم ، وان يعدل بقرينته عن التأثير في اهل عصره وابناء زمانه وان يتفرد بحياته فلا يكون له عمل في البنيات الاجتماعية ، فمن الذي يخلص النية في هذه الاعمال الجليلة غير الشاعر ، اي صوت يعلو في العواصف غير صوته ، ام اي وتر يستطيع ان يخفف من شدة العواصف غير وتر فيثارته ، فمن الذي يقتحم الفوضى فيذهب بمقاييسها ويهجم على الاستبداد فيدرج بمكارمه ، وقديماً كان الشاعر صاحب الامر النافذ في الجمع بين الشعوب والملوك وحديثاً له الامر في التفریق بينهم .

فاذا علمت مكانة الشعراء في المجتمع البشري ادركتم معنى احتفال قبائل العرب في القديم بشعرائهم قال ابن رشيقي :

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأته وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدات لانه حماية لاعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لما آثرهم وإشادة بذكورهم وكانوا لا يهنتون الا بفلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج . فمن حى قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه : لا نجل وانا مهدي اليك هدية فانظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده :

فما ترك المهاجرون لي ان هجوته مصحاً اراه في اديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره ابقوه للتمرق
ما كسر ما ابقوا له من عظامه وانك مخ الساق منه وانتقي
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا لكاليجر معها يلتق في البحر بفرق

فلما بلغته الايات كف عما اراد وقال :

لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .

وكيف لا تحنفل العرب بشعرائها وهم الذين يصورون الحق في صورة الباطل و يصبون الباطل في قالب الحق فاذا قالوا نجحت مقالتيهم في القلوب ، قال انا تول فرانس :
الشاعر ملك ، الشاعر اكثر من ذلك ، انه فوق أفق البشر ينزل عليه آله الشعر هدوء الفكر ومسرات العقل انه يكتشف عوالم حديثه على نحو « كولومب » دون ان يزايل مركزه ويفتح البلاد على نحو شارلمان من غير ان يهرك من مكانه .

انه يجمع هوائج النفوس فيبعث حياة كل واحد من البشر ، يشعر بفرح كل من يفرح ويحس بألم كل من يألم في هذا العالم .

اي سلطان في يديه ! انه يجمع الالفاظ تلك الالفاظ الباطلة التي تلب العالم .
الشاعر يحكم على الاحياء وعلى الاموات .

انظروا الى الملك « مكبت » دل استقصاء المؤرخين على انه لم يقتل احداً وعلى ان زوجته كانت امرأة سالحة فلم يكن على يدي مكبت لثغة دم ولكن من الذي يؤمن بعد

اليوم بصلاح الزوجين الفاجعين . أراد شكبير ان يصور الملك « مكبت » في صورة مجرم فطبع فلطخ يد زوجته لطفة حمراء فنظر الناس بعد تصوير « شكبير » الى الملك « مكبت » والى زوجته فلم يروا في « مكبت » الا رجلاً قاتلاً غاضباً ولم يروا في زوجته الا انامل غميسة في النجيع . فلا يستطيع احد ان ينصفها بعد كلام شكبير وان ينظر في مظهرها مرة ثانية فقد نطق الشاعر واذا الشاعر نطق فلا تسمع المصور غير صوته ^(١) .

ما اعظم سلطان الشاعر ! ما اتقذ كلامه ! من كلام الازدي على سيف الدولة انه كان جائراً على رعيته ، ومن كلام قاضي سيف الدولة ابي الحصين . كل من هلك فلسيف الدولة ماترك ، ولما قتل هذا القاضي في احدى المعارك داسه سيف الدولة بحصانه وقال لا رضي الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم ، وذكر بعض المؤرخين ان بني حمدان اكبوا على ابناء عمهم بني حبيب بصنوف الجور حتى مرق بنو حبيب من دينهم واتجهوا بالروم ، كل هذا نسي منسي ذهب جور سيف الدولة ان كان جائراً وذهب ظلمه ان كان ظالماً ولم يبق في اذهان بعض الناس من سيف الدولة الا الصورة التي صورها ابو الطيب المتنبي في شعره متكر الايام وتمر المصور وسيف الدولة .

تشرف عدنان به لا ربيعة وتفتخر الدنيا به لا العواصم

هؤلاء هم الشعراء :

دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من انت قال : ابن هرم بن سنان قال : صاحب زهير ، قال : نعم قال : اما انه كان يقول فيكم فيحسن قال : كذلك نعطيه فنجزل قال : ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم .

وما أريد بعد هذه الخاتمة ان اقول شيئاً فالشعراء هم الذين اذا اعطوا بقيت عطابهم على شباب الايام وعلى هرمها .

دمشق : في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٢٩

(١) لا يراد بهذا الكلام ان حكم التاريخ على « مكبت » او على سيف الدولة قد بطل دفعة واحدة وانما يراد به تصوير تأثير الشعراء ومبلغ هذا التأثير .

أسامة بن منقذ^(١)

هنا في عاصمة الأمويين في سنج قاسيون ذلك الجبل المطل على دمشق المشرف على
الغوطتين بالقرب من نهر يزيد الشمالي ثوى عالم من العلماء الاعلام، وقائد من القواد
العظام، وبطل من الابطال وشاعر من فحول الشعراء، كانت تخطب وده الامراء والملوك
الا وهو ابو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي
الشبزي الملقب مؤيد الدولة مجد الدين صاحب التصانيف العديدة في فنون الادب،
سكن دمشق واستوطنها ثم نبت به كما ثقبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمراً
مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزبك ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماه الزمان
الى حصن كيفا فأقام به في ولده حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله دمشق
وكان مشغولاً بذكره مستهتراً باشاعة نظمه وثثره فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين
فرحل اليه وكان يستشير به في حملاته وغزواته . رحل الى مصر في ايام الظاهر بن
الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فبث بها روح الثورة وعمل على قتل بن السلار
حتى قتل .

ولد في شبز سنة ثمان وثمانين واربعمائة ونوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من
شهر رمضان سنة خمسمائة واربعة وثمانين .

(شيزر في القديم والحديث) = وشيزر قلعة غربي حماة الى الجهة الشمالية على مسافة
ساعة في سير السيارة ، قال ياقوت الحموي : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة
بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الاردن عليه قنطرة في وسط المدينة .
وذكرها امرؤ القيس في قوله :

نقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

(١) هي المحاضرة التي القاها في ردة المجمع العلمي الاستاذ طاهر النمساني في ١٨

تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فتعذرا
فتحها ابو عبيدة صلحاً : تلقاد اهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل وذلك
سنة ١٧ هجرية .

وأشهر من ينسب الى شيزر الامراء من بني منقذ وكانوا ملوكها وحكامها . وكانت
على عهد ابي الفداء مملكة من الممالك اُضيفت الى مملكة حماة فكان اسماعيل ملكاً
عليها ايضاً .

وهناك بالقرب من شيزر سبعة مرتفع من الارض بحيث تشرف على قلعة شيزر قبة
تشمّل على ضريح ومسجد يقال انه ضريح ابي عبيدة والصواب انه ليس بقبر ابي عبيدة
والكنهه حينما قدم ابو عبيدة الى شيزر عاملاً من فتحها خيم بمجنوده ورجاله في ذلك المكان
الحربي المشرف على شيزر فاتخذوه الناس بعد ذلك مقراً لابي عبيدة وبناوا به هذا الضريح
وذلك المسجد .

لا تزال بعض جدران شيزر ماثلة نهراً بالعواصف القواصف وتدل على عظمة
الاقدمين وثقتهم في تشييد البنيات ورفعها . ولا يزال فيها السرداب المتصل بالنهر
يسكن منه الاهلون وقد تهدم منه القسم الكبير .

وكانت شيزر على عهد آل منقذ عامرة بقطانها ومحصولاتها الزراعية وفواكهها
الطيبة . يخرج منها خمسة آلاف مقاتل ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون
مزارعاً موبوءة مستوبلة امراضها فتأكله بضرب بها المثل بهوائها القاسد فيقال «اوخم من
شيزر . ونفعل كذا وننال كذا ونقول شيزر وخمة » . فسبحان محول الاحوال ومقلب
الليل والنهار .

(آل منقذ) = اول من ملك شيزر منهم ابو الحسن علي بن نصر بن منقذ الكنانى
الملقب شديد الملك كان نازلاً بجوار القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت
القلعة بيد الروم فدرثته نفسه باخذها فنازلها وتسلمها بالآمان في رجب سنة اربع وسبعين
واربعائة ولم تزل في يده و يد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة
فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الرّدم فشغرت وجاء نور الدين
الشبيد محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة فأخذها ووجد من بنياتها ما تهدم

وسأتي على تفصيل هذه الزلزلة . وكان سديد الملك هذا مقصوداً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي المشهور وغيرهما . وكان له شعر جيد فنه قوله وقد غضب على مملوك له فضربه وكان يحبه ويميل اليه ولا يؤثر عليه :

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من كفي غلها غيظاً الى عنقي
واستعير اذا عاقبته حقاً : اين ذل الهوى من عزة الحق

وسديد الملك هذا هو الذي رد الروم والافرنج والأتراك والاعراب عن شيزر ومنعها . (كيف نجا علي بن منقذ من القتل) = وكان سديد الملك قوي الفطنة لنقل عنه حكاية عجيبة رأيت ان اوردها هنا لما فيها من النكتة والفائدة . وذلك انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوكة محمود بن صالح بن مرداس فخرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له الشر وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر الى ان بلغ - ان شاء الله تعالى - فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على بن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستمعوا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك اني اري في الكتاب ما لا ترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب « انا الخادم المقر بالانعام » وكسر الهمزة من (انا) وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على الملك وقد اجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى (ان الملائكة يأترون بك ليقتلوك) فاجاب سديد الملك بقوله تعالى (انا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها) ووقع نظير هذه الحكاية للخفاجي الشاعر المشهور مع محمود بن صالح صاحب حلب ، وسمري ان هذه الحكاية لتدل على فرط ذكاء الكاتب ووفائه لصديقه وبقطة سديد الملك وشدة حذقه وقعه وما بلغ ما بلغه من المجد والشرف الجم لا بما أوتيته من علم وما انطوى عليه برده من قلب راع وفكرة وقادة . وأسامة بإسادة موضوع محافرتي

هو حفيد سديد الملك ومرشد ابوأ-امة شاعر من فحول الشعراء ، فأسامه شاعر ابن شاعر ابن شاعر وابو شاعر ، وما ظنكم بمن تناسل من شعراء بواسل فهو شاعر باسل .

(آل منقذ محدون) — حين تملك سديد الملك شيزر حسده شرف لدولة على ذلك فسار عسكر حلب مع مؤيد الدولة علي بن قريش الى شيزر ونزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجة سنة اربع وسبعين واربعمائة بعد مراسلات جرت فلم يجب بن منقذ الى ما التمس منه وكان علي بن قريش قد اخذ في طريقه حصناً لابن منقذ يقال له (اسفونا) غربي كفرطاب وكان ابن منقذ قد تأهب للحصار وحمل من الجسر الى شيزر ما يكفي من فيه مدة طويلة من سائر الاشياء . وحصره علي بن قريش مدة الى ان وصل شرف الدولة بنفسه فنزل على شيزر يوم الاربعاء . سلخ المحرم من سنة خمس وسبعين واربعمائة ثم رحل عنها الى حمص يوم السبت ثالث صفر واقام عسكره على شيزر . فتطارح ابن منقذ عليه وصير ابنه ابوالعساكر واسراة منصوره بنت المطوع واخته رفيعة الى حمص فدخلوا عليه وحملوا اليه مالا فأتقذ الى عسكره ورحله عن شيزر في الثامن والعشرين من صفر من السنة المذكورة .

(آل منقذ المشهورون) — ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناي الملقب مخلص الدولة والدا الامير سديد الدولة ابي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره . كان رجلاً نبيل القدر ، سائر الذكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته . وكان في جماعة كثيرة من اهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب اليهم . وكانوا يترددون الى حماة وحلب وثلث النواحي . وكانت لهم بها الدور النفيسة والاملاك الثمينة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر . وكان ملوك الشام بكرمونهم ويحلون اقدارهم . وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم . ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب . وقدر ثاه بن سنان الخفاجي الشاعر بقصيدة رائية . ورثاه القاضي ابو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن ابي حصين بقصيدة من فائق الشعر وغرره وأنشد ما لولده ابي الحسن علي المذكور مطلقها :

الاكل عي مقصداً مقاتله وأجل ما يجشي من الدهر عجله

وتوفي اخوه ابو الفيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة ٤٣٩ وورثاه بن ستان الخفاجي الحلبي ابناً بقصيدة مطلعها :

حببتك السماء بامطارها وكيف تفضن على جارها

(سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني) ولد بطرابلس سنة اربع وستين واربعمائة وسمع من الفقيه ابي السمع ابراهيم الحنفي صحيح البخاري بشيزر وولي امرتها بعد اخيه نصر بن علي وهو شاعر مشهور وله من قصيدة في الامير مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ مطلعها :

ابن مضاء الصارم البائر من لحظات الفاتن الفائر

توفي يوم السبت للنصف من شوال سنة ٥١٣ هجرية .

(اسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الفضل بن ابي العساكر ابن ابي الحسن بن ابي المتوج الملقب شرف الدولة الكنتاني الشيزري) امير ، شاعر ، فاضل من اهل شيزر ولد ونشأ بها . ثم بعد ان خربت الزلزلة انتقل الى دمشق واستوطنها الى ان مات بها . روى عنه شيثا من شعره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر ولم يفرد له ترجمة في تاريخ دمشق . وروى عنه مرفف بن الصديق الشيزري وابو الفتح عثمان بن عيسى ابن منصور البلطي النحوي وتوفي سنة ٥٦١ بدمشق .

(اسماعيل بن المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ ابو الطاهر بن ابي الميمون الكنتاني الشيزري الاصل المصري المولد والمنشأ) احد امراء الدولتين العادلية والكاملية سمع بالاسكندرية ابا طاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي الاصمعياني وبصر من والده . وكان اميراً كاملاً ، وكبيراً فاضلاً ، ندبه السلطان الملك الكامل رحمه الله رسولاً الى المغرب فأبان عن نهضة وكفاية وحسن سفارة لما كان جامعاً له من حسن صورة وسيرة وعذوبة لفظ وسداد عبارة . وولاه ولاية مدينة حران . وجمع له بين الولاية والامارة . وكان له شعر وادب كثير . ولد في العشرين من رجب سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة . وتوفي في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستائة بجران ودفن بظاهرها .

(المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الامير سيف الدولة ابو الميمون

الكناني الشيزري (ولد بشيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وسمع بمكة قليلاً من أبي حفص المياثبي . وقد ولي أمر الدواوين بمصر مدة وله شعر يسير . وكانت مع شمس الدولة نورانشاه أخي السلطان لما ملك اليمن . فتاب في مدينة زبيد عنه ثم رجع معه واستناب أخاه حطان . فلما مات شمس الدولة حبسه السلطان لأنه بلغه أنه قتل باليمن جماعة واخذ أموالهم فصادره وضيق عليه . واخذ منه مائة ألف دينار سنة ٥٧٧ . ولما توجه سيف الاسلام طفتكين إلى اليمن تحصن الأمير حطان في قلعة وعصي نخدعه سيف الاسلام حتى نزل إليه فاستعفى أمواله وسجوه ثم أعدمه . توفي سيف الدولة في رمضان بالقاهرة .

(عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن منقذ) الأمير الكبير شمس الدولة أبو الحرث ابن الأمير نجم الدولة الكناني الشيزري ولد بشيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وهو الذي وجه صلاح الدين برسالة إلى صاحب المغرب وكانت أدبياً شاعراً محمداً من بيت الشجاعة والامرة .

(مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) الأمير العالم مقدم الأمراء جمال الرؤساء عضد الدولة أبو الفوارس بن الأمير الكبير مؤيد الدولة أبي المظفر الكناني الكلبي الشيزري أحد الأمراء المصريين ولد بشيزر في سنة ٥٢٠ وسمع من أبيه روى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي وكان مسلماً معمراً شاعراً كوالده مليح المحاضرة جمع من الكتب شيئاً كثيراً . وكان جليص صلاح الدين الأيوبي وندمه يروى له شعر أبيه أسامة فيطرب لسماعه ، توفي رحمه الله في ثاني صفر .

(عود إلى ذكر أسامة) — جعلت موضوع محاضرتي أسامة لأنه أعرق أهل بيته في الحسب وأعرفهم بالأدب كما قال ابن العماد .

وكان يحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية كما روى ذلك عنه ابن السمعاني . يقول ابن العماد : أسامة كاسمه في قوة ثمره ونظمه ، يلوح في كلامه أمارات الامارة ويؤسس بيت قريضه عمارة العمارة . تلقى العلوم عن والده مرشد في شيزر وسمع من علي بن سالم النسبي وسكن حماة مدة يدرس على أسانيدھا وأعلامها . فهو شيزري حموي وكانت لمساكن وعقارات بحماة ثقل أموالاً كثيرة . وكان يحب آل البيت ويكرمهم . حتى لقد الحق بعضهم في الشيعة .

(شجاعته ووفائعه وتمنيه القتل كما تمناه قطري بن الفجاءة) = باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغ مدى التسعين ، قال رحمه الله : حضرت من المصافات والوقعات مهول اخطارها ، واصطليت من سمير نارها ، وباشرت الحرب وانا ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين ، وصرت من الخوالف خدين المنزل وعن الحروب بمزل ، لا اعد لمهم ولا ادعى لدفاع ملم ، بعدما كنت اول من ثنى عليه الخناصر ، واكبر العدد لدفع الكبار ، اول من يتقدم السجقية عند حملة الاصحاب ، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب .

وهو كسائر الابطال في الاسلام كان يتمنى ان يقتل في سبيل الله ، وبأسف جد الأسف على بقاءه حياً الى ان بلغ ما بلغه من العمر ، وقد استقرأت ذلك من شعره حيث يقول :

كم قد شهدت من الحروب فليتني في بعضها من قبل نكسي أقتل
فالقتل احسن بالفتى من قبل ان يقني ويبله الزمان وأجمل
وابك ما اجمعت عن خوض الردى في الحرب يشهد لي بذلك المنصل
لكن قضاء الله أخرنى الى أجلي الموقت لي فما ذا أفعل
(وقائعه الكبار) = منها وقعة كانت بينه وبين الاسماعيلية في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسين وخمسمائة .
ومنها وقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
ومنها مصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن أفسنقر وبين قراجا صاحب فارس في سنة ست وعشرين .

ومصاف بين المسترشد بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين .
ومصاف بين اتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين .
ومصاف على رمنية بين اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين .
ومصاف على قنسرين بين اتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنين وثلاثين .
ومنها وقعة بين المصريين وبين رضوان الوطشي سنة اثنين واربعين .
وقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة اربع واربعين .

- ووقعة كانت بين الملك العادل بن السلار وبين اصحاب بن مصال في تلك السنة .
- ووقعة ايضاً بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة المذكورة بدلاص .
- وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين .
- وفتنة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع واربعين .
- وفتنة المصريين وعباس بن ابي الفتح في السنة نفسها .
- وفتنة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند
- ووقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج في السنة المذكورة .
- سيره نور الدين محمود بن زنكي المشهور بمعاربة الصليبيين الى قتال الفرنج على
- عسقلان فسار في ثمانمائة وستين فارساً في وسط بلاد الفرنج وأقام بمدينة عسقلان اربعة
- اشهر بنازل الفرنج . وهاجم مدينة بيتي . وحاصر مع نورالدين قلعة حارم .
- « البقية في الآتي »

العلامة محمد أبو شنب (١)

العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد أبي شنب وُلد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة ١٢٨٦ هـ - ١٢٦ أكتوبر سنة ١٨٦٩ م بقرية يقال لها لمدينة (والآن المدينة) في جنوب الجزائر وبعد عنها تسعين كيلومتراً قرأ شيئاً قليلاً جداً من القرآن ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة لمدينة الشاوية (الثانوية) ثم انتقل إلى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام خرج منها مجازاً بأجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعلم اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافية وأدب ، وشيء من التوحيد والفقه أجاز بأجازة مدرسة الآداب العليا - تقلد خطة مدرس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدرسة قسنطينة أول محرم سنة ١٣١٦ هـ - ٢٢ مايو سنة ١٨٩٨ م ثم انتقل إلى مدرسة الجزائر أول محرم سنة ١٣١٩ هـ - ٢٠ أبريل سنة ١٩٠١ م وبعد أربع عشرة سنة ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة وأقرأ النحو والأدب والمعامي والبيان والمنطق وفي آخر السنة (١٩٢٢ م) أجاز بأجازة دكتور في القسم الأدبي من كلية الآداب بالجزائر بعد أن قدم إليها تأليفاً في حياة أبي دلالة شاعر بني العباس وتأليفاً آخر في الألفاظ التركية والفارسية الباقية في لغة الوطن الجزائري وقد نوقش فيها أمام الجمهور . وفي أول يناير ١٩٢٤ انتقل مدرساً إلى كلية الآداب بالجزائر وما زال بها إلى الآن . وللعبد الحقير إمام باللغة الطليانية والألمانية والإسبانية والفارسية ومعرفة ضعيفة غابة الضعف بالتركية واللاتينية ، وألف باللغة العربية تحفة الأدب في ميزان اشعار العرب طبعت أولاً بالجزائر سنة ١٩٠٦ وثنانياً سنة ١٩٢٨ ورسالة في المنطق غير مطبوعة . وشرح نظم مثلثات قطرب طبع بالجزائر سنة ١٩٠٧ .

ومن التأليف باللغة الفرنسية : مجموع أمثال العوام بارض الجزائر والمغرب في ثلاثة

(١) كان المرحوم الاستاذ محمد أبو شنب أحد أعضاء مجمعنا العلمي في الجزائر ارسل إلينا ترجمته هذه بقلمه لنشرها في المجلة فلم ينجح لنا نشرها إلا بعد وفاته رحمه الله .

أجزاء مطبوع بباريس (١٩٠٥-١٩٠٧) . واصل كلمة شاشية طبع بالجزائر (١٩٠٧) .
إجازة سيدي عبد القادر القاسي طبع بباريس (١٩٠٧) .
اما الكتب التي نشرها فهي :

البستان في علماء تلمسان لابن مريم طبع بالجزائر (١٩٠٨) . رحلة الوثيلاني طبع
بالجزائر (١٩٠٨) . المتمم في شرح المقنع لابي سعيد السوملي طبع بالجزائر (١٩٠٨) .
تجويد الموشين للفيروزابادي طبع بالجزائر (١٩٠٩) . فهرسة كتب الجامع الاعظم بالجزائر
(١٩٠٩) . عنوان الدراية في علماء بجاية طبع بالجزائر (١٩١٠) . تدميث التذكير في
التأنيث والتذكير للجمبري طبع في ام ترامبورغ (١٩١١) . اصل كلمة تايس (بالفرنسية)
طبع بالجزائر (١٩١٢) . طبقات علماء افر بقة لابي العرب والحشي مع ترجمة افرنسية
جزآن طبع بباريس (١٩١٥-١٩٢٠) . تكملة ابن البار (بالاشتراك مع بل) طبع
بالجزائر (١٩٢١) . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (١٩٢١) .
فهرسة مطبوعات فاس (بالاشتراك مع لبني) طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ابودلامة حياته
وشعره بالفرنسية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . الألفاظ التركية والفارسية في اللغة
الجزائرية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ديوان علقمة الفحل مع تقريرات طبع بالجزائر
(١٩٢٥) . ديوان عمرو بن الورد مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٦) . كتاب الجمل
للزجاجي مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٧) .

(المجمع) : وبعد وفاة المترجم ارسل اليها زميله الاستاذ (ماسيه) احد اعضاء مجعنا
بالجزائر ترجمة له أخرى وقد ذكر في فاتحتها ما ذكره المرحوم في ترجمة نفسه ثم عقب
عليها بما يلي مترجماً عن الافرنسية قال :

قال الاستاذ جورج مارسه احد اساتيد جامعة الجزائر في حق ابن ابي شنب :
ومن الواجب ان نشير اجمالاً الى جميع اعماله حتى ينبغي لنا تشاطه العلمي فقد كنا
نرجع اليه ونستفي بضيائه وكنا نناديه (شينجا) فانه كان يجمع الى صفات العلم
والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب .

مشي في جنازة ابن ابي شنب النصاري والمسلمون يؤلف بينهم الاسمي والحزب على

الفقيه . وقد أثبتته على ضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمن على محضر من جمهور عظيم الاستاذ مارتينو مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر وصديق الفقيه وقال في جملة ما قال : ان المنهج الذي نهجه ابن ابي شنب بكل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع ان يعمل العقل والارادة والعمل في الارتفاع من اصغر المناصب الى اعظمها واني اود ان يوقر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها . . . انت السيد ابن ابي شنب كان صورة الادب المنسل الذي عرف كيف يطلع على الاساليب الاوربية في العمل من دون ان يفقد شيئاً من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل استاذ (باسمه) فقد تعلم اللاتينية والانكليزية والاسبانية والالمانية والفارسية والتركية ، وعرف لوازم النقد العلمي وقد توجهت عليه الاعترافات بقدره . . . في سنة ١٩٢٠ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً في جملة اعضائه وفي سنة ١٩٢٢ قلده حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف . . . وكان ذا صفات تفرس له المحبة في الصدور وهي كرم النفس وميزة العقل والعفة في الافصاح عن المواطن والامتناع التامة . . . فاذا دنا منه الانسان فانه لا يكاد ينسا ، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة ، وكان له ميل الى المساعدة لا ينضب بمينه . . . اني اظن انه من اليوم الى منين قليلة مئنهض عالم من فرنسا او من الجزائر ويكتب تاريخ تألف الفرنسيين والمسلمين في افريقية ، فابن ابي شنب سيكون رمز هذا التألف وحينئذ يمكننا ان نقول احسن مما قلته انا اليوم ، اذ من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل معا تباعدت أقطارهم ان يتآلفوا ويتعارفوا ويتعاونوا .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٧ -

الهَدَالَة . - كثيرًا ما يشاهد ارباب الزراعة على شجر اللوز والتفاح والجوز والصنصاف وغيرها نباتًا طفيليًا له ورق غير ورق الاشجار المذكورة . ويكون للاغصان التي يعيش عليها هذا النبات الطفيلي منظر غريب ذلك انك اذا قطعت غصنًا من اللوز مثلاً ترى له ورقاً هو ورق اللوز نفسه ويحاذيه ورق لا يشبه الاول البتة . ويكون كلا النوعين من الورق رياناً ومتصلاً بالغصن اتصالاً طبيعياً حتى ان الذي ليس له خبرة بالنبات المذكور بعد وجود نوعين من الورق على غصن واحد من خوارق الطبيعة . فهذا النبات الذي يعيش على اغصان كثير من الاشجار يسمى بالفرنسية (Gui) وباللاتينية (Viscum album) وهو شائع في اوروبا ويستعمله الادريهون في اعيادهم وله اوراق لحمية دائمة متقابلة خضراء الى صفراء ، وأزهار على نوعين ذكرية وأنثوية وكلتا الزهرتين على نبات واحد ، وثمار لينة بيض ثخان فيها مادة لزجة وضمنها يزور خضر . وليس لهذا النبات جذور فاذا حملت الطيور او الرياح ثمرة من ثماره والفتها على غصن من الاشجار نبت يزورها ويخرج منها سويق يذهب صعداً وعضو يقوم مقام الجذير فيلتصق بالغصن ويمتد ويصير زوائد تدخل فيه وتمتص عناصره الغذائية . وبعد ذلك تنمو الساق وتكون الاوراق فالأزهار وجميع غذائها من سنج الشجرة المصابة بهذا النبات الطفيلي .

يسمى بعض الفلاحين النبات المذكور (الدبق) وهو الاصطلاح العامي الذي اطلقته عليه في كتاب « الاشجار والانجم المثمرة » لعدم وقوفي اثناء تأليف ذاك الكتاب على لفظة فصيح تصليح لأن تكون اسماً له . ويسميه فلاحو إقليم الزبداني (الحطام) لانه يكثر على شجر اللوز ولا سيما في قرى بلودان وبقين والجرجانية . وهذا الاسم هو عامي ايضاً . وأطلق عليه الاب بلو في معجمه الفرنسي العربي لفظ (شجرة الدبق والعنم) وكلا الاسمين غير صحيح . وسماه محمد التجاري بك في معجمه الفرنسي والعربي (الدبق) ووضع بجانب هذه اللفظة (ابن البيطار) بين هلالين . فراجعت مفردات ابن البيطار فلم اجد فيها ما يدل على ان الدبق هو ال (Gui) .

واخيراً عثرت على لفظة الهدالة في الامهات فاذا بها تعرف بما يلي :

شجرة تنبت في السمر وليست منه وتنبت في اللوز والمان وفي كل شجرة وثمرتها بيضاء .

فهذا الوصف هو وصف ال (Gui) بعينه مع شيء من المبالغة شأن الافدين في تحلياتهم لانه لا يمكن ان تنبت الهدالة او ال (Gui) في كل شجرة بل يكون لكل طفلي مثلها أشجار معلومة تصاب به .

وانا لم أسمع احداً يطلق لفظة الهدالة على النبات المذكور او على غيره . وعلى كل اذا كانت لا يوجد احد عليم بهذه اللفظة وبمدلولها على وجه الصحة فهي أصلح لفظة يجب استعمالها للدلالة على النبات الذي نبحث عنه .

ومن الثمار الجافة في علم النبات ثمرة تسمى بالفرنسية (Capsule) ترجمها بعض المؤلفين بلفظة (علة) وأقتبسها منهم في كتيبي . وقد وجدت بعدئذ في المخصص الجملة الآتية (.) وكان منابله جراء الخشخاش (.) فقلت : ان ثمرة الخشخاش نباتاً هي كبسول فلماذا لا نستعمل لها الجرد والجراء بدلاً من العلة والعلب كما نستعمل السنفة للثمرة المسماة (Gousse) او (Légume) وهي ثمرة نباتات الفصيلة القرنية او الفصيلة القطانية على رأي العالم الشهير الطبيب امين المعلوف . والسنفة ترجع على لفظة القرن التي لها عشرات من المعاني .

وذكر الطبيب المشار اليه في بحثه القيم عن اصطلاحات النبات (مجلة المجمع ج ٨ ص ٣٣١) ان اوراق الشجر التي لا تسقط في الشتاء تسمى دائمة (Feuilles persistantes) . قلت ولهذا النوع من الاوراق في الامهات لفظة هي الهدب فان من جملة معانيها « مادام من ورق الشجر كالسرو » .

واذا نظرت الى منابل الشعير وجدت انواعاً : فمنها التي يكون لها ستة صفوف من الحب اي تكون فيها جميع ازهار السنبيلات ملتحة (كالشعير الرومي) . ومنها التي يكون لها اربعة صفوف اي تبدو السنبلة ذات اربع زوايا لان صفين من الحب يكونان قرابين من محور السنبلة فلا يظهر عليها الا اربعة خطوط . ثم هنالك الشعير ذو الصنفين (كالشعير العربي) وهو الذي ليس في منبله سوى صفين من الحب .

فلفظة صف هنا يقابلها بالفرنسية لفظة (Rang) والفرنساويون يقولون (Orge à six rangs) و (Orge à deux rangs) للشعير ذي الصفوف الستة وللشعير ذي الصفيين . وهما باللاتينية (Hordeum hexastichum) و (Hordeum distichum) . وقد وجدت المخصص يستعمل لفظة حرف يدلّاً من صف ويستدل على ذلك من الجملة الآتية في وصف احد اصناف الشعير : (. ولسنبله حروف عدة . . .) ولفظة حرف ترجع على لفظة صف في هذا المقام ولذلك اذا نعنا سنبلة الشعير الرومي فلنقل انها ذات ستة حروف كما نقول ان سنبلة الشعير العربي هي ذات حرفين .

وللعنزة في الفوطة ولا سيما اذا كانت من العرق البلدي قطعان ثنتان في اسفل العنق يبلغ طول كل منهما خمسة سنتمرات الى عشرة والمسافة بينها ثلاثة سنتمرات الى اربعة .

فكل من هاتين المنين تسمى بالعربية زّاحة وهي بالفرنسية (Pendeloque) .

والأدوات التي يحصد الزرع بها كثيرة منها المنجل المعروف وهو بالفرنسية (Faucille) ومنها أداة تسمى بالفرنسية (Faux) لها نصل ذو عقب وعصا طويلة ذات قبضة او قبضتين . والأكار يستعملها دون ان يحني ظهره او يقعد القرفصاء كما هي الحال في استعمال المنجل . وقد كنت سميتها الحصادة في الباكورة من كتيبي وهو كتاب الزراعة العملية الحديثة . وأرى الآن ان يطلق عليها لفظة المقضب او المقضاب وان كان استعمالها بعض اصحاب المعاجم الافرنجية العربية للأداة التي تقطع بها أغصان الشجر والتي تدعى بالفرنسية (Serpette) . فهذه الأداة الأخيرة يجب تسميتها مشذباً من شذب الشجراي قطع ما عليها من الأغصان . وجاء في الجزء الاول من كتاب الزراعة المحربية لفظة السيف للأداة المسماة (Faux) ولا اظن هذه اللفظة تساري المقضب او المقضاب .

اما آلة الحصاد التي تجرها الخيل فهي على أنواع فالمحمد العادي او المحش الذي يستعمل في قطع الكلاء هو بالفرنسية (Faucheuse) والمحمد الجامع الذي يحصد الحنطة ويجمع القبوط ويلقيها على الأرض هو (Moissonneuse javeleuse) . فاذا ربطها قبل القائها فهو المحصد الرابط وبالفرنسية (Moissonneuse lieuse) . وهناك آلة تجمع الأقاط بعد الحصاد تسمى (Rateau) وقد كنت أسميتها المائم .

مصطفى الشهابي

« لبحث صلة »

آراء وافكار

رسالة الكرم

- ٢ -

كنا نشرنا في (العدد ٥ من المجلد ٩) من مجلة المجمع العلمي العربي مقدمة لرسالة
للكرم ووعدنا القراء الكرام بكلمة نقدمها على الرسالة . في النجم والشجر والجنبة انما
لفائدة ، وقد عرض لنا من عوائق الدهر ما أخرنا عن نشرها الى الآن فرأينا ان تقدم
نلك الكلمة الموجزة ثم تتبعها بالرسالة وفاء بما وعدنا .

« الكلمة »

قال ائمة اللغة : النجم من النبات ما لا يقوم على ساق . وفي اللسان والنجم من النبات
كل ما نبت على وجه الارض ونجم على غير ساق ونسج فلم ينهض . ونجم النبات
وغيره طلع .

والشجر كل ماله ساق كالشجر . وارض شجرة وشجيرة وشجرا . كثيرة الشجر ،
والمتشجر منبت الشجر وموضعها والشجرة ارض نبت الشجر الكثير . وواد مشجر واشجر
وشجير كثير الشجر وهذه الارض اشجر من هذه . أكثر شجراً . وشجر الشجرة والنبات
شجراً رفع ما ندلى من اغصانها .

وقال الخطيب : جميع ما ينبت نجم وشجر وجنية ^(١) فالنجم ، اباد الشتاء اصله وفرعه
كالبقول وانواع من النبت كثيرة . والشجر ما ثبت على ساقه ولم يبد الشتاء اصله ولا
فرعه كالجوز واللوز والشمش ونحوها . والجنبة ما جانب هذين فلم يبد الشتاء اصله كما
يبداصل البقل ولا يبقى فروعه كما يبقى فروع الشجر ولكن باد فروعه وبقي اصله ، والاصل
الباقى يسمى الجية . وفيه يمشش الحمر والقنبر وذلك كالحرشف والتوم والمكر والصلبان .

(١) ضبطت في مبادي اللغة مرة بضم الجيم وأخرى بفتحها . وهو الموافق لما في
اللسان وهو الصحيح .

وفي اللسان الجنبية عامة الشجر الذي يتربل في الصيف . وقال ابو حنيفة الجنبية ما كانت في نبته بين البقل والشجر وهما ^(١) مما يبقى اصله في الشتاء ويبعد فرعه . وقال الازهرى : الجنبية اسم لنبت كثيرة كلها عروة ^(٢) سميت جنبية لانها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا ارومة لها في الارض فمن الجنبية النحوي والصايان والحماط والمكر والدهاء صغرت عن الشجر ونبت عن البقول ، قال وهذا كله مسموع عن العرب . وقيل هو كل نبت يورق في الصيف من غير مطر .

البقل ما نبت في يزره لا في ارومة ثابتة . وقال الراغب : البقل ما لا يثبت اصله وفرعه في الشتاء . وقال ابن سيده : البقل من النبات ما ليس بشجر دق ولا جل . وحقيقة رسمه انه ما لم تبقى له ارومة على الشتاء بعد ما يرعى . والفرق ما بين البقل ودق الشجر ان البقل اذا رعى لم يبقى له حاق والشجر تبقى له سوق وان دقت .

يقال : ابقل الشجر اذا دنت ابام الربيع وجرى الماء فيها فرايت في اعراضها مثل اظفار الطير واعين الجراد قبل ان يستبين ورقه فيقال حينئذ صار بقلة واحدة . واسم ذلك الشيء الباقل ويقال كل ما اخضرت له الارض فهو بقل وارض بقلة وبقيلة ومبقة ومبقة ومبقة وذات بقل . ونقلت الماشية وابتقلت رعت البقل . ونقل الرجل خرج بطلب البقل .

والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات بدال والعامة تقول بقال وقال السمعاني هو من يبيع الياسر من الفاكهة . والسطاح من النبت ما اقترش فانبط على وجه الارض ولم يسم كالقشاء واليقطين . والعروة من النباتات ما بقي له خضرة في الشتاء .

والعروة من دق الشجر ماله اصل باق في الارض مثل العرنج واجناس الخلة والحض

(١) هكذا جاءت في لسان العرب ونقلها في التاج وهي مخالفة لما سيأتي في معنى البقل . ولعلها وهي اي الجنبية مما يبقى اصله في الشتاء الخ . وهو الموافق لما تقدم في تفسيرها .
(٢) في التاج كلها عروق وما هنا اصم .

فاذا احمل الناس عصمت العروة الماشية فتبلغت بها . والعروة من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء مثل الاراك والسدر الذي يعول عليه الناس اذا انقطع الكلا . وقيل العروة الشي من الشجر الذي لا يزال باقيا في الارض ولا يذهب .

الاصل اسفل كل شي . واصل وتاصل صار اذا اصل واصتاصلت الشجرة ثبت اصلها واصتاصلها فلها من اصلها .

الجميئة ارومة كل شجرة تبقى على الشتاء والجمع جمع . وفي اللسان الجمع ارومة الشجر بما عليها من الاغصان اذا قطعت . وقال الازهرى : كل شجرة تبقى ارومتها في الشتاء من عظام الشجر وصفارها فلها جمع في الارض وبعد ما ينزع فهو جمع حتى يقال لاصول الشوك جمع .

ويقال لما في جوف الارض من اصل الشجرة ارومة الارومة بالفتح ويضم والجمع اروم . الجذاة اصول الشجر العظام العادية التي يلي اعلاها وبقي اسفلها جمعها جذاء قال تميم بن مقبل :

باتت حواطب ليلي يقنبن لها جزل الجذاء غير خوار ولا دعر

الجذات اصل الشجرة وهو العرق المستقيم ارومته في الارض ويقال بل هو من ساق الشجرة ما كان فوق العروق .

العرقاة بالكسر ويفتح والعرق بالكسر الاصل الذي يذهب في الارض سفلا وتذهب منه العروق ، وفي القاموس وقولم استاصل الله عرفاتهم ان فتحت اوله فتحت آخره وهو الاكثر ان كسرته كسرته على انه جمع عرقه بالكسر .

وعروق الشجرة وغيرها اطناب تنشعب منها واحدا عرق يقال اعروق الشجر والنبات وعروق اذا امتدت عروقه في الارض .

الجذال اصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفروع جمعه اجذال وجذال وجذول وجذولة القهارة والعجز من الشجرة . اصلها الذي يلي الارض .

ساق الشجرة جذعها وقيل هو ما بين اصلها الى مشعب افنانها جمعه سوق وسوق وسوق وسوق . وشجرة ساق طويلة الساق ، والسوق الريان من كل شي قبل النماء وكل شي تر وارتوى من سوق الشجر والطويل من الرجال ويستعمل في غيرهم .

الفصن ما تشعب من ساق الشجرة والغصنة الشعبة الصغيرة منه جمعها غصن .
الشُّعْبُ والشُّغُوب على اغصان الشجر كالشُّعْب والشُّغُوب و يقال للفصن
النام الرطب شغوب .

الخَصْل اطراف الشجر المتدلية ، وكل غصن من اغصان الشجرة خَصْلَة والخَصَلَة
والخَصْلَة والخَصْلَة عود فيه شوك وقيل هو طرف القضيب الرطب اللين . وخَصْلَه
خَصْلًا قَطَعَه . وخَصْل الشجر قطع اغصانه وشذبه .

الاختلاء . جذب الفصن حتى ينزع من اصله و يقال امسح العود من الشجرة اذا
سله منها فقطعه .

و يقال لما بقي من اصول الاغصان في الشجر بعد ما يقطع . القَطْعَات الواحدة
قُطْعَة وهي الأُتُن وفي اللسان وقطعات الشجر أُنْبَاهَا التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة
قُطْعَة . وفي القاموس وقطعات الشجر كهُزَة وباتحريك وبضمين اطراف ابنها التي
تخرج منها اذا قطعت .

فاذا اخذت اغصان الشجرة كلها وورقها فهي السليبة وقد سلبت الشجرة اذا فعل
بها ذلك وشجرٌ سَلَب لا ورق عليه ونخلٌ سَلَب لا حمل عليه وهو جمع سلب .

الشماليل ما تفرق من شعب الاغصان في رؤوسها كشماريح العذق قال العجاج :
وقد تردى من اراط ملحفا منها شماليل وما نلقنا

المَدَب اغصان الارطى ونحوه مما لا ورق له واحدته هدبة والمذب ما دام من
ورق الشجر ولم يكن له عير .

والمدب من النبات ما ليس له ورق الا انه يقوم مقام الورق او كل ورق ليس
له عرض كورق الاثل والسرور والارطى والطرفاء . كالمَدَاب واحدته هُدَابَة وهدب
الشجر كفرح واهدب طالت اغصانه وتدلّت من حوالبه فهي هدياء .

العَبَل المدب وهو كل ورق مفتول غير منبسط كورق الارطى والطرفاء واشباه
ذلك . وقيل هو مثل الورق وليس بورق . وأعبل الارطى ونحوه اذا طلع ورقه وأعبل
ايضا اذا سقط ورقه .

والعَبَل ما ليس بورق الا انه يقوم مقام الورق . وقيل ما لم ينسط من النبات

ولكن ثقُل فكان كالمُهدب وذلك كهدب الاثل والطرفاء . و يقال اربش الشجر ارباشاً وارمش ارباشاً اذا اوراق وقيل اذا اخرج ثمره كأنه حمص .

النَجَب لحاء الشجر او قشر عروقها او قشر ما صلب منها ولا يقال لما لان من قشور الاغصان نَجَب ولا يقال قشر العروق ولكن يقال نَجَب العروق والواحدة نَجْبة . والنَجَب مصدر نَجَب الشجرة يَنْجُبُها اذا اخذ قشرة ساقها ونَجَبها تنجيباً اخذ قشرها .

والقِرْف لحاء الشجر واحده قِرْفَة وجمعه قُرُوف والقِرَافَة كالقِرْف . وكل قشر قِرْف ومنه قِرْف الرمانه . وقِرْف الخبز الذي بقشره يبقى في النور والقِرْفَة الطائفة منه . وقِرْف الشجرة يقرفها قِرْفاً تحت قِرْفها وقِرْف القِرْحَة فتقرفت اي قشرها وذلك اذا بَيست .

والقِلاف والقِلافَة القشر وقلف الشجرة نزع عنها لحاءها .

الشَّكِير لحاء الشجر والجمع شُكْر قال هوذة بن عوف العامري :

على كل خوار العنان كأنها عصا ارزن قد طار عنها شكيرها

القِشْر قشر كل شيء خلقه او عرساً وقِشْر قشراً وقِشْره نقشيراً سمحاً عنه لحاءه او جلده والقُشارة ما نقشره عن شجرة من شيء رقيق . ولباس الرجل قشره وكل ملبوس قِشْر . وثمر قِشْر وقشير كثير القشر . وقشرة الهبرة وقشرنها جلدها اذا مص ماؤها وبقيت هي . وسمحة كل شيء قشره والجمع سمحاً .

ويقال انسفت الشجرة اذا نبتت بعد القطع . والنُسْعُ ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت .

ويقال للندي الذي يخرج عروق الشجر الى غصونها حَلْ والانبوش والانبوشة ما قلعت مع اصله من صغار الشجر . وفي اللسان الشجرة ثقُلها بعروقها واصولها وكذلك هو من النبات . وانايش العنصل اصوله تحت الارض واحدها انبوشة .

الزَّيْل ضروب من الشجر اذا برد الزمان عليها وادبر الصيف ثفطرت بورق اخضر من غير مطر يقال منه تربلت الارض والزبل ورق ينفطر في آخر القبط بعد الهيج يبرد الليل من غير مطر والجمع ربول . وقد تربل الشجر وخرجوا يتربلون يرعون الزبل

وتربلت الارض اخضرت بعد اليبس عند اقبال الحريف والرببل ما تربل من النبات في القبط وخرج من تحت اليبس منه نبات اخضر .
ويقال سمك الشجر اذا عطش فحشش ويبس فهو صميل وصامل . قالت زينب الطثرية :

نرى جازربه يرعدان وناره عليها عداميل المشيم وصامله
والعداميل جمع عدمول وهو الشجر القديم .
المستباهة الشجرة يقعها السيل فينغيها عن منبتها كأنه مأخوذ من السباه وهو الذي يخرج من ارض الى اخرى .
الفادح أكل يقع في الشجر والاسنان . والفادحة الدودة التي تأكل الشجر والسن .
وقد قدح في السن والشجرة وقدح الدود في الاسنان والشجر قدحاً وهو تأكل يقع فيه .
البعل كل شجر او زرع لا يسقى وقيل البعل والعذني واحد وهو ما سقته السماء .
والسقي الذي لا يعبش بالاعذاء انما يسقى يقال زرع سقي ونخل سقي اي يسقى بالماء
ويقال زرع مسقوي اذا كان يسقى ومظمي اذا كان عذباً .

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

النبته الطروب

قرأت المقال المعنون (كتاب نزهة العيون) لزميلنا العلامة الاستاذ الشيخ كامل الغزي فرأيت به بعدد مما تستبعد العقول وقوعه ما حكاه له القاضي فخر الدين ابراهيم بن علي دبقاً من انه رأى في بعض قرى بعلبك نباتاً يشبه المنشور في لونه وكونه وان بعض الطرفاء غنى النبات بيتين من الشعر فاهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى ثنأثر اوراقه وذبلت طاقاته ، وان استبعاد الرواية على وجهها المذكور بدون حملها على المبالغة هو في محله ، ولكن حكاية هذا النبات معروفة في هذه الديار واليك البيان :

هذا النبات يعرف بالماشي وتسميه العامة عورنين يشبه زهره زهر المنشور الاصفر

وهو بريء وتذكر له العامة هذه الخاصة وهي انه اذا أنشد بصوت حزين شيئاً من النغم تساقط زهره ، وقد نذاكرنا يوماً ونحن أمام نبتة منه ايام الربيع فذكر لنا احد اصحابنا صفة هذا النبات وتقدم اليها اليربسا صحة زعمه فكها بيده وقال أهزها اولاً لترى ان زهرها ثابت عليها قبل الغناء ، وبعد ان هزها بيده فلم يسقط منها شيء اخذ في الغناء واخذ الزهر يتساقط ، فقلت حسبك هذه نبتة ثانية غنها ما شئت وبأي نغم شئت ولا تمسها قبل الغناء كما فعلت بالاولى ، فغنى واجتهد وحزن كثيراً ولم يستقد شيئاً اذ بقي زهرها ثابتاً عليها ، فقلت له تأخر الآن عنها وتقدمت اليها فهزتها بيدي ورجعت عنها ونحن ساكتون ننظر اليها فاذا زهرها يتناثر بعد نصف دقيقة او دقيقة من هزها وظهر لصاحبنا ان الخاصة للهر لا للغناء .

احمد رضا

عضو المجمع العلمي



استدراك على مقالة

« كتاب نزهة العيون »

هي المقالة التي نشرت في العدد الاخير من مجلة المجمع ج ١١ و ١٢ ص ٦٨١ من المجلد التاسع لسنة ١٩٢٩

كنت قبل ان اضم تلك المقالة - تقدمت الى العلامة احمد تيمور باشا برسالة استمجت فيها من معين علمه بيان ما عنده من ترجمة ذلك الكتاب المطلوب .

فكتب اليّ يقول : ان الكتاب الذي وصفتموه في مجلة المجمع ج ٩ ص ٦٨١ وورد اسمه بخط غير خطه (نزهة العيون في اربعة فنون) الصواب ان اسمه (مباحج الفكر ومناهج العبر) لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري الكشي المعروف بالوطواط المترجم في الدرر الكامنة لابن حجر والمتوفى سنة ٧١٨ هـ وان اسم الكتاب وارد في اثناء الخطبة فالظاهر ان النسخة التي اطلعتم عليها وقع بها سقط في الخطبة وارجو أن تراجعوا المشرق ج ١٠ ص ٧٢١ و ٧٧٤ ومجلة المقتبس ج ٥ ص ٥٤٠ ففيها وصف لهذا الكتاب وراجعوا ايضاً كشف الظنون في (مباحج الفكر) وفي (مناهج الفكر) .

جمال الدين الوطواط هذا غير رشيد الدين الوطواط صاحب الرسائل المتوفى
سنة ٥٧٣ .
عضو المجمع العلمي
كامل النزي



من نواذر المخطوطات « في دار الكتب الظاهرية »

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : تأليف نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى
سنة ٨٠٧ هـ . جمع فيه مؤلفه زوائد الكتب الستة من مسند الامام احمد بن حنبل والبخاري
وابن يعلى والموصلي والمعجم الثلاثة للطبراني فأصبح بذلك كتاباً حافلاً في موضوع الحديث
النبوي (رقم ٦١١ حديث) .

المجمل في اللغة : تأليف أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٠
اقتصر فيه مؤلفه على الالفاظ المستعملة بماتهم معرفته وأخذاً كثراً عن السماع وعن تقدمه
واختصر الشواهد . ورتبه مؤلفه على الابدلية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه حتى
طابق اسمه مسماه . والموجود منه الجزء الثاني فقط ينتهي من حرف العين الى آخر
الكتاب في ٣٧٥ صفحة متوسطة . بخط أبي بكر محمد بن محمد بن خلف في سنة ٥٨٩ هـ
(رقم ١٢٣ لغة) . وقد طبع الجزء الاول منه في مصر سنة ١٣٣٢ ص ٣١٩ على نفقة
الحاج محمد سامي المغربي .

جنى الداني في حروف المعاني : تأليف بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المتوفى
سنة ٧٤٩ هـ : وهو مرتب على مقدمة مشتملة على خمسة فصول . ثم اورد خمسة ابواب من
الأحادي الى الخماسي قال صاحب كشف الظنون : هو مأخذ المغني لابن هشام . كتب
سنة ١٠١٩ في ٢٥٠ صفحة صغيرة (رقم ٢٦١ نحو) .

شرح الالبصاح : (الالبصاح) تأليف أبي علي حسن بن احمد الفارسي المتوفى سنة
٣٧٧ وشرح لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ شرحه اولاً شرحاً مبسوطاً في

نحو ثلاثين مجلداً وسماء المغني ثم تلخصه في مجلد واحد وسماء المقتصد وهو في مجلد ضخيم في ٩٠٤ صفحات كبيرات بخط حسن ترجع كتابته الى القرن الحادي عشر (رقم ٣٥٤ نحو) .

جمع الآداب في معجم الاسماء والالقب : تأليف كمال الدين عبد الرزاق القوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ . قال صاحب كشف الظنون انه في خمسين مجلداً وهو مرتب ترتيباً غريباً في أسلوب عجيب : الموجود منه الجزء الرابع يبتدي من حرف العين الى حرف القاف بخط مؤلفه وجامعه سنة ٧١٧ في زهاء ٦٠٠ صفحة متوسطة (رقم ٢٦٧ : تاريخ) .

انباء القُمر بأبناء العمر : تأليف شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر الملقب بالمتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو تاريخ مصر والشام متضمناً حوادثها وتراجم رجالها منذ ولادة مؤلفه الى سنة ٨٥٠ هـ مما أدركه اوصمه وقد رتبته على السنين : فيذكر حوادث كل سنة ثم تراجم الوفيات فيها . وهو مجلد ضخم زهاء ١٢٠٠ صفحة بخط مؤلفه (رقم ٢٤١ : تاريخ) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الجريكة القومية

[وتطور الحكم في مصر]

« صدر منه جزآن يحتويان على نحو ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط »

« تأليف عبد الرحمن بك الراجحي »

آل الراجحي أسرة لا اعرف منها الا كل خادم لبلاده صادق الخدمة ، وغبور على لغة آباءه واجداده لا ينفك عن العمل لاجلها ما استطاع الى العمل سبيلا . ولعمري ان أمة تثبت الحراس على استقلالها يتلوع بعضهم اثر بعض لا بد ان تدرك غايتها . هما تكن طريقها مشوكة ، واللغة التي لها من ابنائها اناس يؤمنون بها ايماناً لا بد ان تظل حية ما دام ذلك الايمان راسخاً في القلوب .

وكتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الراجحي هو دروس في الوطنية يجدر بكل ناطق بالفساد ان يتلوها فيرى فيها بدء الحركة القومية المصرية في اواخر القرن الثامن عشر وارايل القرن التاسع عشر اي منذ احتلال حملة نابليون لمصر الى ايام محمد علي الكبير . ولقد سرد الاستاذ الابحاث بعبارات طليّة وسلسلها على شكل يستحسن ودعمها بوثائق عديدة نقلها عن مذكرات رجال حملة نابليون والمؤرخ الجبرقي وغيرهم فجاء الكتاب تاريخاً سياسياً وقومياً لتلك السنين يشاهد فيه ابناء مصر اليوم ما لاقاه اجدادهم من ظلم المستعمرين وفظائعهم (سواء اكانوا اتراكاً ام عماليك ام اوربيين) وما اتوه من الاعمال للخلاص من سيطرة المتغلبين المشؤومة . فما جاء في الصفحة ٤٣ من الجزء الاول عن ابن اباس ان السلطان سليم خرج من مصر ومعه الف جمل محملة من الذهب والفضة فضلاً عن التحف والسلاح واعمدت الرخام والاسميني والنحاس واخذ من مصر من كل شيء احسنه وذلك عدا ما غنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من النهب مالا يحصى وبطل من مصر نحو خمسين صنعة . ولا شك ان اكبر طعنة للغة العربية جاءت من يد الاثراك العثمانيين يجعلهم التركية لسان الدولة الرسمي في مصر مع ان العربية هي

التي كانت الاسان الرسمي الى زوال دولة السلاطين البرجية (الشراكسة) .
 وقد اعجبنا قوله أن سلطة محمد علي الكبير قامت على ارادة الشعب ولذلك تمكن بها
 من القضاء على سلطة الاتراك والماليك معا .
 وبعد اننا نشكر للاستاذ الفاضل هديته ونتمني ان يوفق الى انحاء البلاد بباقي
 حلقات هذه السلسلة الذهبية .
 مصطفى الشهابي

لبنان وسوريا

[قبل الانتداب وبعده]

« تأليف بولس مسعد وهو يقع في ١٢٩ صفحة »

هل قرأت مصنفات بعض الكتاب الاوربيين الذين سدل التعصب غشاوة على
 ابصارهم وبصائرهم والذين يهبطون بلاد الشام فيقيمون فيها عشرة ايام او عشرين يوماً
 يظنون بانتهاء انهم صاروا عليمين بتاريخ هذه البلاد وجغرافيتها وزراعتها وتجاريتها وعادات
 سكانها وميولهم السياسية وكل ما يهم القراء الاطلاع عليه من شؤونهم ؟ اذا كنت
 قرأت بامعان كتباً كهذه وهالك ما وجدته فيها من الأقوال الغريبة والافكار المضرة
 والنيات السيئة فاعلم ان كتيب السيد بولس مسعد هو من هذا القبيل .

مصطفى الشهابي

خمسة اعوام في شرقي الاردن

« بقلم الارشمندريت بولس سلمان امين مرغبطة بطريرك الروم الكاثوليك »
 كتاب بقطع الرقيم يساهز ثلاث مئة صفحة جلي الطبع حسن الورق مطبوع في
 مطبعة القديس بولس مجريما (لبنان) يتخلل مشه عدد من الرسوم التي توافق
 الابحاث ، وهو مصدر بيان شيق بقلم الشاعر المشهور خليل بك مطران . وقد
 قدمه مؤلفه « الى الامة العربية النبيلة والى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن
 الحسين » .

اختار سيادة المؤلف هذا الاسم لكتابه للدلالة على الزمان الذي قضاه في شرق الأردن وكان يومئذ في ذلك القطر العربي رئيساً دينياً وكانت مهمته فيه مرتبطة بطائفته فقط . الا انه لم يقف اوفاته على تلك المهمة فحسب شأن بقية الرؤساء الدينيين بل صرف همه ايضاً الى التجول في انحاء هذه الامة البدوية وخالط اقوامها وتعرف احوالهم وعوائدهم ومراثرهم وسهر الليالي في تدوين مشاهداته ومحادثاته ، وكان يجبرها في ساعات الفراغ بلسان عربي فصيح سهل ويبحث في فصولها الى مجلة المشرق البيروتية التي نشرتها تباعاً . واذ رأى اقبال الادباء على تلك الابحاث وارتياحهم اليها ، وخصوصاً المستشرقين منهم ، نقحها وجمعها وزاد عليها ما تيسر بمبحث جاءت سفرأ ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده ، يعرف قارئه من احوال العرب الرحل . الا نستطاع معرفته الا لمن قضى بينهم السنين الطوال .

والكتاب حسن التبويب يبحث في تاريخ اهل البادية وشعرهم وقضائهم واديانهم ، وفي آخره جدول مسهب عن عشائر شرق الاردن . فنشكر لسيادة الارشتمندريت جهوده الطيبة في خدمة العرب والعربية ونتمنى ان يتسنى له تحقيق املة باوتباع هذا الجزء بجزء آخر يضم الفوائد في الامرة البدوية والزعامة والقبيلة والعشيرة والغزو الى آخر ما وعد به في مقدمته من الشروح .

ولعل خير ما قيل عى هذا الكتاب لمؤلفه عبارة ختم فيها خليل بك مطران بيانه الشيق

قال :

« كان الناس قديماً يسترشدون بما يرشدهم اليه رجال الدين لمعرفة دنياهم والاخذ بالصالح النافع من شؤونها ، أما الآن فقد اصبحوا يستعيدون كرامة الدين عند أنفسهم بما يجدونه في أعمال أئمتهم من صالح ونافع في أعمال الدنيا » .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي العربي

نصوص عربية من تاكرونة

« السيد وليام مرسي والسيد عبد الرحمن غيجا طبع باريز عدد صفحته ٤٢٦ »

W. Marçais et Abd errahman Guiga . p. p. 426 - paris 1927

يحتوي هذا الكتاب على اثني عشر قطعة بعضها حكايات وبعضها وصف ومحادثات
وضمها أحدهما (السيد عبد الرحمن غيجا) وقد كتبها بلهجة (تاكرونة) العربية العامية ثم
كتبها بالاشتراك مع زميله بأحرف لاتينية لضبط لفظها بحسب لهجة تلك القرية ثم ترجمها
إلى الفرنسية مع شرح وإيضاح للترجمة وهي أم ما في الكتاب . وموضوع هذه الحكايات
حوادث داخلية وأمور عائلية متعلقة جميعها بقرية تاكرونة مع وصف شيء من عوائد أهلها
ومعشيتهم الزراعية ، وتكرونة هذه هي قرية صغيرة واقعة على الخط الحديدي الذي يربط
نونس بـسوس بقرب (انفيدافيل) وفائدة هذا المصنف درس اللهجات العربية المغربية
وتطورها فهو حلقة جديدة تضاف إلى سلسلة ما قد كتب بهذا الشأن عن بلاد المغرب .
وقد أنكر واضع الكتاب في مقدمتها قول القائلين بتقسيم سكان بلاد المغرب إلى
عرب وبربر . ومن رأيهما أن جميع سكان هذا القطر هم من أصل بربري ولا يوجد فيه
أصلاً جنس عربي وقد قسما مكانه إلى قسمين : الأول المحتفظون بلغتهم البربرية الأصلية
والقسم الثاني المتكلمون بالعربية وهم الذين استعربوا بعامل الفتح الإسلامي .
هذا ما ذهب إليه المؤلفان في مقدمة كتابهما مذعماً أنه لا يوجد في المغرب أحد
من أصل عربي وقولهم هذا غلط البطلان فإن كل من كتب والى في أنساب سكان
القطر المغربي حقق بأن كثيراً منهم يمتنون بأنسابهم إلى الفاتحين الأولين من العرب إذ من
عادة الفاتحين من كل قوم أن يتركوا في البلاد التي فتحوها جماعة من أبناء جلدتهم
يستوطنونها والتاريخ القديم والحديث طامخ بمثل هذه الحوادث . وما عرب المغرب إلا من
سلالة هؤلاء الفاتحين .

جعفر الحسني

مجلد الجمع العلمي العربي

الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

(دمشق) : ايار سنة ١٩٣٠ م

المسكرات ومضارها (١)

للأم كما للأفراد قوام مادي وقوام روحي . فقوام الأم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف ما بين أولئك الافراد فتجعل منهم جسداً واحداً يتحرك بحرك واحد . اما نسبة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كنسبة الاحجار الى البناء . فكما ان الاحجار المنفرقة لا تؤلف بنياناً معها كثر عددها وتماثل شكلها الا اذا تراصت وتلاصقت وشد بعضها بعضاً على شكل هندسي معروف . كذلك الافراد فهم لا يؤلفون أمة معها كثر عددهم وتشابهت سماتهم وتوحدت اصولهم وثقافت أذهانهم اذا لم يجمعهم جامعة عامة واحدة فيتأثرون بمؤثر واحد . يعيشون لاجله ويموتون في سبيله .

وقد يصف قوام الأم المادي و يبقى قوامها الروحي صحيحاً فتحتفظ بكيانها الاجتماعي كما تحتفظ عليل الجسم بحقوقه المدنية اذا لم تنطرق العلة الى ملكاته النفسية . اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فنقدت ثمة حياتها الاجتماعية ونهض لا كيان لها في العالم الادبي . فيستولي عليها الصحيح من الأم . كما يجبر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجمالها . سنة الله في هذا الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية وادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز وسلطان وكيان

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القيت في ردهة الجمع العلمي

في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

سياسي واجتماعي ، وبانت على ما هي عليه اليوم ، مما يندى الجبين لذكره ويهلع القلب لذكره . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائفية ، أشبه بها باحجار هيكل عظيم ، فوقه زلزال شديد ، فتناثرت على الارض محتفظة بصلايتها وروتقها . فليت شعري ما يكون امرها غداً . امرها أيها السادة احد شيئين : اما ان يتطرق الفساد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فنفقد ثمة خصائصها ، فننتقم ثم تصحج . واما ان تحتفظ بشكلها وخواصها الى ان تصادف بداً عاملة فتعيد لها سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قوامها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بعامل الوراثة على كثير من خصائصهم القومية ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلبة المهذبة المناثرة من ذلك البنيان المتهدم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ يتحول الى رجاء في هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدد الفرد بحياته لمادية والنفسية ، وترمي الى افساد مبادئه وخصائصه العنصرية وهي الدعامة الوحيدة لوحدة المنشودة ، فيصبح كالغراب غريباً ، ينكره الناله ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعية تسربت الى هذه البلاد الضعيفة تحت ستار الحضارة والمدنية البراق . وشر الادواء ما كان خفياً ، وشر السموم ما كان شهيماً ، فتهاقت عليها الناس تهاقت البعوض على النور يحسبون السعادة في نورها ، فتلتهم حياتهم نيرانها ، واشد هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والنسل (الغولية) اي داء المسكرات .

اقول الغولية وهي نسبة الى الغول ، والغول في اللغة السكر ، وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة التخمرة كخمر العنب ونبذ الشعير والأرز والتفاح وغيرها . وقد كان يُظن قبل الاسلام ان الخمر مسكرة بذاتها فلما جاء الاسلام ووصف خمر الجنة . قال في تعريفها : (لافيها غول ولا هم عنها ينزفون) اي مافيها مادة مسكرة ينشأ عنها الصداخ والسكر يقال لها غول . فأفاد بان الخمر ليست مسكرة ومصدعة بذاتها بل هي مسكرة بمادة خاصة موجودة فيها تدعى الغول ، تحرم لاجلها لانها هي التي تفسد العقل وتسكر .

و بالنظر لجهل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينسبوا الى معنى كلمة الغول العلمي ففسروها بمعناها اللغوي وهو السكر مما أوقعهم في الاختلاف في تحريم النبيذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة الغول وتجربته عن المواد المتخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والنقطير في القرن الثاني للهجرة فصعدوا الخمر وقطروها واستخرجوا منها الغول ويسمونه روح الخمر والعرق والزئبق الحار . قال داود : العرق هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والنقطير وقد يؤخذ من الانبذة . ومن هذا يتبين لنا ان القرآن ذكر الغول بمعناه العلمي قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه وبيان خصائصه . وقد اخذه الفرنج عن العرب ونقلوه الى لغتهم بلفظه العربي ، و بالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم استبدلوه بالآش فقالوا بدلاً من أَلْغَوْل الكوهول . ثم لما جاء الأتراك وأرادوا نقل العلوم من اللغات الفرنجية الى لغتهم لم ينسبوا الى ان أصل كلمة الكوهول هي الغول فقلبوها في نقلها الآش حاء فصارت الكحول . وقد شاعت لفظة الكحول على اللسان حتى ظنها الناس فصيحة ، بينما انه لا يوجد لها أصل في اللغة يشير الى مدلولها . وبات كلمة الغول الفصحى غريبة لعدم تداولها وهي أجدر بالمودة والاستعمال .

فالغول والحالة هذه هو المادة المسكرة الموجودة في الخمر ، والمعروفة باسم الكحول او السبيرتو العامة ، والغولية هي الداء الذي يحصل من إدمان شرب المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . وتنقسم الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني الخمر والانبذة .

المشروبات الروحية — فالمشروبات الروحية هي الموائع التي تحتوي على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الأليسون ، وهو مركب من غول وماء وعطر الأليسون . ومنها القونياق ، وهو عرق الخمر الأبيض يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصفصاف يكتسب منها رائحته ولونه . وقد سمي بالقونياق نسبة الى بلدة قونياق في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحية الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة وهي الاشربة الغولية

الممزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واشهرها الالبنت اي مشروب الالفنتين والبيتر والقرموت والشارتروز وغيرها .

الخمور - اما الخمور فأهمها الخمر ، وهو عصير العنب المخمر ، وهو يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الفول وعلى خمسة وسبعين جزءاً ماءً وعلى مواد زلالية وعنصرية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح قلوية ترابية وعلى ارواح عطرية . ومنها الانبذة وهي الخمور التي تحصل من عصير غير العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تتألف منها ، وأشهرها : المزر او البيرا (الجمعة) وهو نبيذ الشعير المطر بمحشيشة الدينار ، وهي تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية أجزاء من الفول ، وفيها مواد سكرية وزلالية ودهنية وأملاح قلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع . قال داود وهو نبيذ الفواكه . ومن انواعه : السيدر ، وهو نبيذ التفاح ، والبواره وهو نبيذ الأجاص ، ومنها الرائب وهو نبيذ اللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا ويسمى الكوميس . وكية الفول في هذه الاشربة اقل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي مركبة كما أوضحناه من عنصر أساسي مسكر خاص واحد هو الفول ، او روح الخمر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخرى مختلفة كاللحاء والمواد الزلالية والسكرية والعنصرية والملونة والحوامض والأملاح والارواح العطرية . وهذه كلها معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات . وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والرمان والورد وغيرها بكميات وكميات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحية او المسكرة لا تختلف عن سائر الاشربة المنعشة والمرطبة الا من جهة واحدة : هي وجود الفول فيها . فالخمر اذا جردناها من الفول تعود جلاباً لذة للشاربين ، والعرق اذا جردناه من الفول يصبح ماءً معطراً كماء الزهر وماء الورد لا يصدع ولا يسكر . فالفول والحسالة هذه هو العنصر الأساسي المقصود من الاشربة الروحية ، هو الجوهر الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتعز ، فهو منها بمثابة الروح من الجسد ، وكما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب

صفات نفوسها كذلك تقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص القول
التي فيها . اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واعضائه . ولعمري ان هذا
المطلب وعمر المسلك صعب المنال لما فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف شديد
في المذاهب . فمن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشى من شرابها واعشى سقيناه ثلاثاً فابصرا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة ادرنا عليه الكأس يوماً فعمرا
او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولو رسم الراقي حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم
ولو طرحوا في ظل حائط كرمها عيلاً وقد اشقى لفارقه السقم
ولو نضحوا منها على قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

ومن تردد قول الصفي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها وفي كأسها للمرء كسوة عار
فكم البست نفس الفتى بعد نورها مدارع فارفي مدار عقار

ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والعسل . ومنهم من صيها تزيافا
فيه شفاء الروح والجسد . ومنهم من ذهب الى انها نار تحرق الاجسام ولا تبقى على
الارواح . تهلك الحرث ولا تذر النسل . فليت شعري اي هذه الاقوال الصحيح . وايها
اهدى للحق ؟ ومن من هؤلاء الرجال المصيب ، ومن منهم المخطئ ؟ كلهم ايها السادة مصيب
على حد قول الشاعر :

رأيت بعينها ورأت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة وهواه : (وعين الرضا
عن كل عيب كليله) . وللمعتقدات والعادات تأثير عظيم في تكييف الافعال العقلية
وتوجيهها ، ولولا ذلك لما تبانت آراء الناس في المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من
حقيقة علمية كان العالم بامره يعتقد بعكسها ، حتى اذا ظهرت قاومها بالشدة والعنف ،
مدفوعاً بعامل الشعور البهيم الى ان خمدت سورة هذا الشعور الموروث وتغلبت قوة العقل
عليه فأخذ يؤمن بصحتها هازئاً بخطأه الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ،
تاريخ نشوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك

هذه الحقيقة الناصعة ، والدلالة على ان صوت المجمع ليس هو على الدوام صوت الحق ، وان الفرد يرى بعين العقل مالا يراه المجمع ببيله وعاطفته الغريزية وان النور ينبثق من الفرد فيهندي به الصالحون باديء بدء ، ثم ينتشر الى ان يعم المجمع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف العلمية والانتقالات الاجتماعية ، ومن يجمل ما لاقاه دعائها وهم على الحق والعالم على الباطل ، من ضروب الاضطهاد والهوان وانواع القتل والتعذيب ، وما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً ، والباطل جولة ثم تسمع . فاخذ الناس يدخون في دين الحق افواجا عالمهم ثم جاهلهم وصحيحهم ثم صريخهم ، مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التائبين ، وينعتونه بالنايعة الكبير والعالم الجليل ، هكذا كانت شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان شأنهم مع سقراط وغاليله ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على المسكرات .

الف الانسان الخمرة منذ آلاف السنين ، وعاقرها بعضهم حتى خامرت عقله ولبه وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم حياته ، فهي مأواه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارها اروج تجارة وصناعتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم العظمى من جعلها ثمرة حرثه وزرعه وقد عم الخطب بها حتى بات شربها مظهراً من مظاهر المدنية والحضارة وجفاؤها ضرباً من ضروب التوحش والغباء ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي واوائل العصر الحاضر حيث اخذ العلم يستقري خواص الغول في الجسم البشري ، وما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر للعلم بان العالم على باطل في معتقده في منافع الغول وحناته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وسببانه . فليت شعري هل من غرابة اذا انكر الناس — والناس من وصفت — دعوته وسفوها كلمته ، وصاح قوم انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام باعته وصناعه بفرون الكتب بالمال ليطفئوا نور العلم باقلامهم بتسويد وجوه الصحف ومحاتف الكتب باطراء منافع المسكرات ومضار تركها ولا مشجع لم سوى اعصاب الناس المتمسمة ، ولا دليل سوى الهوى ولا بملي سوى قوة الخيال ؟

ما في ذلك لعمر الحق غرابة ، فتلك تقرة طبيعية لم يخل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . واذا اخفنا الى هذه العوامل النفسية الحسنة ، العوامل

الاقتصادية والخسائر العظمى التي تنال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تقدر بالملايين من الليرات نتجلى لنا خطورة موقف العلم والعلماء اللاغوليين ، وهول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدفاع الهائل ، يتجلى لنا كيف يتغلب صوت الحق الضعيف على جلبة الباطل الهائلة ، يتجلى لنا كيف تنبعث شرارة الحق الضئيلة في ظلمات غابات الباطل المتكاثفة فتضيئها رويداً رويداً الى ان تصبح شعلة متأججة من نور ، دعا العلم العالم في اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فاستشاط العالم غضباً وحنقاً ، وما هي الا سنوات معدودات حتى دخل في دين العلم اصح الناس اجساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً وايماناً ، فغلا حريتهم هذه بايديهم وهي ما عبدوا ، وقضوا على نفوسهم بانفسهم وهي ما قدسوا ، ولا غرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالجاهل ، والصحيح فالمریض .

ومن العجب العجيب ان تقوم الحرب خسرواً في اوربا واميركا ، في بلاد المشروبات الروحية ومواطنها للقضاء على الغول وطرده وتطهير النفوس والاجسام من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريد الممقوت ابوابها كأنها استطابت هلاك الجسم فهي تريد ان تضيف اليه فساد النفس ، والنفس هي الاسم الباقي من ذلك الرسم العظيم القافي .
فيا ايها النفس الثملة ارجعي الى عقلك راضية قادمة ، واعلمي ان هذا الضيف الجديد اشد خطراً عليك من سائر العناصر الغريبة التي تبيت في ارضك ، والجراثيم القنالة التي تفنك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم موقوف ، واذا اردت شاهداً على صدق هذا القول ، فاستنظني العلم ، والعلم هو الحق فهو يشهد ويقول .

« كلمة العلوم الطبيعية والطبية الاخيرة في الغول »

صفاته — الغول جسم مائم لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار محرق قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنشائية المختمرة كعصير العنب والتفاح والكثيري والشمندر وقصب السكر والتمر وغيرها ، وكنقوع الشعير والحنطة والذرة والارز والبطاطا وغيرها . فان النشا يتحول فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمر في هذه الموائع تتحول الى محاليل غولية يختلف مقدار الغول فيها بين ستة الى عشرة في

المائة . ويستخرج هذا الغول منها بالنقطير بادوات خاصة منها الانبيق المعروف . وتختلف اسماءه قبل تفاوته حسب مصدره . فالمستخرج من خمر العنب يسمى عرقياً والمستخرج من قصب السكر يسمى روما وهلم جرا .

وللغول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من ام المحروقات ذات الحرارة الشديدة وهو يذيب كثيراً من الارواح والعناصر الدهنية ويستعمل لاستحضار كثير من الموائع المطربة كالقلونيا وغير ذلك .

« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من استعمله في ذلك التاريخ الطبيب رويوت تود سبغ شرابه المسمى باسمه . فعالج به ذات الرئة ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد سبغ جل الامراض ، ولا سيما الحميات العفوية ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى ان من الاطباء من كان يصفه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر الشديد : غير ان التجارب والملاحظات لم تلبث ان أظهرت مضار الغول للعيان ، فخذت هذه السورة العمياء واخذ الاطباء يقللون من وصف الغول في معالجتهم ، ويحددون استعماله ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله بتماماً .

تأثيره الفسيولوجي — اما درس تأثير الغول الفسيولوجي فيرد تاريخه الى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تخلل هذا الدرس صعوبات حمة ، منها ما هو ناشئ عن المعتقدات والآراء الخارجة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل من اختلاف طرق التجارب العلمية ونعده أنواع الاثرية الروحية وتنوع تراكيها . وما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول الفسيولوجي . مدة استعماله ، والسن ، والجنس ، والبنية ، والوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، والكليتين ، والجهاز العصبي . وذلك لان لكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكيف فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاذ بوشه (Pouchet) ان الكمية اللازمة لقتل الانسان الكهل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول البتة ، هي ستة غرامات غولاً لكل كيلو غرام من وزنه ، فالرجل الذي يوزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا

شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الغول الصرف اي تسعمائة غرام من العرقى او القونياق . وقد شاهد طفلاً عمره ستة أشهر أعطي شراباً فيه ملعقة قهوة من القونياق فمات في تسع ساعات . و يختلف تأثير الغول حسب ما يكون صرفاً او ممزوجاً وبنسبة تمديد هذا المزج .

هل الغول غذاء — ومن أهم المسائل التي تنازعت فيها آراء علماء الفسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الغول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كاللبن والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الغول يحترق في الجسم كسائر الأغذية . ومنهم من قال بانه يحتاج الجسم اجنيازاً دون ان يتحول فيه تحولاً يستحق الذكر ومن دعاة الفريق الاول ليبيج (Liebig) فهو يقول بان الغول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشوية . وهو بفضلها و بفضل المواد الزلالية ايضاً كاللحم والبيض لان الغرام منه ينشر سبع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الغرام من اللحم والسكر لا ينشر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرات . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الغول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية :
ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الغول في قوام غذاء الرجل الذي يشتغل يحدث نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام انواتر وبنديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أفكار العلم الحاضرة . وخلاصتها : « ان الغول يحترق في الجسم ، عدا قسم صغير يفرز بواسطة الكليتين والجلد والرئتين » . وبما ان قيمة الاغذية كانت تقدر في ذلك العهد ، اي قبل الحرب العامة بمقدار السعرات ، اي الحرارة التي تصدرها . استفاد باعة الغول وتجاره من نتائج تجارب انواتر وبنديك ، فاستثمروها لمصلحتهم واخذوا يطرون منافع الغول الغذائية بالنشرات والصحف اليومية ، تحت عنوان : (الغول غذاء) ولكن لم نلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها . فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يحدتها الغذاء هي عرض ، وليست هي الغاية . وان نظرية تنظيم الاغذية

بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها فاسدة ، وان قيمة الغذاء تقدر بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساغ لنا ان نستعمل بدل غول الخمر غول البطاطا . مثلاً الذي يستعمل للشغل لانه يحدث حرارة اكثر منه . هذا وقد صرح انواتر بنفسه وكلمته هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان الغول بعد غذاء فهو غذاء سيئ ، غذاء مكروه ، لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أم خاصة كان يتمتع بها الغول حتى اواخر الحرب العامة . ولنتظر الآت - في تأثيره في أجهزة الجسم البشري كل منها على حدة .

تأثير الغول في الجهاز الهضمي - عندما يشرب المرء جرعة خفيفة من الغول يشعر في ناحية معدته بحرارة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون سيئاً ، واذا تجرع الانسان الصحيح مقدار خمسة غرامات اي درهما ونصف درهم من الغول الممدد بالماء بنسبة ثلثيه فان هذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة . اما اذا أدمن الانسان الشرب ، فان كمية الافرازات المعدية تنقص و يقل فيها فعل الهضم وتصلب أنسجة المعدة وتنشأ عنها الالتهابات وسوء الهضم المزمن والتي الذي يشاهد غالباً عند السكيرين .

تأثيره في الدم - عندما تمتص المعدة الغول يدخل الدم فيجف ماءه ويخرب من كرياتته الحمراء ويزيد في عدد كرياتته البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليتحول الى حامض خلي وخلات الصودا فتتقص قلوية الدم وتوقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوراني - ان الجرعات المتوسطة من الغول تحدث بادي بدء زيادة في عدد ضربات القلب لا تلبث ان يعقبها تناقص . ويزداد الضغط الدموي في بادي الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة ، فان فعل الغول الفالج يظهر حينئذ جلياً وتتناقص ضعة ضربات القلب ويخف الضغط الدموي ويقع عدم الانتظام في الحركة القلبية . ويحدث إدمان الغول تصلباً في الشرايين الشريفة وفي الاوردة

ولاسيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصيدة في أوعية الدماغ تنشأ عنها جميعا امراض القلب واوجاع الساقين والفالج .

تأثيره في الجهاز التنفسي — ان الجرعة الخفيفة من الغول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، وكية امتصاص الاوكسجين ، ونبذ حامض الفحم ، ويعقب هذا التزايد نقص في هذه الافعال — ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطء في التنفس ويصير سطحيا وانقص المبادلات التنفسية فتتعرض الرئة للالتهابات كذات القصبات المزمنة وذات الرئة والفرغرينا والسل الرئوي . اما تأثير الغول في الحنجرة فانه يحدث فيها التهابا مزمنيا يولد خشونة في الصوت يعرف مدمنو السكر منها لاول وهلة .

تأثيره في الحرارة والمبادلات — يعتقد كثير من الناس ان الغول يزيد في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل يخالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة من الغول لا تحدث تبديلا في حرارة الجسم . اما الجرعات الكبيرة فقد سبق لنا القول بانها تحدث بطأ في ضربات القلب ، وهبوطا في ضغط الدم ، ونوقنا في المبادلات الدموية . فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم . قال الاستاذ بوشه : « تهبط الحرارة المركزية عند التمثلين الى درجة ٣٠ او ٢٦ وهو هبوط عظيم » . ولهذا يحظر الطب استعمال المشروبات الغولية في الاصفار الباردة لان الحرارة التي يشعر بها الشارب هي حرارة وهمية ، وضحايا القونيات في الاصفار الباردة عظيمة ومشهورة .

تأثيره في اعضاء النساجل — قال لانسرو (Lancereaux) ان ادمان الغول يحدث ضمور المبيض عند المرأة . وقال برنوله (Bertholet) شاهدة اثناء تشريح جثث مدمني السكر ضمورا وتصلبا في الخصى ولم أشاهد الحويينات المنوية في ست وثمانين من المئة من الحوادث التي شرحتها ، وهذا يوضح لنا اسباب العقم والعنة المشهودين عند كثير من مدمني الغول .

تأثيره في الكبد — ان اتسم المزمّن بالغول يحدث تخريبا عظيما في خلايا الكبد والنسيج الخلالي ، وينشأ عن هذا التخریب امراض كثيرة ، منها اليرقان الخفيف ومنها تورم الكبد وتشحمه وتضخمه وضموره وتشحمه والاستسقاء وتزيف الدم المعوي والبواسير .

افراز الغول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) وافرها مجمع العلوم اثبتت ان الغول يفرز بواسطة البلغم واللحاب وعصارة (البنكرآس) والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند الموضع والمبيض والبروستات والمثانة ، فان الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حويصلات منوية ثلثة يأتي ولده من تأثيرها معرضاً لداء الصرع والالتهابات الدماغية . وان المرأة التي تتجرع قبل الولادة بساعة مقداراً من القونياق يشاهد الغول سبغ دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره وتعرضه لامراض عصبية وخيمة . وقد اهتمت الامم المتقدمة اهتماماً عظيماً لهذه النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير الغول في الجهاز العصبي — ان للغول ولوعاً خاصاً بالاعصاب فهو يؤثر فيها مباشرة فينبهها باديء بدء ثم يحدث فيها خدرآ فاسترخاء فالنالج حسب قلة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً هان ماير : ان للغول تأثيراً كبيراً بآ في الاعصاب ، فهو يذيب شعورها ويحدث انقباضاً في زوائد العصبيات فيضعف فعلها ثم يبطله ، فالغول والحالة هذه مخدر غير منبه كما يظن ، وما النشاط الموقوف الذي يشعر به التمل باديء بدء الافعل منعكس عن اعضاء الحس ولا سيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية المتوسطة من الغول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد برهة قليلة على زيادة العمل ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى لتلاشى وبعقها نقص في القوة العضلية ، وقد ابدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها هذه الحقيقة العلمية . والغول مبطل للحس خلافاً لما يدعيه شاربوه من ان احساسهم يزداد بشربه ، اما سبب ادعائهم هذا فناتبي عن نقص شعورهم بفعل الغول المخدر ، فالتمل لا يحس بالالم ، وقد استخدم الجراحون هذه الخاصية قديماً لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة .

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فاهمها : الرعشة والالام العصبية وذات الاعصاب المجتمعة ووهن الاعصاب والفالج . واذا استطلعنا احوال عشرة اشخاص من معاقري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون وهنا في عضلاتهم وهبوطاً في

قوام الجسمية والعقلية وثقلاً في رؤوسهم وتغيراً في طباعهم اهمه الحدة وسرعة الفجر ،
واذا قلت لم ان هذه الاعراض ناشئة عن شرب المسكر يجيبونك سلباً بان هذه الاحوال
تزول بتناً بشرب الفول ، وما ذلك الا لان الفول مبطل للحس ، وهل من شعور لمن
بطل حسه .

قال لگران (Legrain) في كتاب التسمات من مجموعة الامراض الباطنة والمداواة
المطبوع سنة ١٩٢٢ « ان اصغر كمية من الفول تحدث اضطراباً في الافعال الدماغية
الطبيعية ، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك حواسنا لدقته فهو يبدو لنا
جلباً عندما تزداد كمية الفول ، ويؤول غواة الفول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً
مخالفاً للحقائق العلمية مستندين الى الحس الذاتي التسم وهل للر يرض من شهادة تقبل مغضين
الطرف عن تجارب العلم ومشاهداته ، وام هذه الدعايات المخالفة للعلم هي ان الفول منبه
ومنشط ، على حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم . اما النشاط الذي يشعر به السكرون
فما هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات النفسية الهيكية ، فهو خطأ حسي متولد
من تخدير قوة المراقبة النفسية » ومن النوادر التي تروى عن ابي نواس وهي تدل دلالة
واضحة على نقص ملكة الشعور الباطن وشلها اثناء السكر ماروي من انه شوهد يوماً
يضحك من رجل سكران اتبه في الطريق ويسخر به ، فقيل له لم تهزأ به وانت في كل
يوم مثله : فاجاب اني والله لم اشاهد في حياتي سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر
وأخر من يصحى .

تأثيره في الاخلاق — اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد الطباع والفرائز
وضعف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعتري المرء الضجر والملل ويصبح شر من الخلق ، لا ثبات
له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم بواجباته الزوجية ويهمل مصالح بنيه ،
وينحصر همه في الحصول على ما يتطلبه من الفول بدافع الاحتياج الجسدي ، وكثيراً
ما يقوده هذا الاحتياج الى بذل ماء وجهه ومعاشره الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على
العرض وارتكاب الجرائم البذيئة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية رويداً رويداً ،
ونعتر به الهذيان العارضة والادهام ، والصرع والعنة الى غير ذلك من انواع الجنون ،

ونظارة خفيفة في احصاءات مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين واحصاءات
 السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين جدران هذه المصانع العامة تكفي لتأييد هذه
 الحقائق العلمية الراهنة . فان القسم الاوفر من الجناة والمجانين والمرضى بالآفات العصبية
 والقلبية والاستسقاء هم ضحايا الغول ، ضحايا المشروبات الروحية ، قال غلادستون :
 وحسي بقول هذا السياسي الانكليزي الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول
 تربو كثيراً على مضار الطاعون والحرب معاً » . « ولا غرو فقد قال لجران (Legrain)
 فانا اذا جمعنا ما تنفقه الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع
 الغول كالغيب والحبوب والثمار السكرية وما تشكده من النفقات على دور المجانين وعلى
 حياة النفوس التي تقصفها المنون قبل ابتاعها ، وعلى العاهات الوراثة ، وعلى المتشردين
 وعلى الجناة ، الذين كان الغول علة آثامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً يربو على المليار
 من الفرنكات ، تقف امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ،
 مما اهاب بالحكومات والعلماء ، والقسم المتعلم من الامم ، ودفعهم الى أن ينادوا بمل افواههم
 العدو الداخلي هو الغول . »

تلك كلتي ايها السادة في تأثير الغول في جسم الفرد . اما مضاره في نفسه وبه
 الامرة وفي الامة فهي ادهى وانكى .
 (للبحث صلة)

المتنبي

- ١ -

اول عهدي به - دراستنا في الماضي والحاضر
كتب التراجم

أرجع بالخاطر الى الماضي ، وبينني وبين هذا الماضي سبع عشرة سنة ، وما هي هذه
البرهة قياساً بالزمان الذي لا نهتدي الى اوائله ، ولا نتصل باواخره ، ما هو العمر كله
سواء اطال هذا العمر أم قصر ، وسواء ايسمت جنباته أم عبت ، ما هو عمر الانسان
الى جنب أعمار العوالم في الطبيعة ، والى جنب أعمار طبقات الارض . ما لنا ولهذا
التعجب فاننا اذا أمعنا في اشياء هذه المسائل غرقنا في خضم الزمان ، وتبين لنا اننا لم نك
شيثاً في العالم ، أرجع بالخاطر الى الماضي ، وقد كان الشباب مثيد الغصن ، أملد العود ،
وكانت البال هادئاً والفكر ساكناً لم يشغله شيء من شواغل الحياة وما اكثر شواغلها
الهم الا انصرافه الى الادب وتمتعه بآثاره الخالدة ولكن هل كنا نقف هذه الآثار ؟
هل كانوا يفهمونها ايهاا ؟ هل كان يحسن فهمنا وتفهمهم ؟ كنت ورفيق لي اذا اغتننا
خفة من زحمة مدرستنا نتردد الى مكتبة مطمئنة مستقرة لبس فيها شيء من العظمة وانما
عظمتها في حقارة شأنها كنا ننتاب هذه المكتبة في حي رفيق اي في حي النصارى فما
كنا نجالس من الشعراء الا شيوخنا ابا الطيب ولا كنا نجادث من الكتاب الا أستاذنا
عبد الله بن المقفع .

اني لا ازال اذكر الايات التي كنا نرددها ونستعظمها ونحس لا نعرف السر في
عظمتها ، ومن هذه الايات ، وهي كريمة علي ، لانها رفيقة الصبوة وشقيقة الروح :
وانا لنلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبوري
عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

يهون علينا ان تصاب جسمنا وتسلم أعراض لنا وعقول
ومنها : واحتمال الاذى ورؤية جانيه غذاء تقوى به الاجسام
ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت ايلام
ومنها في استعطاف سيف الدولة :

ان كان سركم ما قال حاسدا فما لجرح اذا ارضاكم الم
ومنها في رثاء جدته :

اتاهما كتابي بعد بأس ونزعة فمات سرور أبي فمت بها غما
حرام على قلبي السرور فانتني اعدا الذي ماتت به بعدها مما

نعم هذه طائفة من الشعر الذي كنا نتحدث به انا ورفيقي من دون ان نخوض في شيء من الكلام على بواطن هذا الشعر او نتصدى لكشف الغطاء عن اسراره وانما كان يسحرنا بظاهره فيشغلنا جمال هذا الظاهر عن النظر في جمال الباطن فكنا نجعل المتنبي ونجمل طبيعة عبقريته وانما كنا نتغنى بشعره حتى اقتربنا فطرحني النوى مطارحها واذا انا في شارع من شوارع الاسكندرية واذا انا في دكان وراق من الوراقين فأخذت عيني ديوان ابي الطيب الذي شرحه الشيخ اليازجي فاشتريت هذا الديوان وحفظت منه ما تيسر لي حفظه وقد ذهب المحفوظ الا اقله وانا لم ازدد معرفة بالمتنبي وبحقيقة حاله وشعره وانما ازددت عبادة له .

هذا اول عهدي بشيخنا ابي الطيب وما قدمت هذا الكلام عبثا ، ولا رجعت الى الماضي عرضا ، فلم انعود ان اقلق غيري واضجره بكلامي على نفسي وانما المرء لا يكون امينا كل الامين الا اذا جرى على لسانه ما تصوره فكره هذا ما قاله انا تول فرانس ، لم اعرض الماضي عليكم عبثا وانما اردت ان اصف لكم طورا من اطوارنا في فهم الادب ، اردت ان اصور لكم كيف كانت دراستنا للادب من سبع عشرة سنة ، كنا لا ندرى بشيء من جملة حياة الشاعر وجملة اخلاقه وطبائعه وجملة عبقريته ، حسينا ان نستظهر بعض شعاعه ونروي هذا المستظهر في مجالسنا حتى يطبعنا الادب بطوابعه ويصبنا في قوالبه ، اما اليوم فلا يكفيننا ان نملا اذماننا ببعض ايات نجمع بها في محافل الادب ، تلك حالة

قد خلت ، ليس صاحبها في شيء من الأدب ، قرأنا المتنبي فلم نعرف عنه كل شيء تهمنا معرفته ، لم نعرف أين ولد وأين نشأ وكيف حصل وقرأ ، وما هي أخباره من مبادئها إلى خواتيمها ، كيف جال في الأقطار وكيف اتصل بسيف الدولة ثم انفصل عنه ، وكيف قصد كافوراً ثم تركه ، وكيف عاد إلى بغداد ثم خرج منها ، وكيف رحل إلى بلاد فارس ثم غادرها فقتل في طريقه إلى وطنه الكوفة ، قرأنا المتنبي فلم نخط بشيء من سلسلة أخباره ، فلم يتبين لنا طراز حياة المتنبي وما قصدنا أن نعرف أنه اتصل بفلان أو فلان من الوزراء والأمراء ، وإنما إذا عرفنا جملة أخباره استخلصنا منها نمط حياته فتبين لنا أن هذه الحياة كانت جياشة بالحوادث والفتن فياضة بالقلق والاضطراب يكاد صاحبها لم يعرف الهدوء في يوم من أيامه ، ولم يذق الطمأنينة في ساعة من ساعاته ، اعصاب هائجة ماثجة إذا حركوا منها طرفاً انتفضت ولا انتفاض البرق فوبل للذي مسها بسوء .

هكذا قرأنا المتنبي ، أما اليوم فاني أحاول أن أدرسه وأياكم على صورة أتم ، ووجه أكمل ، أحاول اليوم أن أقرأ كل ما اهتدي إليه مما يتعلق بحياة المتنبي ، أحاول أن أقرأ شعره وأن أدون في دفترتي ما توحى إلي هذه القراءة ، وأن أحدثكم في كل أسبوع بما بقي في نفسي من آثارها على مختلف صفات هذه الآثار ، وعلى ما به لا بد أننا من أن ننقل إلى وطن شيخنا أبي الطيب ونراقبه في أطوار حياته بمجامعها ونصحبه في أسفاره كلها ، في جولاته في الشام وفي اتصاله بسيف الدولة ، وفي دخوله مصر وخروجه منها ، وفي رجوعه إلى العراق وفي شخوصه من العراق إلى فارس وفي مفارقتها بلاد فارس وعودته إلى وطنه وفي مقتله على طريقه إلى الكوفة ، لا بد لنا من أن نصحب شيخنا أبا الطيب من مبدأ منشأه إلى خاتمة حياته وأن نمشي بجميع ما حدث له من الحوادث في مجاله كلها وما أكثر هذه الحوادث ، وأن نستنبط منها طراز حياته وما ملئت به هذه الحياة من قلق واضطراب ، وما انقلبت فيه من علو وهبوط لا بد لنا بعد الوقوف على دقائق هذه الحياة من معرفة مزاجه وخلقه مستندين في هذه المعرفة إلى آثار عبقرية نفسها لا بد لنا من النظر في آثار عصره في شعره وآثار شعره في عصره ، ما الذي أوحاه إليه عصره وما الذي أوحاه إلى عصره لا بد لنا من النظر في عبقرية وفي خصائصها راجعين في الإحاطة بهذه الخصائص إلى مصادر شعره

وجملة القول : لا بد لنا من ان نميش مع المتنبي حتى نعرف من هو المتنبي ، وقد يجوز أن يعرض لي في أثناء هذا كله فكر عام يحيره فكر خاص ، لان المرء اذا تصور موضوعاً وهياً له عناصره ثم اخذ قلمه ليكتب هجم على ذهنه شيء ما كانت بتصوره ، كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف فقيلاً له في ذلك فقال تزدحم الافكار في صدري فيقف القلم تحيره .

اول ما يهنا علمه الاحاطة بحياة المتنبي من اولها الى آخرها ، والوقوف على اخباره وحوادثه من دون ان تكون هذه الاخبار مقتضبة مبثورة فاذا وقع الاقتضاب في الاخبار فائتينا صورة صاحبها المتكامله ، فاذا كنا نبحث عن حياة المتنبي وتعرضنا في خلال بحثنا للكلام على شعره من دون ان يكون لهذا الكلام ارتباط بحياة صاحبه شامت صورة هذه الحياة وقبحت فالاجدر بنا ان ترسل اخبار الحياة دفعة واحدة ، وقد عني الافرنجة بهذا النمط من الترتيب العناية كلها ، اذكر اني قرأت كتاباً عمله « اناطول فرانس » سماه العبقريّة اللاتينية ، وصف فيه طائفة من كبار شعراء فرانسة وكتابتها من جملة هؤلاء الشعراء (راسين) وكاد راسين يكون اكبر شعراء فرانسة عقده اناطول فصلاً في كتابه يشتمل على خمس وثلاثين صفحة لم يذكر فيها الا حياة راسين من صدورهما الى اعجازها وقليلاً ما كان يتعرض للكلام على عبقريته في تضاعيف كلامه على حياته الا ما اقتضاه المقام ، من هذا يتبين لكم مبلغ اخبار الكاتب او الشاعر في الادب الحديث لان هذه الاخبار تعلقاً بروح الشاعر و باخلاقه وبطبائعه وبعقريته نفسها .

رجعت الى المصادر التي استطيع ان امتدي بها الى معرفة حياة المتنبي من جملة هذه المصادر : ابن خلكان ، طبقات الادباء ، شجرة الدر ، الصبح المنبي . تصفحت كتاب ابن خلكان فبدلاً من ان يبدأ بالكلام على مولد المتنبي ثم على اهله ثم على تحصيله ثم على اخباره ثم على شعره ، بدأ بالكلام على تحصيله ثم انتقل الى الكلام على شعره ونثره ثم ذكر نظر الناس فيه ثم رجع الى اخباره ثم بين مولده ثم ذكر نسبه حتى ركب البحث بعضه بعضاً دون شيء من الترتيب وكذلك صاحب الصبح المنبي فانه عوضاً عن ان يروي لنا اخبار المتنبي دفعة واحدة رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا اخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى اخباره عند ابن العميد ، بحيث قضيت ثلاث ساعات ونصف ساعة في التدقيق والتحصيل حتى اجمع اخبار ابى الطيب كلها ، واصل بعضها

ببعض من بده حياته الى يوم مقتله ، فلو ذكر صاحب الصبح المنبي الاخبار دفعة واحدة من دون ان يتخللها شيء من نقد الشعر او غيره مما لا محل له في فصل الاخبار لكنني القاري كثيراً من العناء . ادبنا في القديم لا يزال فوضى بنقصه كثير من الترتيب ، وهذه حقيقة واضحة حتى ان هذه الفوضى قد حملت بعض الناس على ان يعتقدوا اننا لا ادب لنا في القديم ، او ان هذا الادب لا قيمة له . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد الا لقلّة الترتيب في ادبنا فلو روى المؤلفون اخبار شاعر من الشعراء على حدة حتى نستخلص من هذه الاخبار طراز حياته باجمعه . ولو نقدوا شعر هذا الشاعر على حدة حتى نستنبط من هذا النقد رأيهم في الشعر دون ان يتخلل الاخبار شيء من النقد . او ان يتخلل النقد شيء من الاخبار ، الا لا يتعلق بالنقد . لو فعل المؤلفون هذا كله لكان ادبنا في شكل اتم ، فاذا لما ادبنا في القديم فوضى فما في مقالنا شيء من المبالغة . وما اظن ان ادبنا - في الحديث فحسن ترتيباً . ومن المؤلم ان يدعوا استاذ رومي في المجمع العلمي في لبنان فرد وهو الاستاذ اغاطيوس كرا تشقوفسكي ادباء العرب الى تنظيم ادبهم في هذا العصر قبل ان يفكر احد امن هؤلاء الادباء في التنظيم ، فقد كتب هذا الاستاذ مقالة بالعربية سماها : درس الاداب العربية الحديثة - مناهجه ومقاصده في الحاضر - نظر واقتراح - وارسل مقالته الى مجلة المجمع العلمي في دمشق ، وستظهر هذه المقالة قريباً في مجلة المجمع . وقد قرأتها كلها فان صاحبها دلنا على ما يجب علينا ان نتهجه من المناهج في ترتيب ادبنا الحديث واقترح ان يكون دخول نابوليون مصر فاتحة عصر هذا الادب .

دمشق : في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠



المحاضرة العاشرة

وطن المتني

خذ العذراء

- ٢ -

« موقع الكوفة - اوليها - وصفها »

انتقل بكم في غسق ليلتنا هذه من البلد الذي رمى ظله عليه جبار بني أمية الى البلد
الذي أوزفت ظلالة فيه جبار بني العباس ، انتقل بكم من دمشق الى بغداد :
بحضرتك يا بغداد ودي على الثرى واني ان أنحس ودادي أصدق
فما يردى لولا الفرات بمورد لظآن ان يشرب من الماء يشرق
ولا دجلة لولا مناهل جلي بمجرى يروود كالرحيق مضي
انتقل بكم من شواطيء يردى الذي تكاد نسمع فجواه وراه قاعة مدرستنا الى شواطيء
الرافدين : دجلة والفرات ، تصوروا الام التي طوتها هذه الانهر الثلاثة ، تصوروا
المعربات التي تبت على ضفاف هذا الماء السادر في غلوائه ، الجامح في خيلائه ، الذي
ما انفك يسخر في ما ضيه وحاضره وآبى من كل جبار عبيد . مالا ولهذه الذكريات
الاليمة ، استغفر الله . وهل الام الا سلاسل ذكريات . هل كان الحاضر الا ابن الماضي
هل كان الآتي الا نتيجة الحاضر ؟ . انتقل بكم من منازل العصابة الذين نادهم حسان
في الزمان الاول يخلق ، من منازل ابناء جفنة على يردى الى منازل النعمان على الفرات
من منزهات القوطة جنة الدنيا الى منزهات الخورنق والسدير .
اني لا يجوز هذه المواضع كلها دون ان اقف بكم على موضع منها ما خلا ، وضعا طلع
على الدنيا والناس من عشرة قرون ونيف يرجل ملا الدنيا وشغل الناس ، وفيه بنا ان
تلق شيخنا ابا الطيب في ضيافته ونبعثه من مرقد من غير ان نطوف بالوطن الذي انبت
امثال ابي الطيب ، ولا مثيل له ، ونعرف شيئا من خصائص هذا الوطن ، والمرء ابن
ارضه وسمائه ومائه وهوائه يأخذ من تربته ويسقيها ونجاحيه ويناجيها بؤثر فيه كل ناحية

من نوحى هذه التربة فلا يتخلص من عوامل طبيعتها ولا ينسلخ من عوامل السياسة والاجتماع والتاريخ في آفاقها ، نلى ان بعضهم لم يجعل للبيئة المقام الاول سيغ نشوء المبقرات ، قال الاستاذ برونثير :

« لا ننسوا ان المرء وان كانت بيئته تؤثر فيه فهو يستطيع ان يتخلص من آثارها وانه يستطيع ان يمرتقها في مصالحه وقد أجمع علماء الطبيعة على هذا الامر ، لاشك في انهم لا ينكرون آثار البيئة ولكنهم بعيدون عن ان يجعلوها حتى سيغ علم الحيوان المحل الذي جعله لها (نين) في مذهبه » .

وسواء اترك الكوفة في شعر ابي الطيب أثراً من آثارها ام لم تترك : وسواء اكلن هذا الاثر غامضاً ام كان واضحاً لا بد لنا من السياحة في الكوفة .

اين هو هذا الوطن على التحقيق ، نقرأ ان المثني ولد في الكوفة في محلة يقال لها كنده ، ولكننا قليلاً ملتهم بمعرفة موقع الكوفة قليلاً حانبالي بمعرفة طبيعتها ولا نسال هل تغنى المثني بوطنه ، هل عرق وطنه . وحسبنا ان نعلم ان الكوفة مدينة من مدن العراق . قال ياقوت في معجمه : الكوفة بالفهم المصير المشهور بارض بابل من سواد العراق . لاشك في ان هذا التعريف العام لا يزال صحيحاً ، فهو لم يزدنا علماً بموقع الكوفة ، فلم يبين ياقوت اين الكوفة من بغداد واين هي من دجلة لوالفرات حتى انه لورد ابياتاً في هجاء اهل الكوفة من جعلتها بيت من الشعر اتحاشى عن ذكره في مثل هذا المقام ، يدل هذا البيت على ان الكوفة قريبة من دجلة وهذا خطأ لم ينبه عليه ياقوت .

قال صاحب كتاب بلاد العرب الامتاذ (دي فرجر) معمر عمر البصرة على خليج فارمن ، ومعمر الكوفة على بحيرة الرهيمية . فأين الرهيمية ؟ يقول لنا الفيروزآبادي في قاموسه المحيط : ورهيمية بكهينة عين بين الشمام والكوفة . وهذا للتعريف لا يقل غموضاً عن تعريف ياقوت للكوفة . نوردت الرهيمية في شعر المثني معرفة بال . لما خرج ابي الطيب من مصر ورجع الى الكوفة وصف منزل طريقه فقال في جملة ما قال :

فيا لك ليلاً على اعكش احم البلاد خفي للصوى
وردنا الرهيمية في جوزه وباليه اكثر مما خفي
فلا انخسا ركونا الزماح بين حجارعتنا وبالطلى

من هنا يستدل على ان الكوفة واقعة على الرهبة او قرية منها لانها آخر ما ذكر المتنبي في قصيدته من المواضع ، وقد ذكر عشرين موضعاً فبعد ان ورد الرهبة قال : ركزنا الرماح اي بلغنا الى الكوفة .

فالكوفة على التحقيق واقعة على الجانب الجنوبي من بغداد ، في الجانب الغربي من الفرات ، وبينها وبين بغداد مائة واربعون كيلومتراً وصفها عراقي لي فقال : فيها بساتين ولا تزال آثار مسجدها القديم قائمة .

ولئن طولت الكلام على موقع الكوفة فقد تعدت هذا التطويل لتعرفوا قلة التوضيح وقلة التحقيق في كثير من كتبنا .

ما معنى الكوفة . ويسمى قوم خذ المذراء وصمما عبدة بن الطيب : كوفة الجند فقال :

ان التي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند قد غالت بها غول

قال ياقوت في معجمه :

« قال ابو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتها ، اخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم نكوف الرمل اذا ركب بعضه بعضاً ، ويقال : اخذت الكوفة من الكوفان . ثم في كوفان اي في بلاد وشر ، وقيل : سميت كوفة لانها قطعة من البلاد . من قول العرب قد اعطيت فلان كيفة اي قطعة ، ويقال : كفتا كيف كيفة اذا قطعت فالكوفة قطعة من هذا ، انقلبت الياء فيها واواً لسكونها وانضمام ما قبلها . وقال فطرب : يقال القوم سفي كوفان اي في امر يجمعهم ، قال ابو القاسم : قد ذهب جماعة الى انها سميت كوفة بموضعها من الارض وذلك ان كل رملة يخالطها حصاء تسمى كوفة ، وقال آخرون : سميت كوفة لان جبل سائينما يحيط بها كالكاف عليها . وقال ابن الكلبي : سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان ، وعليه اختطت مهرة موضعها . وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به . فهذا في اشتقاقها كاف . »

نعم هذا في اشتقاقها كاف . وهذا اكثر من الكافي ، ثمانية اسباب في تسمية بلد ، يحار المرء في معرفة الاصح منها ، فيخرج من حيرته هادي البال ، مطمئن الفكر بقوله : والله اعلم .

مالنا ولهذه القوضى ، فلننظر الى اولية الكوفة في الاسلام ، فلنرجع الى أوائل الفتح الاسلامي ، فلنرجع الى ايام عمر بن الخطاب دون ان نتجاوز هذا الزمن مخافة ان نصيب في مجاهل المصور .

بنيت الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب على مقربة من أطلال الحيرة ، منازل المناذرة والاكامرة قبل الاسلام . قال قوم : معثرت الكوفة في السنة التي معثرت فيها البصرة وهي سنة ١٢ ، وقال آخرون : معثرت الكوفة بعد البصرة بسنتين ، وقالوا بسنة . والسبب في بنائها ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت تقب عليه وفود العرب بعد الفتوح والوانهم شاحبة ، وسخفاتهم متغيرة ، فكتب الى سعد بن ابي وقاص : ان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما اصلح الشاة والبعر ، فلا تجعل بيني وبينهم بحراً . عليك بالريف ، فوق اختيار سعد على ارض يقال لها قبل الاسلام سورستان فبنى فيها الكوفة ، وكان اول ما خط فيها المسجد ودار الامارة وقد نزل الكوفة في أوائل الفتح الاسلامي جماعة من تزار واهل اليمن ، اما اهل اليمن فكانت خططهم في الجانب الشرقي من البلد وهو خير الجانبين ، واما تزار فقد كانت خططهم في الجانب الغربي من وراء الغابات ، اني الفتمكم من اليوم الى منازل اهل اليمن في الكوفة فسير بكم ان المثني ينسب الى حي يمان فكان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول امرها في الاسلام احبوا ان يسموا محلتهم فيها كنده احياء لذكر كنده ابي حي من اليمن ، والمثني ولد في هذه المحلة حتي قال قوم بدي الشعر بكنده ، بعنوان امراً القيس ، وختم بكنده بعنوان ابا الطيب .

هذا موقع الكوفة وهذه اوليتها ، افلا يلحق بنا ان نسمع وصفها ، ونعرف طبيعتها والشاعر ارتباط بطبيعة وطنه ، وصف الكوفة محمد بن عمير العطاردي لعبد الملك بن مروان فقال : الكوفة سفلت عن الشام ووبائها وارثفت عن البصرة وحرها فهي بربة مربعة اذا اتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رخص الكافور واذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد وورده ياسمينه وارتفجه ، ماؤنا عذب وعيشنا خصب .

ووصفها الحجاج فقال : واما الكوفة فبكر عاطل عنطاء لاحلي لها ولا زيتة .

وكانت علي اذا اشرف على الكوفة يقول : يا حبذا مقالنا بالكوفة — ارض سواء
سهلة معروفة — تعرفنا جمالها العلوفة ^(١) .

والظاهر ان الكوفة صبغت في بدء امرها بصبغة دينية فكان سلمان الفارسي يقول :
اهل الكوفة اهل الله ، وهي قبة الاسلام يحن اليها كل مؤمن ، وكان علي يقول : الكوفة
كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينصرن الله
باهلها في شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز .

وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن اهل مكة وخذوا القراءة عن اهل
المدينة وخذوا الحلال والحرام عن اهل الكوفة .

هذه صورة الكوفة التي عرضوها علينا ، ولكنها سرعان ما عركت بالنوازل وركبت
بالزلازل كما قال علي ، ولقد ائبى المثنى امه الكوفة فما ظلم فما كان الا ابن النوازل ولا
كان الا صنو الزلازل ، مارسته ومارسها وطاعنته وطاعنها فما هو ملأها ولا هي ملأته .

نعم هذا هو وصف الكوفة على قدر ما نيسر ، ولقد نشأ في الكوفة من الشعراء مطيع
ابن اياس وحامد عجرد وابو دلامة ودعبل الخزاعي وابو العتاهية وغيرهم حتى قال بعضهم :
الشعر ميراث في الكوفة ، ولما استنفر علي اهل الكوفة لقتال اهل الشام ولم ينفروا معه
خطب فيهم فقال : اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزين تضربون الامثال وتناشدون
الاشعار ، تربت ايديكم وقد نسيت الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها
وتشغلتموها بالباطيل والاضاليل » فالظاهر ان الشعر كان يجد في خد المنذر تربة
صالحة وهواء صالحاً حتى زعم حماد ان النعمان بن المنذر امر قنصخت له اشعار العرب في
الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض بالكوفة فلما وثب المختار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة
سنة ٦٦ في سلطان ابن الزبير قيل له : انت تحت القصر كنزاً فاحتفزه فأخرج تلك
الاشعار قال : فمن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة .

وفي الكوفة نشأ اكابر النخاة معاذ الهراء والكسائي والفراء وابن السكيت فكانت
الشدوذ من طبع الكوفيين .

(١) هكذا ورد النصير في تعرفنا والمقام يقتضي وجوهه الى الجميل .

وفي الكوفة نشأ اكابر علماء اللغة والادب كحماد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن قتيبة وفيها نشأ كثير من الحفاظ .

من كل ما تقدم يتبين لكم ان الكوفة مدينة الشعر ومدينة النحر والشذوذ ومدينة اللغة ومدينة الدين . فقد ظهر فيها شيء من هذا كله وظهر على شيخنا ابي الطيب شيء من هذه الآثار باجمعها . فالشعر من طبع المتنبي والشذوذ من ميجه واللغة مختصرة فيه الا الدين فاني لا اجد في شعره أبيات قلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيعته الحرب بين الروم والمسلمين .

ولست أعني بهذا ان الكوفة هي التي خلقت الشعر في طبع المتنبي او طبيعته على الشذوذ ولو كان الامر كذلك لوجب ان يكون شعراء الكوفة كلهم مثل المتنبي وانما المتنبي مطبوع على الشعر ومطبوع على الشذوذ . واذا كان للبيئة اثر في المرء فقد يجوز ان يكون للكوفة بعض الاثر في نمو هذا الطبع وليس في هذا شيء من المبالغة على ان هذا المقام انما هو مقام الكلام على وصف الكوفة ووطن ابي الطيب لا غير ، فلا أخرج عن هذا الكلام .

هذا آخر ما أحببت ان اذكره لكم مما يتعلق بالكوفة ، ولقد وددت لو ان غلد العذراء اثرأ في شعر المتنبي أبلغ من الاثر الذي وجدته فليتنى لم أعرف الكوفة الا من شعر ابي الطيب . واذا الشاعر لم يتغن بوطنه فمن الذي يتغنى به ؟ ان النفوس لتحرر كما محبة الألوان والأشكال اي أشكال هذا الوطن الكريم والوانه البراقة المضاءة فني استطعنا ان نتغنى بجمالنا ولوديننا وبمروجنا وسهولنا ومنى استطعنا ان نتغنى بهذا النسيم العليل الذي نشقه اباؤنا وأجدادنا ، وبهذا الماء العذب الذي وردوا عليه وصدروا عنه وبهذه الغوطة الغناء بحلى الطبيعة ، ومغنى الانس عرفنا حينئذ قيمة الوطنية القوية الهادئة التي لا تقوى على قتلها العصور والأحقاب فما تكرر عليها الايام الا ازدادت رسوخاً في القلوب وتمكناً من الصدور .

ان شيخنا ابا الطيب لم يبر وطنه الميرة التي نريدها في هذا العصر فكان فكرة الوطن حديثة ، ولكنها غير حديثة الا ان شعراءنا لم يعالجوها في القديم معالجتنا لها في هذه الايام . لم يترك المتنبي في شعره اثرأ للكوفة : ولكنه تغنى ببعض منازل قريبة من وطنه

فتارة كنت أجد شديداً الحنين الى كندة محلته بالكوفة حتى جعل هذه المحلة بمنزلة والدته فقال لعل بن ابراهيم التنوخي :

امنسي السكون وحضرمونا ووالدتي وكندة والسيما
وتارة كنت اجد لا يوحشه وطنه اذا شطت به النوى فهو لافاق يضرب في البلاد مكتسباً فقد قال
وما بلد الانسان غير المواقى ولا اهل الا دنون غير الا صادق
نم مرة كان يستوحش فاشتاق الى وطنه والى اهل من مصر :
بما التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أحن الى اهلي واهوى لقاءهم واين من المشتاق عنقاء مغرب
ومرة كان يستغني عن هذا الوطن فيطيب له المقام بكل ارض بأمل فيها ضيعة
او ولاية ، فقد قال لكافور في مصر :
اذا لم نط بي ضيعة او ولاية فخودك يكسوفي وشغلك يسلب
وقال له :

وكل امري بولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
والخلاصة لم يتغن ابوالطيب بالتربة التي أنبثته وبالهواء الذي شمه وبالظلال التي
أظلمه واذا حن في بعض الأحيان الى شيء من هذا كله وذكر بعض أماكن قريبة
من وطنه اختصر الكلام ولم يطوله :

وليلاً توسدنا الثوبة تحتها كأن ثراها عنبر في المرافق
بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبته للمخائق
والثوبة موضع على مقربة من الكوفة .
وكم دون الثوبة من حزين يقول له قدومي : ذا بذاك
على ان المثني كان جواب آفاق قد دحا الارض فلم تشتد الفتة لوطنه .
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كأن بني الاسكندر السد ن عزمي
فكان اذا نزل منزلاً وكزمه اهل هذا المنزل و يجلوه . استطابه فلم يحن الى ربه .
دمشق : في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

نسب المتنبي

- ٣ -

اتصاله بقبائل اليمن - تأثير الدم - نخره بقومه -

فهم الناس لشعره - اهله

استوقفنكم وانا اطوف بكم في « خد العذراء » على الجانب الشرقي من هذا البلد الطيب ، مهبط الشعر والعبقريّة ، وذكرت لكم ان اهل اليمن الذين تزلوا الكوفة في اول تمصيرها كانت خططهم ومنازلهم في هذا الجانب ، وهو غير الجانبين ، والمتنبي ولد في كندة وهي محلة في الكوفة ، فكان اليمانيون الذين استوطنوا الكوفة ، احبوا ان يجهبوا فيها اسماء بطونهم ، فسموا محلة كندة ، وكندة ابو حي من اليمن ، وسموا محلة ثانية السبيع ، والسبيع بن سبع ابو بطن من همدان ، وحمدان قبيلة باليمن ، وقد جاء ذكر المحلتين في شعر ابي الطيب ، ورويت لكم البيت الذي تضمنها :

امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فلننظر هل للمتنبي اتصال بهذه القبائل اليمنية وما هو نسب المتنبي .

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر التنقيب والاستقصاء كتاباً يبحث بمخذافيره عن حياة المتنبي وخلقه وشعره واسلوبه ، من دون ان يهتموا بالبحث عن اصل المتنبي ، سواء أكان هذا الاصل ظاهراً بعض الظهور ام كان خفياً بعض الخفاء ، است ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

من دون ان يمتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا القواد ، فاذا خفي علينا اصل المتنبي ، خفي علينا ادراك روحه الذي يتفرق في شعره ، واذا نحن لم نفهم روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره .

اجمع الرواة على ان شيخنا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره .

تحمّل المسك عن غداثرها الريح وتفتّر عن شبيب يروود
جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفوت التسييد
واجمعوا على ان اياه اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، ولكنهم اختلفوا في
اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقال
آخرون : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطربوا في اسماء اجداده
فقد اطبقوا على ان ابا المتنبي جمعي . قال صاحب طبقات الادباء : وذكر القاضي ابو الحسن
ابن ام شيكان الهاشمي الكوفي ان عيدان كان جعفيّا صحيح النسب . وعيدان السقاء لقب
والد المتنبي ، فقد هداً بالنّا من ناحية نسب ابيه ، فلننظر اليه من ناحية نسب امه فلنستعن
بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن : وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت
جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هنا يتبين لكم ان والد المتنبي جمعي وان
جدته همدانية ، فانكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها فلننسي اصل من
الاصول ، فلندقق هذا الاصل على قدر الامكان .

قلت : نزل الكوفة في اول امرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة همدان
ومذحج ، وبهمدان ومذحج استعان زياد وهو امير البصرة والكوفة على القبض على حجر
ابن عدي صاحب فتنة الكوفة في اياه زياد وعلى شباب همدان ومذحج في الكوفة كان
يثني زياد فاذا علم ان بين السنة التي معترت فيها الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي
ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٢ ثلاثة قرون على التقريب واذا احطتم من جهة ثانية
باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم ان اصل المتنبي من هذه القبائل البجانية التي
رمت اظلالها على الكوفة في اول بنائها .

والد المتنبي جمعي وجدته همدانية فالمتنبي يماني الاصل من الناحيتين من ناحية
ابيه ومن ناحية امه وفي فضائل بيوتات اليمن يقول عبد الله بن عباس لبعض
البجانية : لكم من السماء نجما ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميمه .
فلننظر الى المتنبي من ناحية ابيه . كان الحسين جعفيّا صحيح النسب وجمعي على
وزن كرمي من بطون معد العشيرة وانما سمي بمعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب

معه من ولده وولد ولده ثلاثا رجل وسعد المشيرة من قبائل مذحج وبيان مذحج
افر ابو عبيدة فقال : ولسان العرب مذحج .

ولتنظر اليه من ناحية جدته . كانت جدته همدانية صحيحة النسب ، وبفروسية
همدان اعترف ابن الكابي فقال : وهمدان احلاس الخيل وفي همدان يقول الشاعر :
ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان منى فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
وفيهم يقول علي :
فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ومن همدان اعشى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الاموية وكان
النعمان بن بشير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمن ولسانها . —

فالفروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المتنبي والبيان
في هذه القبائل .

اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان نفهم كلام الذي يقول وفؤادي من الملوك . . .
فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لا بل اشياء من الفروسية والصلاح وان الذي
ينتسب الى جدة سالحة موصوفة بالحزم لا يستغرب فيخذه ان نخر .

نعم اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان ندرك روح المتنبي وامرار خلقه في الآتي
وليس من الضروري ان تكون جدة المتنبي سالحة او ان يكون جده او خاله او عمه فارسا
من الفرسان ، حتى يتوارث المتنبي عنهم الصفات وانما يكفي ابا الطيب ان يكون احد
اهل بيت . في القديم قد جمع شيئا من هذه الصفات حتى ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل
الميراث فالمرء يتوارث محاسن الصفات ومقاييها عن اهل في قريتهم منه وبعدم عنه فقد
يتوارث عن ابيه او خاله او عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الزمن وقد يتوارث
عن احد اقاربه في قديم الدهر معا كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراخيا
فالعرق نزاع .

قرأت مقالا في مجلة بياريز لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوطينا في هذه الايام
بلاد الترك بعد ان تليثت محناتهم عن محناتهم القديمة ومنعنا الامم عن مخالطتهم وحصر

الترك في بلادهم فلم يصهروا الى احد من غيرهم ولم يصهر غيرهم الى احد منهم ودام هذا الحصر الف سنة لرجعت هياتهم بعد الف سنة الى هيات الترك القدماء المعروفين بلونهم الخاص وبتركبيهم الخاص وبصفاتهم الخاصة .

من هذا يسهل عليكم ان تعتقدوا ان المتنبي انتقلت اليه صفاته التي سوف نكشف لكم في كلامي على اخلاقه من احد اقاربه في الحديث او في القديم ولا عجب في هذا مادام ابوه جعفياً ومادامت جدته همدانية وفي جمعي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب .

للدن تأثير في المبقرات واظن انكم لا تزالون تذكرن مذهب (نين) في النقد فقد اراد (نين) ان يجعل للجنس والبيئة وللزمن تأثيراً في القرائح والامزجة فمن البشر على ما يقول من يجمع صفات الشجاعة والفطنة ومنهم من يعرف بالبلاهة وقصر المدارك ومنهم من يملو في التصورات والمخترعات ومنهم من يسف ومنهم من يختص بطائفة من الاعمال وتقوى فيهم طائفة من الفرائز كما ان من الكلاب ما يصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيد ومنها ما يصلح لحراسة الدور والمواشي .

وقد ذكرت لكم ان (نين) قد ادخل عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهب لا يتخلو من شيء من الافراط ، وقد أشار الاستاذ (برونثير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط في نظر (نين) ان بعض اجناس البشر يصلحون لشيء لا يصلح له اجناس غيرها فقال (برونثير) لو صح هذا النظر على الاطلاق لامتنع علم ماوراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان اكبر عالم في علم ماوراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرنغال وهو سينوزا .

ولئن كان مذهب (نين) فيه شيء من الافراط فهو لا يتخلو من شيء من الحقائق . فان للدن تأثيراً في المبقرات . فقد تشتهر اجناس من البشر بامور لا يشتهر بها غيرها . وقد تعرف قبائل باشيا لا يعرف بها غيرها . كانوا يقولون مثلاً : جرأة بني الحرث . فتك مراد . بأس زبيد . كيد جمعي . مغارطي الى غير ذلك . وقد يتوارث اواخر القبيلة الحاسن والمساوي من ادائها . فالتنبي انتقلت اليه صفاته من احد اقاربه في

جمعني ار في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبي صفاته المعروفة من دون ان تكون مجموعة في احد أقاربه .

من كل ما تقدم استخلص ان ابا الطيب وقد صح نسبه في جمعني وفي همدان وله وفي طبعه اشياء متوارثة عن اهل في هاتين القبيلتين . فهو لم تحدثه نفسه بهذه الالاماني البعيدة من دون ان يكون منتسباً الى اهل قد حدثهم انفسهم بمثل هذه الالاماني . واذا لم نشأ ان نفهم هذا كله فكأننا لا نشأ ان نفهم روح ابي الطيب .

فالشيخ ابو الطيب يمانى الاصل من ناحية ابيه ، ومن ناحية أمه فهو عريق في يمانيته . وفي عروبيته . وسأتكلم في الاسبوع الآتي بكلام على تغنيه بعروبيته . ومن الغريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي جملتهم ابن خلكان وصاحب طبقات الادباء والشمالي وصاحب الصبح المتنبي اقتصروا في كلامهم على ابي الطيب على ان قالوا في ابيه انه جمعني ، وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومنهم من لم يشر الى أصله ، وأغرب من هذا كله ان صاحب كتاب ابي الطيب المتنبي الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين ، قد أثبت ابا الطيب في اسوار المنابت ، ورده الى ارض الاصول ، ولم يكتف بهذا كله فذهب مذهباً بعد ، فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان يعترف في بعض شعره بوضاعة نسبه وانحطاط امله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباك الفخم كونك لي أما

فلن ان ابا الطيب بنفي عن جدته كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ، فابو الطيب يقول لجدته في هذا البيت : لو لم يأنك الكرم من نواحي ابيك لآتاك من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد ، وانت أم اكرم ولد ، فقد جمعت اليك الكرم من ناحية ابيك ومن ناحية ابنك ، ولعمري كيف بنفي الكرم عن قومه من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظم

فاذا كان القوم الذين تأنف نفوسهم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم ؟ أفيملكه اللاصقون بلحمهم اللازقون بعظامهم الذين لم يخلقوا في جوارحهم من جوارح الحيوانية .

وكما انه اساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد اساء اليه في فهم ابيات غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد همام
فطن ان ابا الطيب ينفي عن جده عظيم همته والتمني بقول ولا يحتاج قوله الى دليل
لست أقنع من الفضل بان اكون منسوباً الى جد عظيم الهمة وانما أمتني ان اجمع شيئاً من
الفضل بنفسي فأبو الطيب يعتقد انه فاضل وابن فاضل .

من جملة هذه الابیات التي ساء فهمهم لها قوله :
نخر الفتي بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأحوال
او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه يفوق ابا الباحث والتجمل بعض من نجله
انما يذكر الجدود لم من تفروه واتقدوا حيله
فلا يستنبط من هذا ان المتنبي لا يفخر بعمومته وخوولته وانما المتنبي يرجع في هذه
الابیات الى شئشئته ، فهو يرى ان الفخر بالنفس وبالفعل أعظم من الفخر بالعم وبالحال
وهذا لا ينفي عن ابي الطيب فخره بالعمومة والخوولة وانما يؤيده فكأنما المتنبي يريد ان
يجمع الى تالذ الفخر طريقه وهذا أبعد مجالات الهمة .
ولما قال :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي نخرت لا بجدودي
وبهم نخر كل من نطق الضاد وعود الجاني وغوث الطريد
لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لم وانما الذي عناء بقوله هذا ان
قومه شرفاء وانهم نخر العرب كلها ولكنه اشرف من قومه .
ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن مثبت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت ان انبه
على خطأ وقعوا فيه مما يتعلق بفهم شعر المتنبي وما اظن انهم انبتوا ابا الطيب هذا المبتد
الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء الحيا

فلو كان الحسين الجمعي من اصحاب النعم افكان الناس ينظرون الى المتنبي وابوه غني
نظروا اليه وابوه سقاء ، فانال وحده هو الذي حرف الانظار ، ومتى كان المال مقياس
الاصول وكرم الاعراق ، افلا نجد في ايامنا من ابساء سلاطين آل عثمان ومن حاشية
قيصرة الرئيس الذين شنتت السياسات شملهم في البلاد من يشتغل باحقر الصناعات حتى
لا يموت من الجوع ، افلا نجد من اصحاب النعم رجلا لا يعلم الا الله مقادير اخلاقهم الفاسدة ،
انا لا اريد ان اقول ان المتنبي نشأ الملك في بيته قديماً ولكني لا اعتقد انه وضيع ولا
اريد ان اعتقد انه كان يمتزج بوضاعته .

اما وقد فرغت من الكلام على نسب ابي الطيب . فلتنظر الى اهله في عصره واباه
فقد اشار في شعره الى امه والى جدته .

اما جدته فقد كان غائباً عنها في اقطار الشام ، وطالت غيبته هذه ، وقد ارسلت
اليه كتاباً تشكو فيه شوقها اليه . وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه
دخول الكوفة على حاله تلك ، فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد بشت منه ، فكتب
اليها كتاباً يسألها ان تسير اليه فقبلت كتابه وحثت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على
قلبها فقتلها فرثاها بقصيدة ملاها من رقة العاطفة وصدقها - أنكلم فيها في اثناء كلامي على
شعره وفي هذه القصيدة ابيات تدل على شدة محبة جدته اياه . وعلى شدة محبته اياها
فمن قوله في حبها اياه :

لك الله من مفاجئة بحبيها قتيلة شوق غير ملحقة وصما

ومن قوله في حبه اياها :

احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لثواها التراب وما ضما
ولا يبعد ان جدته كانت تقرأ فكانت تنجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :
تنجب من خطي ولفظي كأنما ترى بحروف السطر اغربة عصا
وتلكه حتى أصار مداده محاجر عينها وانياها صما
وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب بقبلا لرأسك والصدر الذي ملثا حزما
واني أعتقد ان ابا الطيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها من جعلتها هذا الحرم .

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي ابناً أشار فيها اليها :
 يدي ايها الامير الاربب لا شيء الا لاني غريب
 او لام لها اذا ذكرني دم قلب في دح عين يذوب
 وفي هذا البيت عاطفة الامومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل شعراً
 في ابن العميد قال له في جلته :

ياليت باكية شجاني دمعها نظرت اليك كأنظرت فتمذرا
 ولكننا لا نعرف هذه الباكية التي بكت على فراق ابي الطيب وأحزنه دمعها .
 وكان له ابن اسمه محمد صحبه الى بلاد فارس و يظهر ان محمداً كان شاعراً . نقل
 صاحب الصبح المنبي عن ياقوت ان المتنبي كان جالساً بواء مط فدخل عليه رجل وقال :
 نريد ان نجهز لنا قول الشاعر :

زارنا في الظلام بطلب سترنا فافتضحنا بنوره في الظلام
 فرفع ابو الطيب رأسه وكان محمد واقفاً بين يديه وقال :
 يا محمد قد جاءك بالشمال فأنه باليمين فقال محمد ارجعاً :
 فالتجأنا الى حنادس شعر سترنا عن أعين الاوام
 وقد قرأ الشيخ اليازجي انه وجدت له في احدى نسخ الديوان أبيات بعد فراره من
 مصر يظهر فيها شوقه الى ابنه محمد والي شيخ يقال له الحسين ، من هذه الابيات :
 لولا محمد بل لولا الحسين لما رأيت رأبي بوهم العزم مخفاها
 هذا هو اي وذا ابني خط مكن ذا بمصر والشام التي دائماً خططا
 والابيات كلها ثمانية وفيها اشارة الى هرب ابي الطيب من مصر ولكنها لا تخلو من
 تحريف اذا صحت اما محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً عن محمد واما الحسين
 فقد يجوز ان يكون شيئاً له وعلى كل الرواية غامضة .

هذا كل ما حققته من نسب المتنبي ومن اهله في عصره وايامه ، واما ما يتعلق بزوجته
 وبقية اهله فهو خاف علينا . دمشق : في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة المسمى باخبار المذاكرة »

- ٥ -

قال ابو الحسين فكنا في بعض الليالي بمحضرة ابن الفرات وهو يعمل
وانا مع ابي والمجلس حافل . حتى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل يذكر
فيه ان ابا احمد هذا قد بسط (١) في الاعمال واظهر من المروءة امراً عظيماً
وركب باللبود الطاهرية وبعده حجاب وغلماں حتى انه يسير معهم في موكب
وانه ورد معه من الزواريق (٢) والجمال التي تحمل اثقاله شيء كثير . وان
هذا مالا يحتمله رزقه وانما هو من الاصل . فرمى بالكتاب الى ابي القاسم
زنجي الباقي الى الآن . وكان اذذاك حدثاً يخط بمحضرة . وقال له وقع عليه
ليكتب اليه ويعرف انه تقع الرجل من حيث تعدد ضره . لانه اذا كان
في مثل هذا الصقع عامل وجيه جليل كثير التجل والهيبة والمروءة
صاح ان يبادر به السلطان الى مصر واجناد الشام متى انكر على عمالها امراً .
لان هذه النواحي لاتصلح الا لمن كان حسن التجل والمروءة كثير النعمة .
ثم أقبل على من في مجلسه - فقال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن سليمان ان
المعتضد رفع اليه خبر رقعة النوشجاني صاحب بريده يذكر فيها : ان الاخبار

« ١ » م . ع : لعله تبسط او بسط يده . « ٢ » م . ع : لم نجد الزواريق ولعلها
الزوارق جمع زورق وهو القارب .

ذاعت بغداد بان حامد بن العباس لما دخل فارس متقلداً فيها لعمالتها دخل
ومعه عدد كثير عظيم من الفلماز والحاشية قال فتعيرت لما دفع الكتاب
اليّ وخفت ان يكون قد انكر ذلك ويقع له ان هذا اصطلام (١) للمال .
ودخلني فزع منه فلم ادر باي شيء أجيب . فقال لي : يا ابا القاسم وقد كان
كناه اول ما استوزره . وكان يتكني على الناس الا على بدر وصاحب
خراسان . وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف والداء بينهما سواء . قال لي المعتضد
يا ابا القاسم قرأت الكتاب . فقلت نعم . فقال قد سرني ما ذاع من مروءة
حامد وهيبته بذلك في نفوس الرعية . فكم رزقه ؟ فقلت القان وخمسمائة
دينار في الشهر . فقال اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مروءته . قال ثم
قال ابو الحسن بن الفرات عقيب هذا وقد فعل المعتضد قريباً من هذا مع
ابي العباس احمد بن بسطام . فان المعتضد طالبه بمجز ضمانه واسط وحبسه
في دار ابن طاهر وألزم سبعمين الف دينار يومئذها . فكان يصحبها (٢)
على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر . وأصحاب عيد الله
يطالبونه ويقتضون المال ، فكتب النوشجاني صاحب الخبر فيه انه كان
يفرق في ايام ولايته في كل شهر عشرين كراً حنطة ودقيقاً على حاشيته
وعلى المستورين والفقراء . وانه فرق في هذا الشهر الا كرار على رسمه
ولم يقطعها وهو مع ذلك يماطل باداء ما عليه . فلما دخل عيد الله على

١٥ م ، ع : أي استئصال . ٢٥ م . ع : كذا في الاصل وفي التاج صحيح الحساب

اصلحه .

المتضد اراه الرقعة . فسكت عبيد الله فقال له المتضد : قد سرني هذا لان ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروءة وكثرة المعروف وقد جملنا بما قد فعله حين لم يظهر ان ما قد الزمناء أحوجه الى الزوال عن عاداته في المعروف فكم بقي عليه قال بضعة عشر الف دينار فقال اسقطها عنه ورده الى عمله وعرفه إجمادي ما قد فعله . فامثل عبيد الله ذلك .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد بن بدر بن الاصمغ يتحدث ابي قال كنت اتصرف مع سليمان بن وهب لقراءة كانت يبتنا من جهة النساء وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة حتى انه كان يطحن الزعفران في داري كما يطحن الناس الدقيق لكثرة ما كان يجيئنا من الجبل ونستعمله ونهديه . فولي سليمان ديوان الخراج فكنت احد عماله فيه فوقمت بيني وبين ابنه عبيد الله نفرة فلزمت منزلي اياماً فما شمرت الا برقعة الحسن ابن محمد يستدعيني وهو يتولى ديوان الضياع وكانت بينهما مماظة (١) فمضيت اليه فقال لي انت معطل ولا تصير الي وقد انفصل ما بينك وبين ابي ايوب فقلت يا سيدي كيف انفصل ما يبتنا مع القراءة ولكن يبتنا عتب . فقال دع ذا عنك انت معطل وما تبرح . قال واداد اجتذابي من جنبته وكان الناس اذذاك يتغايرون على الكفاة فقلدني اعمال السيب (٢) الاسفل وقسين (٣) وجيلا (٤)

١٥ م.ع : منازعة . ٢٥ م.ع : السيب كورة من سواد الكوفة وهما سيان اعلى واسفل . ٣٥ م.ع : قسين كورة من نواحي الكوفة . ٤٥ م.ع : جيل اسم لاهلها كن كثيرة منها جبل قريب قيد وفيد بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة ولعلها محرفة عن جبل (بفتح الجيم وضم الباء المشددة) وهي بلدة بين النعمانية وواسط .

وكانت تجري في ديوانه قبلتها وخرجت اليها وكان الارز قد قارب الادراك
 فقدرته وعدت الى سر من رأى لاشرح له حال التقدير واستأمره في
 العمل فلما بصري قال قد قدمت على فاقة مني اليك قد تأذيت بالفلاحين
 واريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه من جبل ياسورين (١) من
 الشلج فقلت له الارز خافور (٢) وما بلغ الى ان يجرز فقال لا بد من ان
 تستفرغ جهدك وحيلتك في هذا حتى تخفف عني . وكان اول خدمة فاحتجت
 ان اضرب (٣) لاصنع (٤) نفسي عنده فخرجت مفكراً فيما اعمله فلا قبالي
 لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق وكانت يتنا مودة وكان موسراً وكان
 جميع متجره غلات السلطان فبدأني على تركي مبايعته شيئاً بالسلاف من غلات
 عملي فاجتذبه الى منزلي وقلت اليك فاحتني (٥) ولو رأيتك ما عدلت
 عنك . قال فاقام عندي يومه ولم ازل حتى بعته حساب الكر الارز المعدل
 بسبعة دنائير وكنت قد قدرت الحاصل فيه لاساطان ثلاثة آلاف كر معدل
 واستثنت عليه في كل كر ديناراً وأخذت خطه بضمانه تعجيل عشرة آلاف
 دينار لمن يؤمر بادائها اليه ورحت الى دار الحسن بن مخلد فوجدته غائماً والناس
 مطر حون في داره . ثم دخلت اليه وشرحت له الصورة فسر بها وأمر باحضار
 صاحب مجلس النفقات في الديوان وسلم الرقعة اليه وقال أحل الفلاحين على هذا
 التاجر . فلما خلا مجلسه تقدمت اليه وعرفته خبر الاستثناء واريت الخط وقلت

«١» م . ع : ياسورين موضع فوق الموصل يقال له البلد . «٢» م . ع : الحافور بنت
 كالزوان ولعله يريد ان الارز في حاله الحاضرة كالحافور . «٣» م . ع : اكتب .
 «٤» م . ع : اي اجعلها . «٥» م . ع : لعله سقط : بك .

الى من اسلم المال اذا قبض فلم يجبني فالحجت عليه فقال لي يا هذا انك صحبت
 قوماً لا مروءة لهم فتعودت منهم ان يطعموا نفوسهم الى (١) مضايقة خدمهم في
 هذا القدر وما هو اقل (٢) منه واذا اخذت انا هذا المرفق فانت لم تخدمني
 وتتبعني خذ هذا واصلح به حالك ليبين عليك اثر خدمتك لي . فقبلت يده
 ورجله وعدت الى عملي واستخرجت المال ودبرت العمل . وحضر بعد مديدة
 النوروز وقد كنت مذخرجت من حضرته سألت ثقات اخواني من
 التجار في الاسواق ان يجتمعوا لي كل علق حسن غريب طريف مشتم (٣)
 من فرش ديباج مثقل وابي قلمون مذهب ووشي وديقي (٤) مرتفع وقصب .
 قال فجمع لي من ذلك ما كان شراه ٥٠ خمسة آلاف دينار وهو يساوي اكثر
 منها بكثير ثم كتبت اليه رقعة في معنى الهدية وتضرعت في قبولها وتسببت
 لذاك وكتبت ثبت الهدية في اسفل الرقعة فكتب الي فيها لك اكرمك
 الله بنات وهن الى هذا احوج مني وقد قبلت ما يصلح قبوله انسا بك
 واسقاطاً للعشمة منك ورددت اليك الباقي ليكون لهن وكان الذي قبله
 ثوب قصب و مندبل ديقي وشسته قصب .

حدثني ابو الحسين (٦) قال سمعت ابا عبد الله الباقر يقول : وحكى
 لي ابي ذلك قالا ان السجزية (٧) لما غلبوا على فارس اجلى قوم من اهل

(١) م . ع : الاظهر في مضايقة خدمهم الى ٢٥٠٠٠ ، بالاصل امة . ٣٥ م . ع :
 ذي نمن . ٤ م . ع : ثياب منسوبة الى ديق بلاد بمصر . ٥٥ م . ع الشري والشر .
 بمعنى واحد والقصر افصح . ٦٥ كتاب الوزراء لالهلال ص ٣٣٩ . ٧٥ م . ع : السجزية
 بالفتح والكسر نسبة الى سجستان اقليم بين خراسان والسند وكرمان .

الحراج عنها لسوء المعاملة فقصوا (١) خراجهم على الموجودين وسموا ذلك التكملة حتى يكمل به مال قانون فارس كان متقدماً (٢) ولم يزل الحال في ذلك تزيد تارة وتنقص أخرى الى ان افتتح ابو الحسن ابن الفرات في وزارته الاولى فارس على يد وصيف ومحمد بن جعفر العبرثائي (٣) ومن ضمنه اليهما من القواد في سنة ٢٩٨ فأمر ابن الفرات باجراء الامر في التكملة على ما كان جارياً عليه وجرى الامر على ذلك في ايام محمد بن عبد الله الحاقاني وفعله علي بن عيسى في صدر وزارته الاولى فلما (٤) مضت منها مديدة صار الى مدينة السلام عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي وطعن على محمد بن احمد بن ابي البغل وكان اذذاك يتقلد فارس وذكر انه إن ضمن العمل مكانه وفر حمله (٥) من المال فضمنه علي بن عيسى وانصرف ابن ابي البغل عما كان يتقلده امانة وقلده اصبهان ثم أخرج عبد الرحمن بن جعفر المال واحتج بان اهل فارس يتظلمون من التكملة ولا يلتزمونها. وكان ابو المنذر النعمن بن عبد الله يتقلد ديوان كور الاهواز مجموعة فكتب اليه علي بن عيسى ان يستخلف على اعماله وينفذ الى فارس فيطالب عبد الرحمن بما حل عليه من المال وينظر في هذه التكملة ويشرح امرها. وكتب الى احمد بن محمد بن رستم بان يصير من اصبهان الى فارس ليضمنها وكتب الى النعمن بحل ضمان

«٢» م. ع. يقال فض المال على القوم فرقه. «٣» م. ع. كذا في الاصل ولعل اصله.

وكان، او الذي كان. «٣» م. ع. عبرتي قرية قرب الهروان النسبة اليها عبرتي على

ما يظهر من التاج ومعجم البلدان. «٤» بالاصل فما. «٥» م. ع. لعله جملة.

عبد الرحمن وعقد البلد على ابن رستم فاستخرج النعمن التكملة ووجد قطعة منها على عبد الرحمن قد قدر ان يكسرها (١) فمسهه (٢) وباع قطعة من املاكه عليه حتى استوفى ذلك وكتب اليه علي بن عيسى يسأله عن التكملة وان يشرح له امرها وانه قد صار يستضعف (٣) قوم فيلزمون منها اكثر مما يجب عليهم ويرهب قوم فيسأحمون بها وباكثرها فكتب اليه النعمن وابن رستم ان من طرائف ما يجري بفارس ان الناس يطالبون بالتكملة وهي ظلم صراح سنة الخوارج ويترك عليهم ما قد اوجبه الفقهاء وهو خراج الشجر لان فارس فتحت عنوة وليس على الشجر بها خراج وارباب الشجر يذكرون ان المهدي اسقط عنهم خراج الشجر وليس لهم حجة بذلك الا طول مدة الرسم والاصل وجوب الخراج على الشجر فتسامع اهل البلد بالخبر فتبادر اجلاؤهم الى حضرة علي بن عيسى من فارس فدخلوا مجلسه للمظالم وفي اكمالهم حنطة محرقة فلما تظلموا قالوا له تمنع من اطلاق غلاتنا وتمتقل علينا في الكناديج (٤) الى ان تغفن وتصير هكذا ورموا بالحنطة المحرقة من اكمالهم حتى نبيع شهورنا (٥) ونؤدي التكملة الباطلة حتى تطلق غلاتنا وقد احترقت هكذا ورمى قوم منهم من اكمالهم بيبس يابس وخوخ مقدد ولوز وفستق وبنديق وغيره (٦) ونبق وبلوط وقالوا

«١» م. ع. كذا في الاصل ولعله من اكسر بمعنى اقتطع. «٢» م. ع. اي ظلمه.

«٣» بالاصل: يستصب قوم فيلزمون ورواية هلال اصح. «٤» م. ع. جمع كندوج

الحزاة الصغيرة والحلية. «٥» عند هلال نفوسنا وشعور نسائنا. «٦» م. ع. الغبراء شجرة لها ثمر يقبر ثم يحمر ويقال لهذا الثمر غيراء ايضاً ويتخذ منه خمر يقال له غيراء ايضاً.

هذا كله بلا خراج لقوم آخرين والبلد عنوة فاما تساويننا في الاحسان او الاستيفاء . فخطب علي بن عيسى في ذلك الخليفة واستأذنه في جمع الفقهاء والقضاة ومشايخ الكتاب ووجوه العمال وجلة القواد ومناظرة القوم بحضرته وتقرير الامر على ما يوجب الحق عند الجماعة والعدل فأذن في ذلك فجمع الناس في دار المحرم التي كانت برسم الوزارة وصيرها علي بن عيسى ديواناً وطأت المناظرات واحتج من حضر من ارباب الشجر بفعل المهدي وقالوا قد استهلكتم اموالنا في ائمان هذه الاملاك التي لاخراج عليها وان الزمت الخراج بطلت القيم وافقرنا فافتى الفقهاء بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال الكتاب ان كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة في الحال او عناه^(١) اعتناه اهل البلاد في جذب او غيرها^(٢) ثم زالت المصلحة زال الشرط . فقال علي بن عيسى للقوم اليس عندكم ان ما فعله المهدي واجب؟ قالوا بلى : قال لم أليس لانه امام رأيي رأياً ليس فيه مضرة؟ قلوا بلى قال : فذ امير المؤمنين وهو الامام الآن قد رأى ان الاحوط للمسلمين والاحفظ للكافة الزام الخراج للشجر وازالة التكملة فقام اليه الزجاج ووكيع القاضي فوصفاه وقرظاه . وقال الزجاج لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضراً ما تجاوزته . وقال وكيع لقد فعل الوزير في هذا كفعل ابي بكر الصديق رضي الله عنه في مطالبة اهل الردة بالزكاة وانهى علي بن

١٥٠ م . ع : هكذا في الاصل ولعل اصله او عناه اعتناء باهل البلاد الخ اي اهمه

اعتناء بامرهم او الاصل عنه تناء اي قاساه الخ . ٢٥٠ م ، ع : الظاهر او غيره .

عيسى والقضاة ما جرى الى المقتدر في يوم الموكب واستأذنه في كتب كتاب بإسقاط التكملة عاجلاً الى ان يتقرر امر الشجر فمر بكتب ذلك في الحال بحضرته واحضر قائداً من قواد الحضرة كان يخلف بدرا الكبير المعروف بالهامي عامل المعاون بفارس وكرمان ليسلم اليه الكتاب ويطلب النعمن وابن رستم بامثاله . و امر الخليفة باحضار دواة يكتب بها علي بن عيسى وكان رسم الوزراء اذا امروا يكتب كتاب بحضرة الخليفة ان تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى ويكتب منها باليمن فاحضرت تلك الدواة لعلي بن عيسى وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة فلما رآه المقتدر وقد شق عليه ذلك امر باحضار دواته وان يقف بعض الخدم فيمسكها الى ان يكتب . فكان اول وزير اكرم بهذا ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء بحضرته فكتب علي بن عيسى في ذلك كتاباً الى النعمن وخرجت نسخته الى الديوان واثبت فيه قال ابو الحسين فحفظناه ونحن احداث ونسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين الى النعمن بن عبد الله : سلام عليك فان امير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً . اما بعد فان افضل الاعمال قدراً واجاهاً ذكراً واكملها جراً ما كان للتي جامعاً وللهدي تابعاً وللورى نافماً^(١) وللبوى دافماً وقد جمل

الله عز وجل امير المؤمنين فيما استرعاه من امور المسلمين مؤثراً ما يرضيه صابراً (١) على ما يرافقه عنده ويحظيه ، وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل وبه يستعين . وقد عرفت حال السجزية والحرمية الذين تغلبوا على كور فارس وكرمان وحدثوا الجور واعدوا ان ، واطهروا العتو والطغيان ، وانتكوا المحارم وارتكبوا المظالم ، حتى انقذ امير المؤمنين جيوشه اليهم وتورد بها عليهم ، فازالهم وابادهم وشقتهم وابارهم ، بعد حروب تواصلت ، ووقائع تتابعت ، احل الله بهم فيه سطوته ، وعجل لهم نقمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمستمعين ؛ « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهمليم شديد » ، ولما محق الله امر هؤلاء الكفار ، وفرق عدد اوباشهم الفجار ، وجد امير المؤمنين افطع ما اخترعوه واشنع ما ابتدعوه في مدتهم التي طال امددها وعظم ضررها ، تكلمة اجتبوها (٢) بكور فارس في سني غوايتهم لما طالبوا اهلها بالخراج على اوفر عبرتهم من غير اقتصاد به على الموجودين حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين فانكر امير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم الذميم . واكبر ما استعربه من الظلم العظيم ، ورأى صيانة دولته عن قبيح معرفته وحراسترعيته ، من عظيم مضرتة مع كثرتة ووفور جملة ، فرفع عن الرعية هذه التكلمة رفعا مشهورا ، وقد جعل الله تعالى من سننها مدخورا ، وفنادى في المساجد الجامعة بازالتها وابطال جبايتها ليرتفع (٣) ذلك في الجمهور ويتمكن السكون اليه في الصدور وتحمد

١٥٠ عند هلال متابراً ١٢٥٠ م ، ع : الاجتباء افعال من الجباية ١٣٥٠ عند هلال ليدبح

الله الكفاية على ما تاحه لها من تعطف امير المؤمنين ورعايته وجميل حياطته لهم وعنايته . واكتب ما يكون منك في ذلك فان امير المؤمنين يتوكله ويراعيه ويتشوفه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ٣٠٣ .

وقد كان علي بن عيسى قبل ذلك بسنة نظر لاهل التكملة من جملة في شيراز بمشرة آلاف درهم^(١) قبل ان يخرج في السنة المقبلة خراج الشجر ثم تقرر امر الشجر على ان يؤخذ منه الخراج ويقارب اهله فيه على طسوق^(٢) توضع لهم مخففة . وكان النعمن رفيقاً يقاربهم حتى عاد بازاء ما اسقط من مال الضمان في التكملة اكثره على التدرج . فكتب علي بن عيسى في امر الشجر كتاباً كنا نحفظه^(٣) في الحداثة من الدار نسخته الى ابن رستم لان النعمن عاد الى بغداد واستخلف بفارس ابا مسلم محمد بن محمد وضمن البلد من ابن رستم وجميل با مسلم مستوفياً عليه للمال .

بسم الله الرحمن الرحيم الى احمد بن محمد بن محمد بن عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين والنسخة واحدة الى قوله اما بعد فان الله بمعظم آلائه وقديم نعمائه وجميل بلائه وجزيل عطائه جعل اموال النبي للدين قواماً وللحق نظاماً وللعز تناماً فوجب للائمة حمايتها وحرم عليهم اضرارها

«١» عند هلال : بالف الف درهم . «٢» م . ع : في القاموس الطسق بالفتح مكبال او ما يوضع من الخراج على الجربان او شبه ضريبة معلومة . «٣» م . ع : تحفظ الكتاب استظهره شيئاً بعد شيء .

اذا كان ما يجتبي منها عائداً بصلاح المباد وحراسة البلاد وحماية البرية
وحياطة الخوزة والرعية ولذلك يعمل امير المؤمنين فكره ورويته ويستفرغ
وسمه وطاقته في حراستها وحياطتها وقبض كل يد عن تحيفها^(١) وتنقصها والله
ولي معونته على جميل نيته وحسن طويته بمنه ورحمته . ولما فتح الله عز وجل
(كور فارس) على المسلمين وازال عنها ايدي المتغلبين وجد امير المؤمنين
اهلها قد احتالوا في اسقاط خراج الشجر باسره مع كثرتة وجلالة قدره
وامر باشخاص وجوهمهم الى حضرته واتصلت المناظرة لهم بمشهد من
فضاته وخاصة الى ان اعترفوا به مدعين والتزموه طائعين وضمنوا اداء
ما اوجبه الله تعالى فيه من حقوقه على ما تقرر معهم من وضائعه^(٢)
وطسوقه فتطالب بخراج الشجر في سائر الكور على استقبال سنة ٣٠٣
فاستخرجه واستوفى جميعه واستنظفه واكتب بما يرتفع من مساحته ويتحصل
من مبلغ جبايته متحرراً للحق متوخياً للرفق ان شاء الله والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين امشر ليال خلون من شبان
سنة ٣٠٣ .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسين عبد الواحد بن محمد
الحصيني^(٣) وهو ابن بنت ابراهيم بن المدبر . قال حدثني ابو الفضل صاعد

١٥ م . ع : تحيف الشيء تنقصه من حيفه اي نواحيه جمع حيفة . ٢٥ م . ع :
جمع وضعة وهي ما يأخذها السلطان من الخراج والعشور . ٣٥ م . ع : بفتح الحاء
كافي التاج .

ابن هارون بن مخلد بن ابان قال حدثني عدة من جلة الكتاب عن كاتب كان يخط بين يدي المورياني (١) وهو وزير المنصور قال كنت يوماً محضرته على خلوة فدخل عليه حاجبه وقال بالباب رجل يذكر انه يريد ان اتقي اليك شيئاً هماً قال اسمع منه ما يقوله وادّه اليّ قال قد سمته ذلك فاني وبذات ان اخرج اليه كاتباً فامتنع من ذلك وقال اما ان اصل اليه او انصرف . قال فما زيه ؟ قال زيّ التاء قال هاته فادخله فلما وصل استأذنه في السرار فاذن فدنا اليه فاطال سراره ثم دعا بخازنه فقال خذ ما يدفعه اليك . ثم قال لي قم فاكتب له بكلما يريد على املائه وان التمس توقيعني في شيء منه فاتفذه اليّ مع غلامك . قال فقلت فكتبت له بما املاه وعدت وعرفته ازاحتي عانه فيما طلبه فجعل يبكي بكاء شديداً فسألت غلامه هل ورد بعدي شيء يكرهه فقالوا لا . فقلت يا سيدي ما هذا البكاء وكنت آنساً به فقال ان هذا الرجل لقيني منذ اكثر من سنة انه من بني البختكاني وذكر كبر نعمته وانا بهم عارف . ووصف ان العمال يتحيفونه ويستضعفونه وسأني ان اوقع نسبي على ضيعته واظهر اني قد استأجرتها منه واكتب العمال ووكلائي بذلك وان تفقد يده منها اذ كنت قد وثقت به على ذلك وبذل لي النصف من ارتفاعه بعد المؤونة حلالاً فوافقته على ذلك وكتبت له بما اراد ومضى ولم يتبع نفسي الاستقصاء

«٢» م . ع : نسبة الى موريان قرية من نواحي خوزستان واسمه سليمان ابن ابي سليمان ابن ابي مجالد وقتله المنصور .

عليه ولا الاستظهار ولا مضايقته وقلت امله اراد الانتفاع بجاهي فلا
احرمه اياه فان وفا (١) والا كان ذلك من زكاة الجاه ثم انسيت امره
فما ذكرته حتى رأته الساعة فاعلمني انه يتردد منذ مدة الى الباب فلا يصل.
واعلمني انه قد حصل لي من ذلك مائتا الف درهم ووقوفني (٢) على حساب
رفعه واستأذنتني في تسليم المال وسألني تجديد الكتب بمثل ما كنت كتبت
به اليهم في السنة الماضية في امر هذه الضياع فتقدمت الى خازني بقبض
المال وتقدمت اليك فكتبت عني بذلك فانا ابكي لهذه الحال. فقلت له
يا سيدي فاي شيء هذا مما يبكيك فقال ويحك ويذهب هذا عليك مع
طول ملازمتي وخدمتي قد كنت عندي انك تمنكت بخدمتي. امرؤ يكون
هذا من اقباله فكيف يكون ادباره؟ قال فما بعد ان قبض عليه المنصور ونكبه
واستصفى ماله واموال اهله وقتله. قال ابو الحسين عبد الواحد بن محمد
فحدثت بهذا الحديث ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات و ابا الحسن علي بن
عيسى كل واحد على الانفراد في وقت مفرد فكل واحد منهما اقرط في
استحسانه حتى سأل ان امليه عليه فكتبه عني بخطه . « للبحث صلة »

(١) م. ع. كذا في الاصل والنسواب وفي (٢) م. ع. كذا في الاصل والفصيح
وقت بغير الف في جميع معانيها .

أسامة بن منقذ

- ٢ -

« أسامة في وادي موسى »

لني أسامة ضيقاً شديداً في وقعة كانت بينه وبين الفرنج قتل فيها ابنه حسام الملك وأمر ابنه ناصر الدين وأخوه نجم الدولة أبو عبد الله محمد وأخذت خزائنه وحرمه وقتل الفرنج كل من ظفروا به ، وهو بمن معه تحصن في الجبال .
يقول أسامة : فسرنا في اشد من الموت في بلاد الفرنج بنهر زاد للرجال ولا علف للخيال الى ان وصلنا جبال بني فبيد لعنهم الله في وادي موسى وطلعتنا في طرقات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة وهناك رجال وشياطين رجيمة من ظفروا به منا منفرداً قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائفين فدألت من هاهنا من امراء بني ربيعة قالوا منصور بن عذقل وهو صديقي ودفعت لواحد دينار بن وقلت له افض الى منصور قل له صديقك بن منقذ يسلم عليك ويقول لك صل اليه بكرة ، ثم جاء منصور بن عذقل فصاح بالاعراب وسبهم فنفروا وقال اركب فركبنا وجمعت للامير الف دينار مصرية ودفعتها له وعاد وصرنا حتى وصلنا دمشق بمن سلم من الافرنج وبني فبيد يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة نفسها .

« اول وقائعه »

سيره ولده الى اقاميا سنة ٥١٣ هـ لقتال الفرنج الخيمين بها وكان الانتصار حليفه يقول أسامة في وصف هذه الحملة فرجعت على فارس في اولم قد التي عنه درعه وتخفف ليخوزنا من بين ايدينا فطعنته سيفه صدره فطار عن سرجه ميتاً ، ثم استقبلت خيلهم المتتابعة فولوا وانا غرما حفرت قتالاً قبل هذا اليوم وتحتي فرس مثل الطير ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ، ثم أجتن عنهم وفي آخرهم فارس عن حصان آدم مثل الجمل بالدرع ولامة الحرب ، انا خائف منه لا يكون جاذباً لي ليعود علي حتى رأيت ضرب حصانه بمحاره فلوح بذنبه فعلمت انه قد أعيا فحملت عليه وطمعته فتفنا الرمح من قدمه فمروا

م : ٤

من ذراع وخرجت من السرج خفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس ، ثم تراجعت وجذبت رمحي وأنا أضن اني قتلتها ، فجمعت اصحابي وهم سالمون وكان معي مملوك صغير بجرة فرساً لي دهماً مجنوبة وتحتة بغلة مليحة سرورية فنزل عن البغلة وبيتها وركب الشجرة فطارت به الى شيزر ، فلما عدت الى اصحابي وقد أمسكوا البغلة سألت عن الغلام فقالوا راح فعملت انه يصل الى شيزر ويشغل قلب الوالد ، فدعوت رجلاً من الجند وقلت أسرع الى شيزر وعرف والدي بما جرى ، فذهب فوجد الغلام يقص على والده الحالة ، ولما عاد أسامة قص عليه القصة .

« اقامته على عسقلان في قتال الفرنج »

أرسل الملك العادل أسامة للسير الى الملك العادل نور الدين الشهيد وقال له خذ معك المال المطلوب وامض اليه لينازل طبرية ويشغل الفرنج عنا لنخرج من هاهنا نخرب غز ، وكان الفرنج قد شرعوا في عمارة غزاة ليحاصروا عسقلان . فقال له أسامة : فان اعتذر او كان له من الا شغال ما يعوقه فأني شيء تأمرني به . فقال : ان نزل على طبرية فأعطه المال الذي معك وان كان له مانع فدوت ما قدرت عليه من الجند واطلع الى عسقلان أقم بها في قتال الفرنج واكتب اليّ بوصولك لا مرك بما نعمل ودفع اليه ستة آلاف دينار مصرية وحمل حمل ديبقياً ورتب معه قوماً من العرب ادلاء .

« في طريقه الى عسقلان »

يقول أسامة فلما دنونا من الجفر قال لي الادلاء هذا مكان لا يكاد يخلو من الفرنج فأمرت اثنين من الادلاء ركبا مهر بين وسارا قدامنا الى الجفر فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلي ورددتها الى العرب وندبت ستة فوارس من مماليكي وقلت تقدمونا وانا في أثركم فساروا يركضون وأنا أسير خلفهم فعاد اليّ واحد منهم وقال ما على الجفر احد ولعلمهم أبصروا عرباً ونسازع هو والادلاء فنفذت من رد الجمال وسرت فلما وصلت الجفر وفيه مياه وعشب وشجر ، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود فأخذنا ونفرق اصحابي فأخذوا رجلاً آخر وامرأتين وصبيين فجاءت امرأة منهمن أمسكت ثوبي وقالت يا شيخ انا في حبيك ، قلت انت آمنة مالك ؟ قالت قداخذ اصحابك لي ثوباً وناهقاً وناجحاً وخرزة فقلت لغلامي من كان اخذ شيئاً فليرده فردت هذه الاشياء اليهم ، جمع هؤلاء

أسامة حين رأى بهم من الضر ما رأى وقد يستجلوهم على عظامهم ، وسألم من اين انتم ؟ فقالوا نحن من بني أبي وبنو أبي فرقة من العرب من طي لا يأكلون الا الميتة ويقولون نحن خير من العرب ، ما فينا مجزوم ولا أرمس ولا أعمى ، وإذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم ، ثم سألم كم لكم هنا فقالوا من عيد رمضان مارأينا الزاد باعينا ، قلت : فمن اين تعيشون ؟ قالوا : من الرمة (يعنون العظام البالية) الملقاة ندفها ونعمل عليها الماء وورق القطف (شجر بتلك الارض) ونثقت به ، قال : فكلابكم قالوا : الكلاب نطعمها من عيشنا والحمر تأكل الحشيش ، فقال : فلماذا لاتدخلون الى دمشق ؟ قالوا : خفنا انوباء (ولا وباء أعظم مما كانوا فيه) وكان ذلك بعد عيد الاضحى فوقف حتى جاءت الجمال وأعطى هؤلاء الاعراب من الزاد الذي كان معه ، ثم قطع فوطاة كانت على رأسه وأعطاهما للرايتين فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد ، ثم أسدى اليهم النسع راغباً عدا قامتهم في هذا المكان خوفاً عليهم من ان يسببهم الافرنج .

« وقوعه في التيه »

وقع أسامة في تيه اثناء مجيئه الى نور الدين الشهيد في بصرى ولولا لطف الله لمالك في هذا التيه وقد وصف نيه وصفاً بطول شرحه هرب منهم البغل في اثناء رحلته هذه وعليه اربعة آلاف دينار فلحقه بفرسه فأعيا عن اللحاق به وقد كان لحقه الغلام ايضاً فعاد بالخرج دون البغل قائلاً بامولاي وجدت الخرج ولم اجد البغل فقال للخرج كنت اطلب والبغل اهوون مفقود .

« صيده وقنصه »

كان أسامة ولوعاً بالصيد والقنص كما ولع به ابوه من قبله فقد كان والده ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج الصليبيين يركب الى الصيد يوماً ويستريح يوماً ، نسخ عند فراغه ستاً واربعين مصحفاً يخططه منها ختمتان بالذهب جميع القرآن وكان صوفاً قوفاً . كان لأسامة في شيزر متصيدان متصيد للحجل والارانب في الجبل قبلي البلد ، ومتصيد لطير الماء والدراج والارانب والغزلان على النهر في الازوار من غربي البلد ، وكان يتكلف في تسير قوم من اصحابه الى البلاد لشراء البزاة فأتقذ الى القسطنطينية من احضر منها بزاة وقد حمل الغلمان معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم

فتغير عليهم البحر وتعرفوا ولم يبق من لحوم الطير فاضطروا ان يطعموا البزاة من لحم السمك
فاثر ذلك في اجتمعها وصار ريشها ينكسر وينقص فلما وصلوا بها الى شيزو كان فيها
بزاة نادرة وكان لدى والد خادم (بازيار) عارف في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له
غنائم فوصل اجتمعها واصطاد بها وقرنص بعضها عنده وكانت اكثر ما يستدعي البزاة
ويشترى بها من وادي الاحمر ، وحسبنا ان نلج الى صيده وقنصه الماعا خاربين صفحا عن
كل ما وقع له في صيده وتربيته البزاة .

« صيده مع الملوك والامراء »

حضر الصيد مع والده مرشد بشيزو في مدر العمر ومع ابنائه عمه بها ومع ملك
الامراء اتابك زنكي بن آق منقر .

ومع الملك العادل نور الدين ابي المظفر محمود بن اتابك زنكي رحمه الله ، وبديار
بكر مع الامير نجر الدين - قرا ارسلان بن داود بن ارتق .

« ادب أسامة وشعره »

أسامة اديب كما اسلفنا تلمس من شعره الجزالة والسهولة لم يستعمل عربص الالفاظ
ولا وحشي الكلام مدح في شعره وعنب وبكى وتغزل وحرص ونحوه وحن الى الاوطان
حنين الابل الى الاعطان حتى انه ضرب في كل فن وتناول طرفاً من كل علم ، وله ديوان
شعر في مجلدين لم اعثر عليها بالرغم عن كثرة بحثي وتطلعي ولكني لم اعدم الحصول على
شيء كثير منه في اثناء مطالعتي الكتب وتصفي اباما ومن جملة ما عثرت عليه كتاب
المصا وهو في نحو مائة وخمسين صفحة نخته على نسخة طبعت في باريز كنت اوصيت
عليها صديقي الحميم ورفيق الدراسة المرحوم الدكتور صالح قنبار وانا اليوم آخذ بتصحيحها
وضبطها وشرحها وزيادة ما عثرت عليه في المصا حتى يجي الكتاب جامعاً وافياً بالمرام .
« تنف من شعره »

وقعت نفرة بينه وبين ابن عمه صاحب شيزو لمقالة بلغته فكان ينظم في الكتاب ما هو
مستطاب . وما كنهه لايه بدل على كرم هنته وسامي أخلاقه وعظيم خلالة قوله :
وما أشكو تلوث اهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ريشت منهم فما أرجوهم فيمن رجوت

إذا أدمت قوارصهم فؤادي صبرت على أذاهم وانطويت
وجئت اليهم طلق الحيا كأنني ما سمعت ولا رأيت
تجنّوا لي ذنوباً ما جنتها بدائي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرأ كما قد أضمره ولا نويت
ويوم الحشر موعدا وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنت
وله أيضاً يشكو من العجran :

لا تسمر جلدأ على هجرانهم فقواك تضاف عن صدور دائم
واعلم بانك ان رجعت اليهم طوعاً والا عدت عودة راغم
وله قصيدة سير بها الى ابن عمه صاحب شيزر يعتذر له عن قول بلغه عنه جاءت
على قافية الفاء تبلغ خمسين بيتاً مطلعها :

أطاع ما قاله الواشي وما عرفا فراح يذكر منا كل ما عرفا
ومما أحفظه له ينشوق الى امله وصحبه ويحن فيه الى وطنه وهو من الشعر المنسجم
الذي يدخل الأذان بغير استئذان :

ما يريد الشوق من قلب معني ذكر الآلاف والوصل فخذأ
حبه من شوقه ما عنده وكفاء من هواه ما اجنأ
كلما شاهد شمالاً جامعا طار وجدأ وهنا شوقاً وانا
فرثي من رحمة عاذله ورأى الحاسد فيه ماتني
ويحه من حرق نعتاده وهموم حجة تطرق وهنا
يا زمان الوصل صقيالك من زمن لو كان قرب الدار عنا
قل لأحباب نأت دارهم وعلى قريهم أفرع سنا
ساء ظني باصطباري بعدكم ولقد كنت بكم أحسن ظنا

« وصف الزلزلة الكبرى في شيزر وحماة »

في سنة ٥٥٢ كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة اخرجت البلاد
واملكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر كما قال ابن الاثير فائما خربا
بالرة وخرب ما جاورهما تحصن بارين والمرة وغيرهما من البلاد وهلك تحت الردم

من الخلق مالا يحصيه الا الله ولولا ان يمن الله تعالى على المسلمين بنور الدين فيصلح ما تهدم
ويحفظ البلاد لملك البقية الباقية منهم واصبحت لقمة سائغة في نفواه الفرنجة . ومن
غريب ما يروى ان بعض المعلمين بحجة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فاخربت
الدار وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له
في المكتب مما يدل على ان الزلزلة اخذت اولياءهم ايضا .

في هذا الزلزال سقطت قلعة شيزر على آل منقذ ولم تبق على احد منهم اللهم الا
امرأة اخرجت من الردم ، وما يروى انه بينما كان احد ابناء آل منقذ فاراً من الزلزال
حتى اذا وافى باب القلعة ربحه الحصان فمات لوقته وبهذا لم ينج احد من آل منقذ الذين
هم داخل القلعة ، اما المرأة التي اخرجت من الردم فهي زوجة ابي الفضل اسماعيل بن
ابي العساكر بن علي بن مقلد تدعى الخاتون اخت شمس الملوك بنت بوري بن طفتكين
ولما جاء نور الدين الشهيد الى استلام شيزر طلب من هذه المرأة ان تعلمه عن المال وهددها
فذكرت ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت هي دونهم ولا تعلم بشيء . واذا كان لم شيء
فهو تحت الردم وكانت مشرف الدولة غائبا فحضر بعد الزلزلة وعان ما فعلت بشيزر واخيه
وشاهد امرأة اخيه بعد العز في ذلك الدل فعمل :

ليس الصباح من المساء بامثل فأقول لليل الطويل الا انجلي
شلت يد الايام انت قسيها ما ارسلت معها فاخطا مقلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمني لها جفني وقلبي يصطلي
يا تاج دولة هاشم بل يا ابا النسيجات بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نساءها لم يسبل
لرايت حصنا هائل المرائى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل
لا يهتدي فيه السعاة لمسلك فكأنما يسري بقاع مهول

ومما قاله فيها يذكر امرأة اخيه المذكورة .

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يملك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع ونعوضت عن عزها بتذل

« أسامة يرثي أهله »

أسامة رثى أهله الذين هلكوا في هذا الزلزال رثاءً مستقبها وبكاهم كثيراً في شعره
اكتفى بذكر شيء من قصيدته الذونية لأن له صراحي كثيرة بكي فيها ذلك العز الشامخ
بعبون هتانة هطالة وهي :

ولا تخزتهم مشني ووحدانا	ما استدريج الموت قومي في هلاكهم
واحمد الخطب فيهم عز أوهانا	فكنت اصبر عنهم صبر محسوب
أخاؤكم فارقوا اهلاً وجيرانا	واقندي بالورى قبلي فكهم فقدوا
رغمًا فغروا على الاذقات اذعانا	لكن سقيت المنايا وسط جمعهم
سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا	وفاجأتهم من الايام قارعة
هل ما ترى تارك للعين انساناً	مانوا جميعاً كرجع الطرف وانقرضوا
على الحفيظة انت ذولوثة لانا	اعزز علي بهم من معشر صبروا
قلبك اجشمه صبراً وسلوانا	لم يترك الدهر لي من بعد فقدم
وعاش لهم والاحزاب اشقانا	فلورأوني لقالوا مات اسعدنا
عنهم فيوضح ما قالوه تيبانا	لم يترك الموت منهم من يخبرني
للخطب أهلك عماراً وعمرانا	بادوا جميعاً وما شادوا فواعجبك
كذلك كانوا بها من قبل مكانا	هذي قصورهم أمست قبورهم
ذكرتهم خلثني في القوم - كرانا	ويح الزلازل افنت معشري فاذا
حييت الاكبر القلب حيرانا	لا التقي الدهر من بعد الزلازل ما
منهم كهولاً وشباناً وولدانا	اخنت على معشري الادنين فاصطلمت
بأساً تبادره الاقارب ازمانا	لم يحصهم حصنهم منها ولا رهبت
منيع أسوارها ينفك وخرسانا	ان أفقرت شيز منهم فهم جعلوا
بها لشاهدت آسداً وخفاناً	هم حموها فلو شاهدتهم وهم
غيثاً مغيثاً وفي الظماء رهباناً	ترام في الوغى أسداً وبوم ندي
وانت أروني مناواة وشناناً	بنوا لي وبنوا عمي دمي دمهم
وخلفوني على الآثار عجلانا	يطيب النفس عنهم انهم رحلوا

« مراسلاته مع ابن رزبك »

وكانت بينه وبين الصالح بن رزبك مراسلات شعرية ومطارات أدبية أفردت لها رسالة خاصة ، وقد أُرسل إلى أسامة بمزبه يقومه الذين هلكوا بالزلزال في قصيدة مطلعها :

بابي شخصك الذي لا يغيب عن عياني فهو البعيد القريب
ومنها : كره الشام أهله فهو محقو ق بات لا يقيم فيه ليب
ان تجلت عنه الحروب قليلاً خلفتها زلازل وخطوب
رقصت أرضه عشية غنى الرعد في الجو والصكر طروب
وثنت حيطانه اذ أمالتها شمال يزمها وجنوب
لا هبوب لنائم من أمانه والعاصفات فيها هبوب
ومنها : لطف نفسي على ديار من السكان اقوت فليس فيها محبب
فاحتسب ما اصاب قومك مجد الدين واحبر فالحادثات خسروب

وكتب أسامة إلى الصالح طلائع ابن رزبك هذا يسأله تسبب أهله إلى الشام وكان الصالح بن رزبك يتوقع رجوعه إلى مصر من حين لا آخر ويسير له الرسائل طالباً عودته إلى مصر ، وأسامة لا يرغب بالعودة بعد حوادث ابن السلال والظافر العبيدي .

اذكرم الود ان صدوا وان صدفوا	ان الكرام اذا استعطفتهم عطفوا
ولا ترد شافعاً الا هواك لم	كفاك ما اختبروا منه وما كشفوا
يا جيرة القلب والفسطاط دارم	لم تصب الدار لكن أصعب الكاف
فارقتم مكرها والقلب يخبرني	ان ليس لي عوض منكم ولا خلف
ولو تعوضت بالدنيا غبت وهل	بعوضي عن تقيس الجوهر الصدف
ولست انكر ما يأتي الزمان به	كل الوري لزايأ دهرم هدف
ولا أسفت لأمر فات مطلبه	لكن لفرقة من فارقتـه الاسف
المالك الصالح الهادي الذي شهدت	بفضل أيامه الأنباء والصحف
ملك أقل عطايا الغني فاذا	أدناك منه فأدني حظك الشرف
سعت إلى زهد الدنيا بخرقها	طوعاً وفيها على خطاياها صلف
مسهد وحيوت الناس حاجة	على التهجذ والقرآن معتكف

وتشرق الشمس من لآلاء غرته في دمه فتكاد الشمس تنكشف
فأجابه الصالح وكان يجيد النظم رحمه الله :
آدابك الغر بحر ما له طرف في كل جنس بدا من حسنه طرف
نقول لما اتانا ما بعثت به هذا كتاب اتى ام روضة أنف
إذا ذكرناك بمجد الدين عاودنا شوق نجدد منه الوجد والاسف
يا من جفانا ولو قد شاء كان الى جنابنا دون اهل الارض ينعطف
« كتبه وتأليف »

لأسامة كتاب الاعتبار ترجم الى اللغة الافرنسية وترجم اخيراً الى اللغة الانكليزية
وعنونه المترجم بقوله « الرجل الكامل » وهو يشتمل على ترجمة نفسه ، وله كتاب العصا
وازهار الأنهار وكتاب البديع^(١) واختصر سيرة عمر بن الخطاب تأليف ابن الجوزي
البغدادي وقد عثرت على هذا الكتاب ونسخته وبعثت بالاصل مع مختصر الموافقة بين آل
البيت والصحابة للزمخشري الى العلامة الرحوم احمد قميور ، وله التاريخ البدرى واخبار
البلدان وذيل على خريدة القصر للباخرزي . وكانت لديه مكتبة عامرة تشتمل على غرر
المخطوطات ونقائسها تبلغ اربعة آلاف مجلد .

« أخذ الامان لاهله من الفرنج في جلبهم من مصر »
استقدم عائلته واولاده من مصر في مركب بعد ان اخذ لهم الامان من الفرنج فما كان
منهم الا ان أخذوا من النساء مامعهم من الحلي ، الجواهر والذهب والفضة بما يقدر بثلاثين
الف دينار ، يقول أسامة فهون عليّ سلامة اولادي واولاد أخي وحرمانا ذهاب ما ذهب
من المال الا ما ذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة
فان ذهابها حزا في قلبي ما عشت فهذه نكبات تزعمع الجبال . ولا ريب هذه الكتب
التي فقدتها هي غير الكتب التي كانت لديه في شيزر ولدى والده .

(١) قال في كشف الظنون : كتاب البديع في علوم الشعر لأسامة بن منقذ اوله :
« الحمد لله الحي القيوم » الخ ذكر فيه انه جمع ما تفرق في كتب العلماء من نقد الشعر
ذكر محاسنه وعيوبه وانه وقف عليه اه .

« نموذج من كتاب العصا »

اخترته لماله من العلاقة بدمشق

يقول أسامة رحمه الله حضرت بدمشق وقد وقع بين العميان وبين رجل كان يتولى وقفهم يعرف بابن البعلبي خلف فلقوا فيه صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري رحمه الله عدة مرار فقال للامير مجاهد الدين تالله خلصني منهم واجمعهم واحضر نائبهم في الوقف وافصل حالم فقال السهم والطاعة وقال لي مجاهد الدين بفضل واحضر معنا فاجتمعنا في ايوان كبير في دار وحضر النائب ابن البعلبي ونائب كان قبله يقال له ابن الفراءش وحضر العميان في نحو من ثلاثمائة رجل فحملوا قدامهم ودخلوا الايوان كل واحد وعصاه معه في يده وضماها الى جنبه ، ثم تجاروا الحديث فكان بعضهم هواه مع النائب الاول ابن الفراءش وبعضهم هواه مع ابن البعلبي فتناسزوا وتخاصموا ساعة ولا يتدخل بينهم لعلوا أصواتهم وكثرتهم ثم نواثبوا فارفع في الايوان نحو من ثلاثمائة عصا في ايدي العميان لا يدرون من يضربون وعلا الضجيج والصياح حتى ندمت على حضوري فتلطفنا في الامر حتى سكنت الفتنة بينهم ومشيا امرهم على ما أرادوا وما صدقنا انهم بنصرفون .

« نموذج من شعره في العصا »

كتب في كتاب الى ولده الامير عضد الدين ابي الفوارس مرهف الى مصر يطلب منه عصا من آبتوس وكان مرهف مؤسراً في مصر من قبل صلاح الدين رحمه الله :

أريد عصا من آبتوس ثقلي فان الثمانين استعادت قوى رجلي
ولو بعصا موسى انقيت لآدها على ما يهبها من قوة حملها ثقلي
ولكن تمنينا الرجاء بباطل وكم قدر ما نرجي المنايا وكم تملي
اذا بلغ المرة الثمانين فالرد ياجيه بالترحال من جانب الرحل

« وله في شيخوخته »

يشكو ضعف جسمه ويأسف على شبابه ويذكر من طول العمر والمدد :
مع الثمانين طأ الضعف في جلدي وساء لي ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت تخطي جد مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

وانت مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأنني أخوض الوحل سبي الجلد
فأعجب لضعف بدني عن حملها فلما من بعد حطم القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد
« هو والأسد »

حقاً ان أسامة لقد حطم القنا في لبة الأسد : بلغه ان هناك اسداً على شاطئ الفرات
يجمع الناس من المرور ولم يستطع احد ان يتعرض لقتله واقتاذ الناس مزشره فما كان منه
الا ان هب ذات يوم متقلداً سيفه ورمحه دون ان يعلم عمله وذوي رحمه ومضى الى الفرات
حيث مقر الأسد وما هي الا بضعة دقائق على منازلته اياه حتى حطم القنا في لبته فخر
صريعاً للبدن وللفم ثم جاء بأثاره الى شيزر فأكبر أهله عمله وكان يوماً مشهوداً .
« ضرائع العظماء تهان »

هؤلاء آل منقذ بامادة وذاك طرف من أخبارهم وهذا أسامة بن منقذ الفائد
المعظم والبطل المغوار الذي كان يد نور الدين العامة في صد اغارات الفرنج وفي الفتوح
والذي كان يخطب وده الامراء والملوك قد الممت بشيء من ترجمته وأثبت على تنف من
شمه وذكرت انه بعد البحث والتنقيب في بطون التاريخ تحقق لدي انه دفن في سنج
فاسيون — من ترى وقف على ضريحه وعرف مقره ، لقد ذهبت غير مرة الى ذلك
السنج الذي ضم أعظم الرجال ، وبحث بين الضرائع فلم أقف له على أثر ولعلي جهلت
مقره فلم امتد اليه ، ولكنني شاهدت أصحاب البنيان قد امتدوا الى الضرائع فتناولوها
وقوضوا دعائمها وبعثوا رفاتها وطمسوا اعلامها وشوهوا محاسنها وداسوا حرمتها ولا من
ينهي أصحاب هذا البنيان عن عملهم او يفكر في نقل رفات العظماء الذين يجب ان تبقى
ضرائعهم ماثلة لبراها ابناؤنا واحفادنا واحفاد احفادنا فيتحذروها قدوة صالحة لم نبهت من
الهم وتحض على العمل ، ولسان حالها ينطق انهجوا مناهجنا واسلكوا سبيلنا واقتفوا آثارنا
فلا حياة لكم ولا صلاح الا بما صلح به اولكم ، أليس من العار ان نهين عظماءنا ولا نفكر
في حفظ ضرائعهم وصونهم من إغارة المغيرين الجشعين النهمين الذين لا تأخذهم رافة
على الأمة في محو آثارها ومزاحمة ضرائع أعلامها ؟
أتضيق دمشق ضريح ابن منقذ مع الضرائع الضائعة من ضرائع العظماء والعلماء وهي

هد المروية وعنها يؤخذ الشتم واليه ينتهي الآباء ؟
 فإلى تجديد ضرائح العظماء أيها السادة إلى الاحتفاظ بها فهي الواعظ الأثوى للآباء
 والمرشد الأمين للأحفاد يدفع بهم إلى الامام ، وكأني بأبي العلاء فيلسوف العرب قد
 أدرك منذ ذلك الحين أن الناس يهينون العظماء ولا يعنون بضرائحهم فأهابت به نفسه
 للذود عنها والدعوة إلى احترامها واتضح في الأبقاء عليها وعدم الأوجهاز على أصحابها فطفق
 ينشد وما أجمل هذا الانشاد :

صاح هذي قبورنا تملأ الرح - بَ فأين القبور من عهد عاد
 خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض الا من هذه الاجساد
 سران استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
 فقبج بنا وات قدم العلم - دُ هو ان الآباء والأجداد
 « عودة للبحث عن ضريح ابن منقذ »

أليس من العار أن لا نعرف مقر ابن منقذ وهو هو الذي ذكرت من وقائمه وعلمه ونبله ؟
 هذا نابليون رجل فرنسا وعبقريها الفذ بعد وفاته في جزيرة القديسة هيلانة
 واستحالته إلى رفات بائية وعظام نخرة هب الفرنسيون من باريز فاستخرجوه من ضريحه
 ورجعوا به إلى قلب بلادهم بعيدون به ذكر نابليون وبشون في أمتهم ما كان لهم من العظمة
 والآباء والمجد والفخار .

الضرائح في الاسلام لها حرمتها ولها مكانتها فكيف بضريح علم من الاعلام وقائد
 من اكبر القواد كإبن منقذ وأضرابه من عظماء الامة وقادة الرأي المفكرين .
 هذا وأنا لا أرجو من المجمع العلمي متطعلاً على مائدته ان يؤلف لجنة في البحث عن
 ضريح ابن منقذ ومن على شاكلة من الأبطال الذين خدموا الامة وزادوا عن حياضها
 ونفعوا بعلمهم ودرابتهم راجياً ان يحل اقتراحي لديه محل القبول .

طاهر النصافي

آراء وافكار

في عدد كانون الثاني - شباط سنة ١٩٣٠ من المجلة مقال موسو . بـ « قوة الحافظة وكثرة المحفوظات » بقلم الشيخ كامل الغزي أورد فيه الكاتب (ص ١٢٠ - ٢١) حكاية عن لسان الامير أسامة بن منقذ ، يؤخذ منها ان أسامة اجتمع بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحان قوة ذاكرته وأعجب بها . ولكن أسامة ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) وابا العلاء توفي عام ٤٤٩ (١٠٥٨) فبينهما قرن كامل والواحد منهما لم يعاصر الآخر . ولا أثر لهذه القصة في مذكرات أسامة المعنونة بـ « كتاب الاعتبار » . فمن اين نرى آتى بها الشيخ الغزي ؟

جامعة برنستون : فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

٢ -

كتاب ادب السلوك - لابي الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الاندلسي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ ، المشتمل - كما جاء في مقدمته - على مشاريع كلمات الحكمة والادب والاخلاق وهو يقع في ٢١٦ صفحة صغيرة يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثامن الهجري .

قاموس الاطباء وقاموس الالباء - لمدين بن عبد الرحيم القوسي المصري من أطباء القرن الحادي عشر الهجري وهو في المنردات الطبية في ٣٥٨ صفحة كبيرة . (رقم ١٠٨ : الطب) .

ما لا يسع الطيب جهله - ليوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكبير من اطباء

القرن الثامن وهو في مجلد ضخم يقع في ٨٠٠ صفحة كبيرة كتب سنة ١١٣٣ هـ (رقم ١٠٣ الطب).

منهاج البيان فيما يستعمله الانسان - لابي العبار يحيى بن عيسى الكاتب الملقب بالرئيس الأجل المتوفى سنة ٤٩٣ هـ ضمنه ذكر جميع الادوية والاشربة والاغذية وكل مركب بسيط ومفرد ورتبه على حروف المعجم وهو في جزءين في مجلد واحد ينقص الجزء الاول منه ورقة واحدة وكان الفراغ من نسخه سنة ٩٦٢ (رقم ١٠٧ : الطب).

خلاصة تحقيق الظنون في الشرح والمتون - تأليف كمال الدين محمد بن مصطفى الصديقي وهو ذيل لكشف الظنون وقد ضم مؤلفه ما زيد على كتب العلم من الكتب وما لم يطلع عليه صاحب كشف الظنون (فتون متنوعة رقم ٤٣).

شذرات الذهب في اخبار من ذهب - تأليف عبد الحى بن احمد المعروف بابن العماد الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ وهو في ١٠٩١ صفحة كبيرة بخط شعبان الخزرجي سنة ١٠٨٥ (رقم ٣٨٧ : التاريخ).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - تأليف ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ وهو في مجلد كبير عدد صفحاته ٥٤٧ وفيه خط ابراهيم البقاعي (رقم ٣٨٨ : التاريخ).

طبقات النخاة واللغويين - تأليف ابي بكر احمد بن محمد بن عمر ثقي الدين بن قاضي شهبة الاسدي الدمشقي المتوفى سنة ٨٥١ ويلي مختصر طبقات النخاة للزبيدي اختيار المحلى وهو في ٦٤٠ صفحة صغيرة كتب سنة ٩٥٠ (رقم ٤٣٨ : التاريخ).

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

فاوست

— ترجمها —

« الاستاذ محمد عوض محمد »

القصة وضعها شاعر المانية « غوته » —

خلاصتها على وجه التقريب ان الدكتور « فاوست » خلا بنفسه ساعة ، فرأى انه قد جهد في كل شيء ، جهد في طلب الفلسفة والشريعة والطب وعلوم الدين وهو بعد هذا كله لم يخط الى المعرفة خطوة واحدة . —

وانه لفي هذه الوسوس وأمثالها اذ دخل ابليس عليه غرفته فتساقطا أطرافاً من الأحدث ثم تعاقدتا على ان يكون ابليس عبداً للدكتور « فاوست » في هذه الدنيا وعلى ان يكون الدكتور « فاوست » عبداً لابليس في اليوم الآخر . —

وجزاء هذا التعاقد ان الدكتور « فاوست » سير به ابليس في هذه الحياة ما لم تره العيون وما لم يخطر على بال . —

وعلى هذه الصورة نعم الدكتور « فاوست » بجهانه وغرق في اللذات على اختلاف أنواعها ، وأفضت به لذاته الى الاستيلاء على قلب فتاة بلغ من حبها اياه ان قتل أمها وابنها ، وأن كانت سبباً في قتل اخيها في سبيل حبيبها « فاوست » ثم سجن . —

نعم : هذه خلاصة القصة ، ولكن الحكمة لا تجدها في القصة نفسها ، وانما تجدها في تضاعيف القصة ، انك لتجد في تحاور ابليس والله ، وفي تحاور « فاوست » والروح ، وفي تحاور « فاوست » وتلميذه ، وفي تحاور « فاوست » وابليس شيئاً من روح الفلسفة ، وهذا الشيء انما هو الاستهزاء بالقوانين والشرائع والفقه والدين والمذاهب كلها ، وبالنساء والكنائس ، فاذا أعجبتك قصة « فاوست » فانها تعجبك من فاحية أساليب التهكم ، على انك تجد بين تهكم الالمان وبين تهكم الفرنسيين من الفرق مثل ما تجده من الفرق بين طبائع الأمتين . —

قدّم الترجمة الدكتور طه حسين .—

قدّم في قسم منها الاستاذ محمد عوض محمد وذكر رأيه في الترجمة ، وأشار في قسم آخر الى قصة « فاوست » وبين رأيه فيها .—

خلاصة رأي الدكتور طه حسين في ترجمة الاستاذ عوض ان هذه الترجمة جيدة لا يذكر الدكتور انه قرأ بالعربية ترجمة كتاب من كتب (اوروبية) تعدل هذه الترجمة او تقرب منها دقة ، وخفة ، وسهولة ، وظرفاً ، وأضاف الى هذا كله ان هذا (الجغرافي) لا تنقص شعره الخفة والروعة والظرف في اكثر الأحيان .—

الترجمة في رأي الدكتور طه حسين سهلة يسيرة ، ليس فيها لفظ غريب او كلام متنفخ وانما هي مشتملة على كلام مألوف منسجم عذب .—

امامقدمة الدكتور طه حسين فلا يخلو قسم قليل منها من روح الدكتور نفسه ، فقد غلب على كتابات الدكتور طه حسين أسلوب الاساتذة المدرسين ، وأعني بهذا الأسلوب المطمطة ، فالدكتور طه حسين أستاذ مدرّس فهو مكلف في « كلية الآداب » أن يأخذ بمخدّتي الكلام في ساعة تدريسه خوفاً من ان تنفلت منه هذه الساعة دون ان يحشوها كلاماً ، فالكلام غالب على لسانه في اكثر الاحايين وقل ما تجد لسانه سلطاناً على الكلام ، ولست أدري اني جمهور القراء من يأنس بالتعطط في الكلام ام فيهم من تزعجه المطمطة في معظم الأوقات .—

واما ترجمة الأستاذ عوض فهي لا تخلو من السهولة التي أشار اليها الدكتور طه حسين فالصحيح ليس فيها كلام متنفخ ، وأريد بالكلام المتنفخ هذا الكلام الذي يزيد على المعنى فلا يكون مناسباً له ، قد تلجأ اليه طائفة من الكتاب ليستروا به شيئاً من ضعف معانيهم .— ولئن لم تخل هذه الترجمة من السهولة فقد خلا أكثرها من شيء غير السهولة ، فاذا أعوزها شيء فانما تعوزها هذه الموسيقى اللفظية التي تجعل للكلام وقعاً حسناً في الآذان ، واللغة الشعرية اذا خلت من آثار الموسيقى اللفظية ضعف سلطانها ، فقد يكون الكلام سهلاً ولا يكون وقعاً حسناً في الآذان ، « فالحياة الارضية » سهلة الالفاظ ، ولكنها في هذه السهولة بعيدة من ان تستحقها الآذان . « شفيق جبري »

عضو المجمع العلمي العربي

مجلد علمی عربی

الموافق المحرم سنة ١٣٤٩ هـ

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٣٠ م

المحاضرة الثانية عشرة

عروبة المتنبی (١)

الفتی العربي

- ٤ -

حرص العرب على قوميتهم - اختلاط العرب بالاعاجم -
أشنت العرب

« نغني الشعراء بالقومية العربية »

أرايتم كيف كان اليابانيون وهم في ارض غيرارضهم ، وتحت سماء غيرسمائهم يلهجون
بذكر بطونهم وأحبيائهم ، وقد تفاذت بهم وهاد وتلاع ، وشطت بهم غربة نازحة ،
أرايتم كيف كانوا يحنوت الى قبلهم وعشيرهم ، فما يسمون منازلهم في خد العذراء الا
كندة والا السبيع ، أرايتم كيف كان اهل البدو يعتصمون بالعروة الوثقى من قوميتهم
ونطرب السننهم بذكر بانهم ، وهل القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا
النغني باصحاب هذه الذكريات .

قال المؤلف الايطالي (فرورو Ferrero) أصبح احتفال الامم بعد تعاقب مائة عام

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري
عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على وفاة الفضلاء من رجالها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا مما جاء به القرن التاسع عشر .

والى هذا رجعنا او غشت كونت لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال بمنزلة عقيدة من عقائد البشر .

فالمعتقد الذي يذهب اليه الافرنجية في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم الدهر ولئن ملأ مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاذ « دورل » فان هذا المذهب قد ملأ تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر .

لقد كان العرب يحرسون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاضرهم بغايرهم ولم لا يحرسون هذا الحرم ، وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، ينتسبون الى اصل واحد ، وقد تقاربت اهلهم وطبائعهم ، وتشابهت ميائهم وسحناتهم ، وتماثل تاريخهم وسياساتهم ، وجهتهم ارض واحدة ، واطلتهم سماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبيئتها ولغتها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا امما من اجناس مختلفة ، يتكلمون بلغات مختلفة ، ويدخلون في ادبيات مختلفة ، اننا نرى شعوباً يحكمهم نظام قومي محكم وهم مبثرون في نواحي العالم كله . كاليهود مثلاً اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة ، كالانكليز واميركان الشمال ، وكسكان اسبانية وجمهوريات اميركة الجنوبية ، وكسكان البرغال والبرازيل ، وكسكان فرانسة وباجيكة الشرقية وكسكان المانية وسويسرة الشرقية ، اننا نرى امما من اجناس مختلفة ، كالروس ، او كاهل الولايات المتحدة ، حيث نشاهد الالبيض والاسود والاحمر . اننا نرى امما فيها مذاهب شتى واديان متباينة ^(١)

فاملان من العوامل بنشأت الامة : اشتراك الامة في ميراث ملان من الذكريات واجتماع كلمة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك ، فالعرب في قديم الدهر قد تناولت ميراثاً خصيصاً بذكر يانه وتضافرت على احياء هذا الميراث فعاشت به زمناً رغداً بتغني العربي

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات .

بعروبيته . ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره ، يتصرف في ملكه لا بشاركه رومي او تركي او فارسي او ديلي في سلطانه ، العروبة لسانه والعمائم نيجاته والمشرقية سيوفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصب :
« يتبخترن على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن سرعان ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كرد النفس واذا القيسية واليمانية ، واذا الفتن والشغب ، واذا الفرس والترك والديلم ، واذا التطاول لانتزاع الملك والسلطان ، واذا الفرقة بعد الالفة . واذا الطولونية والاشيدية والحمدانية والفاطمية والسجوقية ، ذهبت وحدة العرب او كادت ، وطلعت الشعوبية في البلاد فلا عز ولا منعة ولا حكمة السن ولا شدة عقول :

فلست بتارك ايوان كسرى لتوضح او لحومل فاله خول
وضب في الفلا ساع وذئب بها يهوي وليث وسط غيل
هذه هي نغمة الشعوبية بعد ان كان السلطان عربياً واللسان مضرباً . والوشي يمانياً
ازدحم الاعاجم في البلاد واخذ عمال الخلافة العباسية ينفصلون عن بغداد وينفردون بامور
الملك والسلطان ، قال غستاف لوبون :

« من جملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم الذين خضعوا لسلطانهم ، فقد ادى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه بعضهم بعضاً والى تنازع هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله تزاوج عناصر متباينة ، فافسد هذا التزاوج دم الفاتحين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سبباً في اقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور واثبت التاريخ ان لا سبيل الى ابقاء اجناس مختلفين في قبضة واحدة الا بامرين ، اما ان يشند سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم وأما ان لا يتزوج الغالب الى نساء المغلوب اي ان لا يندمج الغالب في المغلوب وهذا الامر الثاني لم يحذره العرب - »
نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى اختلطوا بالاعاجم فتفرقت كلمة العرب وضعف تفني القوم بعروبيتهم .

فلنتظر في هذه الحالة الالمية هل حافظ المثني على عروبيته ، أفكان يضطرب في هذه العروبة اضطرابه في حنينه الى وطنه ، أفكان يتغنى بها مرة ، ويعقها مرة ، كما

كان يحن حيناً الى كندة ، وحيناً يرى ان كل مكان ينبت العز طبيب ، فلتنظر هل
اشتدت الفة المنني ليمانته وعروبيته في جمع اطوار حياته .

لئن كان ابو الطيب قلقاً في تغنيته بتربيته كريشة في مهب الريح ، لئن عطف حيناً
على وطنه وعقه حيناً آخر ، فما كان قلقاً في تغنيته بعروبيته ، لم يعقها في يوم من ايامه
ولا حدثته نفسه بالانسلاخ منها في حال من احواله ، ولئن لم تشد الفة ابو الطيب لتربيته
فقد اشتدت الفة ليمانته وعروبيته فهذه العروبية ممزوجة بنفسه . موصولة بروحه من اول
حياته الى آخرها .

المنني عريق في يمانته ، شديداً الحرص عليها وهل هو الا من جمني وهمدان ، وكأني
به وهو يقول في صباه على لسان بعض التوخييين :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يمانني

كأني به يريد نفسه بهذه اليمانية ولكن ابا الطيب لم يقبع في عقر يمانته فقد طار في
فضاء اوسع وحلق في سماء امد ، فانسلخ من اليمانية واندمج في العروبية بفاخر بكل شيء
عربي بفاخر بلسان العرب وبتيجان العرب وبسيرف العرب . وسواء أكان ابو الطيب
رفيق الحال ام كان واسع النعمة وسواء أكان في بلاد العرب ام كان في بلاد المعجم انه
حافظ على هذا الدم العربي وتعلق بامداد هذه القومية العربية فلم يرض بغيرها ديناً
ولم يبع عنها حولاً .

وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان بارض فارس وهو احد منزهات الدنيا ، مشهور
بحسنه وكثرة شجره وتدفق امواجه وكثرة انواع طيره .

اذا أشرف المحزون من رأس تلعة على شعب بوان استراح من الكرب
تغنى به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء ارق من دموع العشاق واورد
من ثغور الاحباب ، ووصفوا تفرق آذيها وتدفق تيارها وتكسر حبابها في خلال زهر
ورياض ، ووصفوا ظلها الخضل الالمى ، ما قولكم في شاعر يصف هذا المنتزه ويقول فيه :

ملاعب جنة لو سار فيها سلجان لسار بترجمان
طبت فرسانا والخليل حق خشبت وان كر من الحران
غدونا ننفص الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبني الحرعني وجئن من الضياء بما كفاني
والتي الشرق منها في ثيابي دنائيراً نقر من البنات
لها ثمر تشير اليه منه باشرة وقفن بلا اوان
وامواه نصل بها حصاها صليل الحلي في ابدى الغواني
ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والفرائب فلم تستول على قلبه ولم تأخذ من
نفسه لانه تذكر وهو في شعب بوان انه عربي بين عجم فتأوه وقال :
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
وما هذا الفتى العربي الا ابو الطيب نفسه .
وحن الى منازل دمشق العربية وقال :
منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبذجات
اذا غنى الحمام الورق فيها اجابته اغاني القيات
ومن بالشعب احوج من حمام اذا غنى وناح الى البيان

* * *

من هذا يتبين لكم مقدار احتفاظ المتنبي بعروبيته وهو في آخر مدى حياته قد
وقف على الخسائر او جاوزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه النزعة القومية مذهباً
ابعد ، فهو لا يريد ان يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يعتقد ان العرب نتيج اذا كانت
ملوكها من العجم لان العجم ينقضون العهود ولا يخفرون الدم :

وانما الناس بالملوك وما نفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذم
بكل ارض وطئتها ام ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخزحين يلمه وكاث يبرى بظفرو القلم

وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الاتراك الذين بأمرهم على الناس . فالمتنبي
يرى بين قومه وبين الاعاجم من تراعي المسافات ما لا يمكن تقربه فهم متباينون في اللغة
والذكريات فليس لهم ماضٍ مشترك يؤلف بين قلوبهم . ليس لهم ذكريات واحدة .
وادب واحد . واخلاق واحدة . وتربية واحدة فالنفاذ مستحکم بينهم من كل النواحي .

فالمثنبيُّ عربي في سلطانه . وقد حملته عروبيته هذه في بعض الاحاين على ايلام
الاعاجم فانه لما قدم من الرملة يريد انطاكية مر بابن كيفلغ وهو رجل رومي كان يحافظ على
الطريق في طرابلس . فسأله هذا الرومي ان يمدحه فترفع ابو الطيب عن مدحه . فاعتاقه
ابن كيفلغ عن سفره ثلاثة ايام . فلما فارقه المثنبيُّ قال فيه قصيدته المشهورة : لهوى
النفوس سريرة لا تعلم . من جعلتها هذا البيت :

افعال من نلد الكرام كريمة وفعال من قلد الاعاجم اعجم

انظروا كيف كان ابو الطيب يتجرد للراماة دون حياض العرب . فقد كان يهاجر
بكل شيء عربي . يهاجر بلسان العرب وبنيجان العرب . ويسيوف العرب . وصحبته هذه
العاطفة الشريفة حتى آخر نفس من انقاسه الدكية . لما مدح ابن العميد في ارض
فارس وهنأه بالنيروز مدح فيه عروبية اللسان قبل كل شيء فقال :

عربي لسانه فلسفي رأبه فارسية اعياده

ولما انصرف سيف الدولة من الظفر بمحمن يوزويه وعاد الى انطاكية . جلس في
فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان . افتظنون ان ابا الطيب
فضل نيجان الروم على عمائم العرب كلاً ثم كلاً . فقد قال لسيف الدولة :

وفي صورة الرومي ذي الناج ذلة لا بلج لا نيجان الاعما

تقبل افواه الملوك بساطه ويكبر عنها كنه وبرا

نعم كان يفاخر بكل شيء عربي انظروا الى مفاخرته بيسيوف العرب قال يمدح
سيف الدولة وبذكر بناءه مرعش :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت تزارية عربا

وكان هذه النزعة القومية كانت نزعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان الحرب
التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صبغت بصبغة دينية فكان ملك الروم اذا غزا
بلاد المسلمين يجهز رجاله بالصليب الاحمر وقد كان شعراء العرب يومئذ يذهبون في شعرهم
بعض مذاهب اسلامية مجازاة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين قال ابو الطيب
لسيف الدولة :

خضعت لمنصك المناصل عنوة واذل دينك سائر الاديان
ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من افق الدين الى افق اوسع واعم ، فلم يقنصر
ابو الطيب في مدائحـه في سيف الدولة على الاشارة الى نصرة الاسلام في حرب الروم
ولكنه كان يرمي مرمى عربيا ابعد أفقا فمن قوله في سيف الدولة :

رفعت بك العرب العماد وصيرت قـم الملوك موافد النـسـيرات
انساب نـخـرم اليك وانما انساب اصلهم الى عدنان

فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك الدين .
فم كانت هذه الالهجة لهجة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بني سيف الدولة قلعة
الحدث وقد جمع ملك الروم اكبر مملكته وجهزم بالصليب الاحمر بناء كثير من
الشعراء من جملتهم السري الذي قال في بناء الحدث :

رفعت بالحدث الحصن الذي خففت منه الحوادث حتى ذل صاحبه
اعدته عروبيا في مناسبة من بعد ما كان روميا مناسبة
وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر ابياتا من جملتها :
وانك لي الجبل المشخر بل لقومك بل للعرب
ومن قول ابى نصر ابن نباتة في سيف الدولة :

حاشاك ان يدعيك العرب واحدا يامن ثرى قدميه طينة العرب
وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها ابو فراس على لسان نساء بني كلاب وذلك ان
سيف الدولة اصطنع بني كلاب وادناهم وآمن مربيهم فقهرها العرب وعلت كلتهم الى ان
بدت منهم هفوة احفظت سيف الدولة فاسرى اليهم وادفع بهم وملك حرمهم واموالهم
ثم صفع عنهم وكرم وجمع الحرم وكل بين الخدم وحملين وافضل عليهم واحسن اليهم
فكتب اليه ابو فراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها :

ينادين بين خلال البيوت لا يقطع الله اصل العرب !
وفي هذه الوقعة يقول ابو الطيب :

وان يك سيف دولة غير قيس فنه جلود قيس والثياب
وتحت ربابه نبتوا واثوا وفي ايامه كثروا وطابوا

وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذل لهم من العرب الصعاب

هكذا كان نغني الشعراء بالقومية حتى ان ابا تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية نزع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسه في آخر القصيدة الا النغني بالعروبة فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او زمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب
ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجأت اوجه العرب
فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على السن الشعراء في ذلك
العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا اشارة الى نزعة قومية لا يخفى امرها .

هذا ما عني لي من الكلام على عروبة المنبي ولم لا ينغني ابو الطيب بعروبيته ، وقد جاءت هذه العروبة من ناحية ابيه ومن ناحية امه فاخترت في صدره فلم تفارقه في طور من اطوار حياته ، واذا كان شاعر مثل المنبي لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن الذي بذهب هذا المذهب ، فاللسان العربي الذي لمج ابو الطيب بمحبته عامل من اقوى عوامل القومية ولئن وجدنا شعوباً يتكلمون بلغات واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة فلا يستنبط من هذا ان اللغة الواحدة لا تكون عنصراً من عناصر القومية فاللغة انما هي اشد الاواصر بين حاضر الامة وماضيها ، وبين احيائها وموتاهها . فيها كل شيء يربطنا بالماضي ، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها افكارهم وعواطفهم ، انها تضمنت ميراثنا الادبي الذي نعب آباؤنا واجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا تكون الامة امة على مصطلح هذا العصر الا اذا تضافر رجالها على الاعناء بهذا الميراث .

هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما نرعى اليه في الحاضر والآتي .

دمشق : في شباط سنة ١٩٣٠

هل كان المتنبي شعوبياً

- ٥ -

نفهم عنه التعصب لوطئه - نفهم عنه التعصب لقومه
« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيأت الكلام على ابتداء امر المتنبي ، وعلى اول تربيته وثقافته ، وعلى رقة حاله
وجملة اخباره ، ووصف طبائعه ، واعدته لأحضره في هذا اليوم الا ان المقام انقضى
ان اعود على ما بدأت به من الكلام على تعصب المتنبي للعرب والعروبة ، وعلى حنينه الى
وطنه واضطرابه في هذا الحين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عملوا
كتاباً على حدة في ابي الطيب المتنبي بنفون عن ابي الطيب تعصبه لقومه ، وتعصبه لبلده ،
ملقين الكلام على عواهنه دون شيء من التحجيص . أماتتهم عنه التعصب للوطن ، فقد
استندوا فيه الى طائفة من الابيات التي رويتها لكم واثرت فيها الى اضطراب المتنبي في
حنينه الى تربته منها :

وما بلد الانسان غير الموافق ولا امله الادنون غير الاصادق
ومنها وكل امري بولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
واضافوا اليها أبياتاً غيرها من جملتها :

غني عن الاوطان لا يستخفي الى بلد سافرت عنه اياك
ومنها : في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل
على ان البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو :

اذا صديق نكرت جانبه لم تعني في فراقه الحيل

بدل على ان ابا الطيب اذا حدثه نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فانما ذهب هذا
المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهب لانكاره جانب الوطن نفسه .

ذكروا هذه الآيات كلها ، وقارنوا بينها وبين الآيات الآتية التي يقولها أصحابها في حينهم الى بلادهم والى قومهم :
 بلادي وان جارت علي عز بزة وقومي وان ضنوا علي كرام

او كقول المعري :

فلا مقلت علي ولا بارض صحائب ليس تنتظم البلادا
 فحكوا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده ، ورموه بضعف الخلق ، وشبهوه بالطفل الذي
 يمد يديه الى الخير ، لا يبالي اين وجده وكيف التقطه . -
 واما تفهم عنه التعصب لقومه ، فانهم لم يذكروا الآيات التي استندوا اليها في هذا
 النبي ، ولكنهم اشاروا الى مدائح ابي الطيب في عضد الدولة وفي كافور وعجبوا من
 المتنبي كيف يمدح الاعاجم بعد قوله :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

كيف يمدح ابو الطيب عضد الدولة ، وكيف يذكر في شعره اسمه ولقبه ويقول :
 وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
 اباشجاع بفارس عضدالدولة فتسا خسرو شهنشاها

نعم عجبوا من هذا كله ، فحكوا على المتنبي انه مجرد من التعصب للعرب ولبلاذ العرب
 فكأنهم يقولون فيه انه شموبي ، وان هم لم يصرحوا بهذه الصفة ، فلننظر في مبلغ هذا
 العجب ومقدار هذا الحكم ، أفكانوا مصيبين في هذا الحكم ام كانوا مخطئين فيه ،
 أفصدر حكمهم بعد ان نظروا الى ابي الطيب من جميع النواحي ، ام صدر الحكم وهم لم
 ينظروا الى المتنبي الا من ناحية واحدة ، فلا بأس بان يكون الدرس في هذا اليوم ضرباً
 من النقد :

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر ، وصوبوا النظر وصعدوه في بواطن هذا الشاعر
 وفي ظواهره ، نظروا اليه من طرف واحد . فمنهم من ينظر اليه من الناحية التي يظنها
 ناحية المحاسن ، ومنهم من ينظر اليه من الناحية التي يحسبها ناحية المساوي ، وفي هذين
 المذهبين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى . واتقياد للعاطفة ، وضعف في النظر

وما ينبغي للناقد ان يكون خاضعاً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فأنهم اذا ذهبوا في النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة ضاعت الحسنات ، حتى انهم ليعظمون العورات في بعض الاحيان ويتعقبونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سبلة خفية فيفضون على الروائع ويتهامسون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واذا الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه من وجه الحسنات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد وحكم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجوانب .

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل نزعة قومية واعتمدوا في تجربتهم هذا على الابیات التي رويها لهم فلانظر في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شوقه الى تربته ، وقد بينت اضطرابه في هذا الحنين فلا أجد حاجة الى الرجوع اليه . وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه منذ نشأ وترعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى انطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقيم بوطنه فلم تألف عينه هذا الوطن ، ومنها ان النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتذهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لتكاد تعاف الحياة والتمني عصبي المزاج فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وضيق في الصدر كما تعرض لكل واحد منا وما قولكم في شاعر يترك بلاد الشام ويزهد الى مصر فيخلى له كافور داراً ويخلع عليه ويحمل اليه آلافاً من الدراهم فيستقبله المتنبي بهذا الشعر :

كني بك داء ان ترى الموت شافياً وحس المنايا ان يكن امانيا
ما قولكم في شاعر يتمنى الموت وهو في مجبوحة من العيش وسعة من الامل أفى أكثر
عليه ان يعاف بلده في بعض الساعات اذا كان يعاف حياته ، على ان ابا الطيب لم يجرّد
من العاطفة الوطنية كل التجريد ، فانه اذا اضطرب وقال :

غني عن الأوطان لا يستغني الى بلد سافرت عنه اياب

هدأ بعد مضطربه وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عجمي :
أحب حمص الى خنصرة وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصمصان مشتاها

وان الذي يقول : وكل نفس تحب محياها ، او يقول : أحب الى اهلي واهوي
لقاءهم ، لا يرمى بمقعة الوطن فكان ابا الطيب بضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ فيصفو
خاطره ويروق ذهنه فيذكر اهله ووطنه فكان يجب على الذين نقوا عنه التعصب لبلده
ان ينظروا اليه من النواحي كلها ، من ناحية حنينه الى تربته ومن ناحية اضطرابه في
هذا الحنين حتى يكون حكمهم صادقا الا انهم لم ينظروا اليه الا من ناحية واحدة ،
فأشاروا الى الابيات التي دلت على اضطرابه في الحنين الى الوطن وسكتوا عن الابيات
التي تضمنت حنينه اليه فاما ان يكونوا متحاملين على المثني ، واما انهم لم يقرأوا ديوانه
كله ، والأمر الثاني أغرب فكيف يؤلفون في هذا العصر كتاباً في شاعر من الشعراء
ولا يقرأون شعره كله .

على انهم لو انصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنه اي في حنينه الى تربته من
الناحيتين ، واحبوا ان ينقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيه بتربته لوجدوا مجال النقد
ذا سعة فان ابا الطيب لم يخلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها ، فلم يحملها على الحنو
على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا واجدادنا فلو أحطنا مثلاً في شعر
ابي الطيب وهو في مصيفه في حمص بالعاصي من منعطفات شطوطه ، فحنا على
هذا النهر المنبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروجيه وفي جنانه وشمنا نسيم الشبح
والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرنا حينئذ بفوط الحنو على هذه الارض
الكريمة حيث نبئت لنا في كل بقعة من بقاعها اصول دقيقة قوية نذكرنا فيها
وعشيرنا في الماضي .

لو نقدوا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يخلف في شعره صورة تجمع أشكال
التربة التي ألفها والوان هذه التربة لأصابوا في تقدم بعض الاصابة ولكنهم لم ينقدوه
من هذا الوجه وانما جردوه من العاطفة الوطنية فجربداً ، وهذا موضع الاشتطاط ، على

ان ابا الطيب لم يخل شعره من اثر للتربة التي مربها والفها ، ولكن هذا الاثر انما هو اثر اعرابي يوافق ذوق ابي الطيب وعادته في مشابهة الاعراب وهل هو الا ابن البادية ، وريب القبائل الف الاعراب من حداثة سنه واخذ عنهم اللغة . صحيحهم منين ثم جاء الكوفة و . و بدوي قح ، نعم لم يخل شعره من اثر للتربة التي الفها فانه كما قال :

احب حمماً الى خناصرة وكل نفس تحب محباً
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشناها

وصف في مصيفه في حمص ومشتهاء بالصحصحان غط عيشته وما هذه العيشة الا عيشة الأعراب :

ان اعشبت روضة رعيناهما او ذكرت حلة غزوناها
او عرضت عانة مقزعة صدنا باخرى الجياد اولاهما
او عبرت هجمة بنا تركت تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطاردة تجر طول القنا وقصراها
يعجبها قتلها الكاة ولا ينظرها الدهر بعد قتلها

هذا الذي تركه لنا من آثار مصيفه ومشتهاء في حمص والصحصحان وانتم ترون ان هذه الآثار اعرابية ما فيها الا الصيد والا الغزو .

فلننظر الآن في حكمهم على المتنبي من الناحية القومية ، فقد عجبوا منه كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح امراء العرب كسيف الدولة واضرابه ، وبعد تعريضه بكرامية العجم ، لا شك في ان ابا الطيب مدح ملوكاً وامراء لا ينسبون الى اصل عربي من جملتهم عضد الدولة ومن جملتهم الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاجم دليلاً على لينه في عروبيته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص فإنه لم يجر على شعره في مدائحه فيهم شيء يستلخص منه فضل الاعاجم على العرب او انه طعن على العرب ورفع من مقادير العجم كما كانت تفعل الشعوبية ، فهو لم يمدح الروم والصقالب والبلغار ولا مدح المستق وقسطنطين . وانما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون بلغة العرب وبفأخرون بها فإن ملوك آل بويه شعروا وروبت لهم اشعار وكان في خدمتهم

من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصابي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف وابي احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وأبي القاسم علي بن القاسم القاشاني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم ممن كانوا امراء البيان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد غرقت في خضم العربية وكان عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالي في يتيمة بتفرغ للادب ويتشغل بالكتب ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء ويقول شعراً كثيراً قال ابو بكر الخوارزمي :

كان بنادم عضد الدولة بعض الادباء والظرفاء ويحاضر بالادوصاف والتشبيهات ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآ لانعما وغيرهما الا وانشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فيبدا هو ذات يوم معه على المائدة ينشده كمادته اذ قدمت بهطة فنظر عضد الدولة كالامر اياه بان يصنها فارتح عليه وغلبه سكوت معه فارتجل عضد الدولة وقال :

بهطة تعجز عن وصفها يامدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مجلوة لآلي في ماء كافور

وقد رويت اشعار لابنه تاج الدولة ابي الحسين احمد ولعز الدولة ابي منصور بخنبار ولابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالمنبي لم يمدح ملوكاً طعنوا على العربية وانما مدح ملوكاً كانوا يتكلمون بها ويقاخرون وفي اتصاله بهم لم ينس عروبيته ولم يتجرد منها واظن انكم لاتزالون تذكرون قوله في مغاني شعب بوان .

ولكن الفتي العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

والنزعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لاتهمة العصبية لقومه لا يستوحش في بلاد العجم وقد كان يستطيع ان يرضي العجم فيقول لم مثلاً اذا نزل العربي بارضكم فلا يكون غريباً ولكن نفسه العربية أبت الا الوحشة والا الحنين الى منازل دمشق .

وكذلك الامتاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري وكانوا يتفاوضون في اللغة والادب حتى ان المنبي عارض الانصاري بمحاضرة كافور في نصيدته الميمية التي يقول فيها : (نظر المحب الى الحبيب غرام) ، وقال له : العرب لاتقول اليه

غرام وإنما العرب تقول له ، فقال له الانصاري : العرب تقول اليه ولديه . له وحروف
الخفض ينوب بمضها عن بعض .

فالملوك الذين تعمروا بهم بأشكال هذه المجادلات إنما هم ملوك لا بكرهون العربية
على ما أظن فما في مدح المتنبي لم طعن عليه من الناحية القومية فما كان يحضرنهم بغض
من العرب و ينقصهم .

فالمتنبي عربي في أصله ، عربي في عيشته ، عربي في نزعتة ؛ وقد صحب الأعراب
وخالطهم ولهذا المخالطة آثار في شعره فيجب على الذين يتفنون عنه التعصب لوطنه ولقومه
ان ينظروا اليه من كل النواحي حتى يكون تقدمهم صحيحاً .

دمشق : في ٨ شباط سنة ١٩٣٠



أين تعلم المتنبي

- ٦ -

عرفنا أين ولد المتنبي ، وعلمنا ما تيسر لنا علمه من نسبه وعروبيته ، فأين تعلم القراءة والكتابة ، وأين طلب أدبه ولغته ، وهل كان لمدرسته آثار في عبقريته ، هذا ما أبحث عنه وأياكم في مجلسنا هذا .

قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كانت أبو الطيب محباً للعلم والادب فصحب الأعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدويّاً قحاً ، وكان تعلم القراءة والكتابة فلزم أهل العلم والادب وأكثر من ملازمة الورّاقين فكان علمه من دفاترهم .

وقال الثعالي : ذكرت الرواة أنّ أباه سافره إلى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتهما إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ويسلمه من المكاتب ويردده في القبائل ومخابله نواطق الحسنى عنه وضوا من النجوع فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع . وقال صاحب الطبقات : وأقام بالبادية وطلب الادب وعلم العربية ونظر في أيام الناس .

وقال ابن خلكان : واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ اباعلي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال يوماً : كم لنا من الجروع على وزن فعلى ، فقال المتنبي في الحال ، حجلي وخربي ، قال الشيخ ابو علي : « فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده » .

من هذا يتبين لكم ان ابا الطيب قد جهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل أكثره وهو يدرس وكان كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر اخذها معه لانه كان قد اتخاها وأحكمها قراءة وتصحيحاً ، ولاننا نعرف هذه الدفاتر ولا ندري بما كانت تشتمل عليه ، وانما نقل عنه انه كان يروي شعر أبي تمام ويقول

« او يجوز للاديب ان لا يعرف شعر ابي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده » فالمتنبي درس كثيراً وقرأ كثيراً فمن الشعراء الذين نظر في شعرهم البحتري وابن الرومي وابوتام ومسلم بن الوليد وبشار وابو نواس وابن المعتز والفرزدق وعمرو بن كلثوم وامرو القيس والاعشى وبعض رجّاز العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لا جاوز في هذا المقام الاشارة الى ثقافته العامة فأخطى الكلام على تجاربه في الحياة وعلى ما فقت له هذه التجارب من ضروب الحكم :

اذا ما الناس جربهم ليب فاني قد اكلتهم وذاقا

واخطى الكلام على نظراته الفلسفية مرجئاً هذا كله الى حين البحث عن هذه النظرات فلا انعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره .

للبادية في ثقافة المتنبي آثار ظاهرة على شعره في كل طور من اطوار هذا الشعر فهو ابن البهد والفيافي من افق البادية درج خياله ، وفي جو البادية نما هذا الخيال فلا عجب اذا علق بذهنه صور هذه البادية ، الف المتنبي ابل البادية وخیلها ومهامها ومفاوزها وغزوها وصيدها وسيوفها وقناها ، فلا تجدون في كثير من شعره فرقاً بينه وبين الاعراب الذين صحبهم في التغني بكل امر من امور البادية ولا يكاد شعره يخلو من آثار سهيل الخيل وقعقة الجم وصرير العوالي ، فالبادية اول مدرسة درس فيها المتنبي وكما ان البيئة والازمن وللدن تأثيراً في العبقرية فكذلك التربية فأنها لا تخلو من التأثير في الازهان ، الف المتنبي البادية فلم يخف عليه امر من امورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخیله وسلاحه وضروب ذلك ، وقد رسخت في ذهنه صور البادية من حدائثه الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فلت اعرف شاعراً اعند من المتنبي في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك والامراء والوزراء فلم يقلع عن اعرابيته ، وعرضت عليه الحضارة مشاهد رائعة فلم تنزع به عن بدويته ، فقد غلبت عليه صور البادية فلنبين هذا الامر على قدر ما يتسع له مجلسنا .

للمتنبي اربعة اطوار في شعره ، طور وهو يجول في اقطار الشام قبل اتصاله بسيف

م : ٦

الدولة ، وطور وهو في ظلال سيف الدولة وطور وهو في حضرة كافور الإخشيدي وطور
وهو في بلاد فارس ، فلننظر في آثار البادية على شعره في كل طور من هذه الاطوار
الاربعة .

لما كان المثني محبوب آفاق الشام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته وترعرعه
كانت آثار الثقافة البدوية ظاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي نما في البادية
كان خيالاً على فطرته الاولى فكأنه اعراي لم يألف الحضرة .

برئني السرى بربى المدى فرددني اخف على المركوب من نفسي جرمي
ابصر من زرقاء جو لاني متى نظرت عيناى صوامعها علي
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كاني بنى الاسكندر السد من عنزي
فالإشارة الى السرى والى حدة البصر والى الخبرة بالارض كل هذا من ملامح
اهل البدو الذين لا يقيمون ببقعة من الارض دون بقعة .

اوانا في بيوت البدو رحلي وآونة على قند البعير

فتارة كان يتغنى ببسات الجديل وبالفقه المجامل والفلوات .

نحن ركب ملجن في زى ناس فوق طير لما شخوص الجمال
من بسات الجديل تمشي بنا في البيد مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها اثر النار في سليط الدبال
وتارة كان يتغنى بسيفه :

كفرندي فرند صيني الجراز لذة العين عدة للبراز
نحسب الماء خط في لب النار ادق الخطوط في الاحراز
كلارمت لونه منع الناظر موج كأنه منك هازي
ودقيق قذى الحباء انيق متوال في مستوى هزماز
الى آخر ما وصف به هذا السيف .

هكذا كان دأبه في الشدو بأمور البادية ولقد تجلت شغفته هذه في اراجيزه
التي كان يتشبه فيها بالاعراب منها ارجوزته :
ما المروج الخضر ولحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

فكان له حجر تسمى « الجهامة » ولها مهر يسمى « الطخور » فاقام الثاج على الارض بانطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال المنبي ارجوزته هذه ومن قرأها حسب بدوياً يصف الخيل .

كل هذا من آثار مدرسته الاولى ولقد اثرت فيه هذه المدرسة من الناحيتين المادية والمعنوية حتى انه اذا تنزل كان يتنزل بالاعرايات :

هام الفؤاد باعراية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنباً

واذا شبه في غزله جرت على خاطره في الحال تشبيهات اهل البادية ، فالرمح والسيوف ادوات يلجأ اليها في هذا الغزل :

من طاعني ثغر الرجال جاذر ومن الرماح دمالج وخلاخل

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

على انكم تجدون - في بعض الاحوال آثاراً حاضرة الى جنب هذه الآثار البدوية خالية من السيوف والرمح وما شابه ذلك :

لبسن الوشي لا متحملات ولكن كي بصن به الجمالا

وضنن الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

نعم انكم تجدون في بعض غزله وشي الحضارة ونعومتها :

حسان الثني بنقش الوشي مثله اذا مسن في اجسامهن النواء

وييمن هن در تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمبام

ليس معنى هذا ان المنبي لم يصف مشاهد الحضرة ولكن البادية شغلت القسم الاعظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحضرة طادت الى ذهنه في الحال صور البادية لضرب مثلاً لذلك .

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي وقد تصدى لوصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة والغورد في ماؤها شيم

والواج مثل الفحول مزينة تهدر فيها وما بها قلم

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تجونها بالحجم

كأنها والرياح تضربها جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها في نهارها قمر جف به من جنانها ظلم

فأنتم ترون انه لما أراد ان يشبه الموح شبهه بهدير الفحول ، ولما أراد ان يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها بفرسان خيل بلق ، ولما أراد ان يشبه الرياح وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغى ، فالفحول وفرسان الخيل والجيش والماء الشيم والقطم كل هذا لا يخلو من اثر بدوي ، واذا أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال البدوي وبين الخيال الحضري فارجموا الى وصف ماء لشاعر من شعراء العرب ، ارجعوا الى وصف البحري للبركة ، ومن شروط المقايسة والموازنة ان تأخذوا قصيدتين في موضوع واحد ، اذ انه لا تصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في الموضوع ، فالمثنبي وصف بحيرة طبرية والبحري وصف البركة ، وقد سمعتم وصف ابي الطيب فاسمعوا شيئا من وصف البحري ، ولا يتسع المقام لذكر الايات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حيكاً مثل الجواشن مصقولا حواشيا
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها وورتي النيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

الى غير ذلك من وصف السمك وعمومه والرياح وبشاشتها ، وانا اترك لكم الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولا شك تعترفون معي بان الفضة البيضاء ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك انما هو كلام حضري لا اثر للبداوة عليه .

هذا هو الطور الاول في شعره فلتنظر الى ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفقا مديداً يسرح فيه خياله البدوي فانه لما اتصل بسيف الدولة سلمه الى الرواض فعموه الفروسية والطراد والمناقة ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم فتصرف المثنبي في وصف هذه الحروب والغزوات ابلغ التصرف اعانته على ذلك امور شتى منها تربيته الاولى ومصاحبته للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدت منها شيئا في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل مهيمة

الى وصف الحروب ، ومنها مصاحبتة لسيف الدولة في هذه الغزوات فاذا وصف انما كان يصف بعد العيان فاكثر شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا نتعرض في هذا المقام لشيء من هذا الوصف لان هذا يأتي في الكلام على شعره ، وانما غرضي في هذا المجلس ان أبين ان المتنبي كانت تغلب على شعره آثار البداوة وان هذه الآثار جاءت من مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا البادية ولئن كان ابوه يسافر به من البدو الى الحضرة فان صور البدو شغلت الناحية الكبرى من خياله ، فهل تبدل خياله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل اقل من التغني بالابل وبقوته على السير وماشابه ذلك فلننظر في هذا كله .

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من نعيم الحضارة وترفها فأخلق بابي الطيب ان تظهر على شعره آثار هذه الحضارة فأول قصيدة قالها فيه وصف فيها فائزة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وقد جلس سيف الدولة على هذه الفائزة فقال ابو الطيب :

وأحسن من ماء الشيبية كله	حيا بارق سيف فائزة انا شائمه
عليها رباح لم تحكها سمجاة	واغصان درج لم تنقن حمامه
وفوق حواشي كل ثوب موجه	من الدر سمط لم ينقبه ناظمه
تري حيوان البر مصطلحاً به	يحارب ضد ضده ويسالنه
اذا ضربته الريح ماج كأنه	تجول مذاكيه وتبدأى ضراغمه
وفي صورة الرومي ذي الناج	ذلة لا بلج لا تيجان الا عمامه

فأنتم تجدون في هذا الشعر صوراً حضريه حتى ان غزل المتنبي ظهرت عليه آثار رقة الحضرة فقد عدل في غزله عن السيوف والرماح الى الأزهير والرياحين :

مقالك وحيانا بك الله انما على العيسى نور والحدود كئامه

ومنه قوله :

وغضبي من الادلال مكري من الصبي	شفت اليها من شبابي يريق
وأشوب مصول الثنيات واضح	سرت في عنه فقبّل مفرقي

وأحياد غزلان كجيدك زرتني فلم أتبين عاطلاً من مطوق
ومنه قوله :

واني لأعشق من أجلكم نحولي وكل امرئ فاحل
ولو زاتم ثم لم أبكم بكيت على حي الزائل

ولكنه مع هذا كله لم تفارق صور البادية ذهنه فكان يرجع اليها في بعض غزله
فيرجع الى السيوف وأشكالها :

وقد طرقت فتاة الحلي مرتدياً بصاحب غير عزماة ولا غزل
فبات بين ثراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبه من درعها أثر على ذؤابته والجفن والخلل

و يرجع الى هذه الصور في المراثي نفسها :

نعد المشرفية والعوالي وثقتنا المذون بلا قتال
وترتبط السوابق مقدمات وما ينجن من خيب الليالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحبه على الاجداث حفش كأبدي الخيل ابصرت الخالي
والحفش والخالي والخيب وارتباط السوابق كل هذا من آثار البدو ولا ريب في
ذلك .

فابو الطيب في التبدل اليسير الذي تبدله وهو في افياء سيف الدولة اي في افياء
النعم والترف كان يعود الى شنته في التنخي بالابل وبالقوة على السير الى غير ذلك
من مذاهب الاعراب واهل البدو ، فمن وصفه للابل :

وحكت في البلد العراء بتاعج معناده مجنابه مفتاله
يمشي كما عدت المطي وراءه ويزيد دفت جمامها وكلاله
ونزاع غير معقلات حوله فيفوتها متجفلاً بمقاله
فقد التجاج وراح في اخفائه وغدا المراح وراح في ارقاله
نم انه لا يكاد ينسي فرسه ورمحه وسيفه وثاقته حتى مواطن الغزل :

سلي عن سيرتي فرسي ورمحي وسيفي والمحملية الدقا
ولا يكاد يذهل عن الخيل والبهاء :
الخيل والليل والبهاء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت في الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب بني القور : الا كم

هذه هي شئنة المنني وهو في ظلال سيف الدولة المبددة فلننظر اليه لما غضب على
سيف الدولة وترامت به اليد والقباني الى كافور الاخشدي ، فلننظر اليه هل اقام
عن هذه الشئنة ام لازمته في مصر ، اذن انه لم يقلع وهو في مصر عن شيء من هذه
العادات البدوية فقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والفنا والموالي وما اثل ذلك حتى في
اول قصيدته في كافور .

وجردا مددنا بين آذانها الفنا فبتن خفافاً يتبعن العواليا
تماشي بابد كما وافت الصفا نقشن به صدر البزات حوافيا
وننظر من سود صوادق في الدجي برين بعيدات الشخوص كما هيا
وننصب للجرس الخفي سوامعاً يخار مناجاة الضمير ناديا
ولما طالبه كافور بذكر الدار التي بناها على البركة بازاء الجامع الاعلى لم يقل شيئاً في
وصفها يسمى وصفاً فكأنه يحقر الدور .

مستقل لك الديار ولو كان نجوماً آجر هذا البناء
ولوان الذي يخمر من الام واه فيها من فضة بفضاء
فكان يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد والسميرية السمراء
والصوارم البيض والهيجاء

وبسانينك الجياد وما تحم ل من سميرية سمراء
انما يفخر الكريم ابوالمسك بما يبتني من العليا
وباباه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء
وبما اثر صوارمه البيض له في جماجم الاعداء
لا بما يبتني الحواضر في الراف وما يبطي قلوب النساء

فابن هذا الخيال من خيال البحر في وصفه لقصور بني العباس في بغداد .
 نعم لم يقطع عن هذه الشئشنة حتى ولا في غزله فهو لا يحب الا البدويات :
 ما اوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرمايب
 حسن الحضارة محبوب بتطرية وفي البداوة حسن غير محبوب
 ابن المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
 افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبح الحواجيب
 ولا يرزف من الحمام مائلة اورا كهن صقيلات المراقب

ولما اصابته الحمى وهو بمصر ووصفها لم يقتل في وصفه عن التغني بما تغني به الاعراب عادة
 ذواني والفلاة بلا دليل ووجهي والمجير بلا لثام
 فاني استريح بذي وهذا واتعب بالاناخة والمقام
 عيون رواحلي ان حرت عيني وكل بغام راحلة بغامي
 فقد ارد المياء بغير هاد سوى عدي لما يرق الغمام

فانتم ترون في هذا كله آثار ما يغني به الاعراب عادة فسلوك الفلاة بلا دليل
 واعتياد السير في المجير بغير لثام والمعرفة بدلالات النجوم بالليل وعد يرق الغمام كل هذا
 مما يفخر به اهل البدو .

ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف منازل طريقه فكأن المشي مثلثع بثوب
 بدوي في هذا الوصف :

الا كل ماشية الخيزلي فدي كل ماشية الهيدبي
 وكل نجاة يجاوية خنوف ومايي حسن المشي
 ولكنهن حبال الحياة وكيد العداة وميط الاذي
 ضربت بها التيه ضرب ال قمار اما لهذا واما لهذا

وكذلك لما رثى ابا شجاع فانكأ وهو في الكوفة بعد خروجه من مصر اشار الى العيس :
 لا ابغض العيس لكني وفيت بها قلبي من الحزن او جسمي من السقم
 طردت من مصر ايديها بارجلها حتى مرقن بنا من جوش والعلم

نَبْرِي لَمَنْ نَعَامُ الدُّوْ مَسْرُجَةٌ تَعَارُضُ الْجُدُلَ الْمَرْخَاةَ بِاللَّجَمِ

هَلْ رَغِبَ الْمُنْبِيُّ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبَدْوِ فِي آخِرِ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ شَعْرِهِ فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مِصْرَ وَقَدِمَ الْعِرَاقَ ثُمَّ شَخَّصَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ فَارَسَ أَنْصَلَّ بِابْنِ الْعَمِيدِ وَبَعْضُ الدَّوْلَةِ وَعَرَفَ أَنَّ الَّذِينَ يَجَالِسُهُمْ فِي فَارَسَ هُمْ غَيْرُ الْأَعْرَابِ وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بِعَمْدٍ أَمَادِيحِهِ فِي ابْنِ الْعَمِيدِ :

مَنْ بَلَغَ الْأَعْرَابُ أَتَى بَعْدَهَا جَالَسَتْ رَسْطَالِيْسَ وَالْأَسْكَندَرَا
وَمَلَّتْ نَحْرَ عَشَارِهَا فَاضَافَنِي مِنْ يَنْحَرِ الْبَدْرِ الْفَضَارِ مَنْ قَرَى
وَسَمِعَتْ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مَمْلُوكًا مُتَبَدِّلًا مُتَحَضِّرًا
نَعَمْ جَالَسَ الْمُنْبِيُّ فِي بِلَادِ فَارَسَ أَمْثَالَ رَسْطَالِيْسَ وَبَطْلِيمُوسَ وَجَارَى الْفَرَسَ فِي
عَادَاتِهِمْ فِي النِّيرُوزِ فِي اتِّخَاذِ الْكَالِيلِ مِنَ النَّبَاتِ وَالزَّهْرِ وَلِبْسِ هَذِهِ الْأَكَالِيلِ :
مَا لِبَسْنَا فِيهِ إِلَّا كَالِيلَ حَتَّى لَبِسْتَهَا تَلَاعَهُ وَوَهَّادَهُ
وَشَهِدَ مَشَاهِدَ تَأْخُذُ بِمِجَامِعِ الْقُلُوبِ مِثْلَ شَعْبِ بَوَانِ :
مَغَانِي الشَّعْبِ طَبِيبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ بَقِيَ بَدْوِيًّا تَحَاكِي كَانَتْ فِي صَبَاحِ شَهِدَ هَذِهِ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا وَإِذَا
يَزْهَدُ فِي أَعْرَابِيَّتِهِ وَائْتَنَ رَقَ غَزْلِهِ بِبَعْضِ الشَّيْءِ وَخَرَجَ مِنَ الْغَزْلِ بِالْبَدْوِيَّاتِ إِلَى الْغَزْلِ
بِالشَّامِيَّاتِ :

شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلُوتَ بِهَا نَبَصْرِي فِي نَاضِرِي مَحْيَاها
فَقَبِلْتُ نَاضِرِي تَغَالُطَنِي وَأَنْمَا قَبِلْتُ بِهِ فَاها
فَلَيْتَهَا لَا يَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاها
تَبْلُ خَدِي كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرِ بَرَقَةٍ ثَنَابَاها
مَا تَفَضَّتْ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلْتَهُ فِي الْمَدَامِ أَفْوَاها
لَئِنْ رَقَ هَذَا الْغَزْلُ بِبَعْضِ الشَّيْءِ وَلَئِنْ تَبَدَّلَ خَيَالُهُ بِبَعْضِ التَّبَدُّلِ فَمَا تَبَدَّلَتْ أَعْرَابِيَّتُهُ
حَتَّى إِنَّهُ عَادَ فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسَهَا الَّتِي تَغَزَّلُ فِيهَا بِالشَّامِيَّاتِ إِلَى ذِكْرِ الْغَزْرِ وَالصَّيْدِ وَقَدْ
كَانَتْ تَلُوتُ عَلَيْكُمْ آيَاتُ هَذَا الْغَزْرِ وَهَذَا الصَّيْدِ :

ان اعشبت روضة رعينها او ذكرت حلة غزونا
 وعاد الى التغني بالقنا والطعان :
 فاما تريني لا اقيم ببلدة فآفة غمدي في دلوقي وفي حدي
 يحل القنا يوم الطعان بمقوقي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي
 تبدل ايامي وعيشي ومنزلي فنجائب لا يفكرن في الخمس والسعد
 لئن بدلت هذه النجائب ايامه وعيشه ومنزله فما بدلت اعرابته ، وارجوزته سيفه
 عضد الدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه بامداد هذه الاعرابية وهي من آخر شعره :
 ما اجدر الايام والليالي بان تقول ماله ومالي
 فأثار مدرسته الاولى ظاهرة على شعره من ابتداء امره الى منتهاه .
 دمشق : في ١٥ آذار سنة ١٣٠

المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية ^(١) »

- ٢ -

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب وبتلذذ بحلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخلها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تخمر فيأكلها مخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهو به سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما قال منها وطراً يمجده في وصلها طلباً . وكما رشف منها وشلاً نلظى لكاسها ظمأً . وكما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اعتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إرثار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي المات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة منشودة ، ومباعدة محرمة ، وعاهرة مشرقة ، لا يضيها الوصل ، ولا يفسد من ملامحها الدهر . بأنها المرء لازل مرة بحاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فلبت شعري ما علة هذا الولوع بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاصباب : منها ما هو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو نفسي . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغوليين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشد الى شرب الخمر من احتياج

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان

الشرقيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمر ادعى الى انتشار معاقبتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعة او عادة ، ومنها المعتقدات والعدي والاخلاقية وحب التقليد والمجاهلات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسية ، وهي لعمرى العامل الأقوى في انتشار المسكرات ما بين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تتحقق امواه الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لآلث التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء ان يمان ما يخالفها مما تشهيه نفسه وبصبر له قلبه ، ونفطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى ما يستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى ما يستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضع الطموح ان يكون ملكاً تمنو له الرقاب ولا للفقر ان يكون غنياً ينعم برغدالميش وأبهة الحياة ، ولا للفني ان يدفع به الى مرضاً عضالاً أو يستهوي به قلب غادة فتانة ، أمرته لحاظها ، وأقصاء عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ايثني يبطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به ريقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار فتأجج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كانت تحقيق كل هذه الاهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبة شخصية وبات الشقاء البشري عاماً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الاخرية وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقق فيسبب بهذا المنع تمل النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين ولاحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ،

وهناك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها . وعابيتها هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الامواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تنفى بل تستجيب الى قوى كامنة مبهمه لاشعورية ، تنكف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقيق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تعليقه وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ بعقل . ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي يتحمل منها اليوم كل انسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقوله : تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى منها وما يتوقع
وقوله . وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القمي :

تحامق تطب عيشك ولا تترك عاقلاً فعقل الفقى في ذا الزمان عدوه
ولابي الربيع محمد بن علي الصغار البلخي :
طاب عيش الرقيع في ذا الزمان والجهول الفقول والصنمان
وانشد ابو منصور مهمل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحق وفي زوال العقل والخرق

فن اراد العيش في راحة فليترك الجهل مع الحق

وجاء في النظرات المنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة العقلاء ، ويقولون ما لذة العيش الا للجانين ، اندري لماذا ؟ لان نصيب

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى ما بين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له عمله باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفة ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار المناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤمنين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ المجانين .

ولما كانت الفرائز الحيوانية تأتي ان تضمحل وتنفى بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتخلص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاعتمد الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والفول الذي نحن في صددده . وقد نفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسم دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنونا اختيارياً موقوتاً .

قال المنفلوطي في كينته الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المومنين بتخدير أعصابهم . كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الأفيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة بتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لا يتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين .

لا يجد الكير لذة العيش وهنائه الا اذا أسلم نفسه الى كأس للشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ما تشتهي نفسه ان تراه . فان كانت قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابرار وفننة النظار ، وان القلوب محلقة على جماله ، تخليق الأطيوار على الأشجار ، وان كانت فقيراً معدماً لا يملك فلماً واحداً توهم انه جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة بأسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسحب على وجهه الى غرفة السجن ليقتضي فيها ليكته .

وجملة القول ، ان عينه لا تقع على ما يحزنه من المظورات ، وان أذنه لا تسمع ما ينفره من المسموعات حتى يرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد الفاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهذيان ، الى الخدر والخليل ، حسب كمية المادة المسكرة وكميتها وحالة الشارب ومزاجه . واليكم صورة مصغرة للانسان الذي يتماطى شرب الفول حسب الادوار الحادة التي يجنازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور الثمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الفول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبي . وتُصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضي العينان . ويزداد عدد ضربات القلبية ، والمبادلات التنفسية ، وتخدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بمحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، ويخيّل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه ، وتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيتها . وتثوق الذاكرة وتسرح الخيلة . فيذكر ما كان ناسيا ويتدع من الصور الخيالية ما لا يقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محامته ومميزته فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول البسامة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لخدر النافذة والمراقبة لتطلق اهاوؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من أسرارهِ التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الفول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائمه . ويمتري السكر في هذا الدور الغرور والأقانية ، والفطرسه ، فيمسي سريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محبا لللدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والامراف . والفول يخل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصنعى وباطنه المكتوم . ومن الخطأ القادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

لا ينضج الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم وتزعاجاتهم الجبلية والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة تنطبق على كل امرئ في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يتمثل بها أثناء السكر ، وان الغول خير كشف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتان . وكثيراً ما يتوصل به الدهاء الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بالخلال قوة العقل والمرافقة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيجية على امواتها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيال ، دور الانطلاق والانسراح ، المتعارف في الاندية والجمعيات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، او الجنة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحتشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور التمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هذا الدور بنحور النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارد الفكر والمواطف اما التمل فهو طائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس التاملي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالنفاليذ والآداب العامة ، فيهبط من المضيوات الى الحسيات ، ويتعرض لما فيه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل ، في سبيل المرأة في المرافق وعلى موائد السكر عنا بغربة ، واذا اخفنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القوة والخيلاء وسرعة التهييج وعدم الشعور بالواجب نتجلى لنا صورة التمل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى الخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ التمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشاهد في الهذيان الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجمع الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتنفقد دقتها ، وتعتري الكبير الرعدة والاضطراب فلا يتمالك في المشي ، وتختل موازنته ، ويسترخي كلامه ، ويتداعى الى الجمود والجمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخذل الدال دلالة واضحة على ان المسكرات القولية مخدرة وليست منبهة كما كانت بظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكر ثمة قواه المحركة و يصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض يديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التماس من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فإهي الا هنيهات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقد حياتها العملية . وينزل بالسكر من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يمثل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المتجمعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تنصعد ، ونبضات قلب خائر تناجع ، تنتشر منها روائح كريهة لفج مصرقي البول والغائط مما تقذى لمنظره الاعين ، وتمج وصفه الاذان . هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي يتجلى بها السكر منذ اول قطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابتها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، وافدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكدر يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تنوال عليها الزوابع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة مثبته . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تخرب وتسير الى الفرق . وهكذا غد السكر ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، ثلاثي رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده . منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها

فيعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء باديء بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول و كميته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم الناعم . و يدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الرشقة المشبهة الصحية المباعدة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تنمي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلانبي (Mellanby) تراكم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاءات شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاءات اليوم حقائق علمية راعية لانها قائمة على اسس من المشاهدات ممكنة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومتقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية - و يبدأ داء السكر المزمن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، تبرى ذلك الشاب المذهب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثلاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب بمحاول الشرود والتخلص من طباعه وعاداته متجهياً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يألفهم من الناس ، وينقطع عن ارباد داره في الاوقات المعتادة ، وتختن معاملته ذويه ، ويهمل واجبه نحو أسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذ له شرب السكر ، ولعب البسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا العتة الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوا الجنون الاخلاقي المكتسب . وذلك لان

الاختلال بهم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع امرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فامهما : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بهما وفقد الإرباء ، والشرف والمروءة والنجوة والوجدان والنزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادي العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأمرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهديب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقي والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره: فينجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمفاودة والرأفة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي لكل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادي العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتمور وسرعة التأثر ، وسوء الظن واتقباض النفس ، وحمل الامور على غير محلها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والفعالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوي الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمين .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذامع ضعف الملكات العقلية ولا سيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني و يتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله ويتداعى للاممال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . وترى ذلك الرسام الذي كان يتندع من المناظر ما يفتن النظر ويحجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس ويتلاعب بالقلوب يتدهورون رو يدأ رو يدأ بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى صرا كز الحواس فبسمها فيمسي الغولي مسيراً يحواس مريضة ينشأ عنها خطأ الحس

والاوهام السمعية والبصرية والدوقية والمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثالثة ، وقد يهون الخطب فيما لو كان هذا الداء فردياً بعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تعدى الفرد الى سواء . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد و يهدد الأسرة والحياة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهيار كياناتها . ولقائل بقول ان من الامم من تشاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبع بعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لأول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم ينتشر في اوربة الا في القرنين الاخيرين . عندما احدثت الصناعة الى استحصاله بتقطير الحبوب والشندندر . ولانت الحياة باتت فيها ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صناعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضة لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية - فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسويجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام بوصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضاره .

اما الاقدمون فلم يكونوا يشربوا سوى الخمر الصرف الخلو من الفس و قد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لا يحوي سوى ثمانية أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كيات عظيمة من الخمر بما لا يعاينه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل والافرنجي حديث العهد اقرته مشاهدات العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادعى وانكى لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و . . .

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بأنه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من حجيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أبدت المشاهدات والتجارب العملية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانعه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . و يسترخي الصفن وعضو التناسل ويندر وجود الحويصلات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض و يختل نظام الطمث اي الحيض و ينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hebopper) من جامعة فيينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، فأسكرها واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدوا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع اعضاءها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل حجيرات المنوية .

وذكر الاستاذان ويشلباوم وكيرل من فيينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخريباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابدأ بفقد الاقنية المنوية .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على اعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهرى ان معظم التخريب واقع في الخصى بالنسبة لساير اعضاء الجسم .

ولقد لخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبسرة في الخصى تنتهي بضمورها و يفقد الحويصلات المنوية .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادى الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الاقنية المنوية .

(٣) و يحدث هذا التخريب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الفزلي .
وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في
اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راجعة لا تقبل النقد ابداً ما التشریح المرضي والطب
السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة .

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت
معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً
مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي نغرسها في بطن
الارض عاطلة بان الثمر الذي ستثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب
في ذلك .

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها
ومقاومتها . قال لادام (Ladame) كانت شريعة قرطجينة تحرم على العروسين شرب غير
الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل . وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة
السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون
فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس
وقال ابن عبد ربه في عقد الفريد : وربما بلغت جنابة الكأس الى عقب الرجل ونجسه
وكان المأمون يقول : يانطف الخمار .

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد المعيبة
المطبوع في ليبسك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر سيف
حياته الا يوم بضع هذا الولد . مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في
استحالة النسل .

وذكر سبانية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٢٥ المشاهدة
الآتية : رجل هفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة
التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب نسة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم
توازن النفس .

وقد اهدت مشاهدات بزو لا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

القدية فانه درس ترجمة حياة سبعين قدماً اي ابله فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقيين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من ابله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس مولير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .
وذكر سيبش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقيون مصابون بأفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات وامسكها برائحة الفول بعد تصعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضاءها التناسلية فقد حدث فيها استئصال الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والديه مما يسمونه عجيبة .

ويطول بنا البحث اذا اردنا ان ناتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتقدمة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استئصال البذور المنوية عند الرجل بتأثير الفول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا انتقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الفولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأنت سكر الام اثناء الحمل بفعل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستئصال ، وذلك لان قسماً من الفول يطرد من الجسم كما سبق لنا بياناه في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسمه ويعرضه للفولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فأنجبت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ريدل وغاردنر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بيض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدوا في النتيجة نقعاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اتى عهد على نساء قينا كن فيه مولعات ولما شديداً بالكلاب القزمية اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلاب السكيرات تُنجج جراءاً صغيرة الجثث . فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معملًا لانتاج الكلاب القزمية ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعه الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الغولية بواسطة الرضاع . — وهنا ننقل من الجنين الى الرضيع لشاهد الغول بنسب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدم فاما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا ويحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد وتقصى . وليست هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سليمة التجارب والمشاهدات القديمة العهد . فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع . مما قلّت كميته التي تشربها . وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله .

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن المرضع الكبيرة سم قتل للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر . منها ما ذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام ١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلها باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت المرضع على ترك النبيذ مدة فثني الطفل . ومن ذلك ما ذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورمانديا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المرضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يدين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرة . فيمرضون بعملهم هذا اطفالهم لانواع الآلام والآفات . ولا ينحصر ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهذه حقيقة أبدتها مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاآته العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدن الاوربية المركزية ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . ون انتشار الغولية بين النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الارضاع هذا سيؤدي حتماً الى تيجتين مؤلمتين احدهما أخلاقية وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الارضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة ونداعي كيان الامة . وقد أبدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستميفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تفخماً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للارضاع .

الغولية وفيات الاطفال — ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي تنشأ من

• مآفة الغول موت الأجنة في الأرحام وفرط وفيات الأطفال • وقد جاءت استقراآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هذه الحقيقة المؤتمة • فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة ثعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد • فشاهد انه لم يعيش منهم سوى ٢٦٥ ولداً • اما الباقون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع • مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة • وتعمم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين الزمن • وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغولية اللواتي لا يعيشن لمن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات •

وأبد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاءات العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا ثعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الامر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٢ في المئة • وان هذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل واضمحلال الامة •

استحالة النسل الغولية • — ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم وتقوسهم • فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحدد الا ثمر فاسد • ونظرة خفيفة في احصاءات أطباء المدارس في الممالك الراقية ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاءات المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤتمة •

قال بورتفيل (Bourneville) انه استقرأ حياة ابوي الف قدم اي ابله مشاء بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانوا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة •

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيويرك (١٣٠٠٠) تليد في المدارس فشهد ان ٥٣-٧٧ في المئة من اولاد الكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . وبالنظر لتفاسم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوروبا واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، بعد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة وبثقل كامل موازاتها السنوية .

الجنون والغولية . — وقد لا تعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً . مؤانة من انقراض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل سبباً في تجردهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهوله القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آت .

وجاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجي قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاءات سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء . وجاء في احصاءات ملاجي بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاءات ملاجي انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٢٦/٣ في المائة عند الرجال و (١٠/٤) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) للملاجي ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و ٥/٩ في المائة عند النساء .

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/١ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول .

واليك الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيو يورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجي نيو يورك خلال سنة ١٩٠٨ — ١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت . ثم اخذت تتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك قطرة من وابل من مجموع التجارب والملاحظات العلمية التي ابدتها الاحصاءات التي قام بجمعها وضبطها جهاز امانة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكما متصافر متضامن على تأييد حكمة تلك الآفة الكريمة (واثمها اكبر من نفعها) وعلى اثبات فداحة مزار الغول في الفرد والامرة والامة ، وان الغولية داء عضال نفث في هذا العصر في الامم العظيمة نفثاً مريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم يتحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا بعيد .

قال لگران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك يبدد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتنتحربه) (فن ذا الذي لا يعلم ما فعله مستعمرو اميريكيا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجهل ما نصنع بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما نحاوله بالعرب . ومن يجهل ما صنعه

الاسوجيون مع اللابون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نمصد السود بنحمرنا وغولنا . ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً ببد الام القوية ستقضي هي نفسها بهلاك هذه الام القوية (ما دامت مؤدفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

وبما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان الغول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتختصر هذه المنافع باسرين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ما كل ما يشتمل في الجسم بعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انواتر وينديك نفسه وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول بعد غذاءاً لا حترافه في الجسم فهو غذاء سيء غذاء مكروه لانه يخرب الجسم اثناء اشتغاله فيه . وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا بأصف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقه ولاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . اجل ايها السادة ، ان الغول منبه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والمهية ، مما يتمدر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما بطراً على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها ويضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كيتها تدريجاً فتتجاوز بعمله هذا الحد الصحي وبعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها .

واذا كان في الام افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال لفران

أخسر على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه وباعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهبون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

من الفضيلة والانسانية اذاً ان يفادي هذا الفريق العاقل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعاماً في شراك الغول بقتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .

وقد اهاب نذير هذا الخطر المدام بالام الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السر ، سر الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستنفذت العقابة وقامت نداعي كما نداعي الاعضاء الصحيحة في الجسم المحكوم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استجسست في النفوس برائنه ، كما نشعب الياف السرطان في الجسم نبات الويل في نزعته والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اساندة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدين نساء ورجالاً شبيهاً وشباناً يلبون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهناك في سكانديناويا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والمهنية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هناك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يمدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هناك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكن " في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيبته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمفاضة ما لم يتجل في امة من ام التاريخ القديم والحديث .

وبينما نار الحرب تئاجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتمدنة هذه الفادة الاسيرة الفتانة نتجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سئمت الحياة فراحت نتطلب من سمه مخرجاً منها . وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الفباة ، وابشع خيانة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٨ -

الجسم الذي له شكل مخروطي والذي يكون في إبط ورقة النبات هو اما عين او برعم .
فاذا نفث عن محور خشبي واوراق مبي عينا و بالفرنسية (Oeil) اما اذا نفطر عن زهرة
فهو البرعم والبرعم و بالفرنسية (Bouton à fleurs) وبلاخط ان لفظة « العين »
لم نضمها نحن ترجمة للفظ الفرنسية (Oeil) بل هي موجودة في كتب اللغة القديمة حيث
كانت تستعمل للمعنى المذكور .

واذا نفثت العيون او البراعم فقد اكحت وقطنت وانفجرت وانفصت ونفثت
ونفطرت وهو بالفرنسية (Bourgeonnement) .

والاغصان التي تنفجر عنها العيون اصناف : ولكل صنف منها اسم في فن تقليم
الشجر . والالفاظ العربية القديمة التي تدل على اشكال الاغصان لا تشمل على المعاني
الفنية الحاضرة للاشكال المذكورة ولهذا لا بد من حصر المعنى الذي هو في المعاجم او
التوسع به حتى يكون لكل معنى من المعاني الفنية لفظة عربية خص بها . فالعين في بدء
نفطرها غرنوق و بالفرنسية (Bourgeon) وهو غصين لدن يسمى غرنوقاً ما دام
صغيراً طرياً .

واذا كان الغصن صغيراً طوله سنتيمتر الى ثلاثة سنتيمترات و كان غليظاً منغضاً سهل
القصف بينه وبين فرع الشجرة زاوية قائمة فهو الخوط و بالفرنسية (Lambourde)
و يكون الخوط في الدراق والخوخ والكرز محتوياً على كثير من البراعم الزهرية فيسمونه
في فرنسة « باقة ايار » .

ومن الاغصان غصن مثمر صغير طوله ٣-٨ سنتيمترات اما غليظ صغير العيون
والبراعم الجانبية كبير العين العليا يكاد يكون بينه وبين الفرع زاوية قائمة . وهو اجود
الاجود الاغصان المثمرة في التفاح والكمثرى والفرجل . يسمى بالفرنسية (Dard) ورأيت
ان نسميه الفحلوج .

ومنها غصن دقيق سهل التلوي يبلغ طوله ١٠ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمتراً وبينه

وبين الفرع زاوية منفرجة . وتكون براعمه العليا صالحة للازهار في التفاح والكثيري
اما براعمه السفلى فتتلف . وفي الدراق تزهو جميع براعمه . ويسميه الفرنسيون
(Brindille) وارى ان نخصه بلفظة العسلوج .

ومنها غصن قوي يتراوح طوله بين ٣٠ سنتيمتراً ومترين ويكون مع الفرع الذي
يحملة زاوية حادة . وهو لا يزهار على الأكثر ويسمى بالفرنسية (Rameau)
و بالعربية الخربع والغصن .

ومنها الذي ينشأ من عين عرضية او زائدة على الفروع والسوق وهو سريع النبات
مضر في الغالب ويسمى الغصن العرضي او الطفيلي (Rameau gourmand) .
ومنها الذي يحمل عيوناً وبراعم معاً وهو مفيد في الدراق لكنهم يقلونه في التفاح
والكثيري واسمه الغصن المختلط او الشامل او المشترك (R.mixte) ومتى شاخ الغصن
وفسا ونشأت عليه اغصان فهو فرع او شعبة (Branche) وماك خلاصة الالفاظ المذكورة
مع ما يقابلها بالفرنسية :

Oeil	العين
Bouton à fleurs	البرعم
Bourgeonner	اكبح وقطن وانفجر واتقصد وفتح ونفطر
Bourgeon	الغرنوق
Lambourde	الخطوط
Dard	العسلوج
Brindille	العسلوج
Rameau	الخربع والغصن
Rameau gourmand	الغصن العرضي او الطفيلي
R. mixte	الغصن المختلط او الشامل او المشترك
Branche	الفرع والشعبة

وفي فن الحراج الفاظ تدل على الحرجة في حالاتها المختلفة كأن يكون شجرها صفاراً
او كباراً ، متفرقة او ملتفة ، نامية من يزور او من أرومة الشجرات المقطوعة الخ . ولم

أجد في المعاجم الفرنسية العربية ألفاظاً عربية صحيحة مقابل ما يستعمله الفرنسيون من الألفاظ الألمانية المذكورة . ولذلك رأيت ان نستعمل لها الحروف الآتية مع التوسع أو التقييد وهي :

العَرَجَة جـ حراج وأحراج وحراج ومحاريج لجماعة الشجر على الإطلاق وهو بالفرنسية (Bois) أو (Forêt) ومتى كان شجر الحرجة طويلاً ضخام السوق يزيد قطر الساق على ٢٠ سنتيمتراً وربما بلغ ٥٠ سنتيمتراً فالحرجة هي غابة وبالفرنسية (Futaie) . وتحصل الغابة من البزور لا مما ينبت على أرومة الأشجار المقطوعة . وقبل ان تكبر أشجار الغابة وتضخم سوقها أي عندما يكون قطر ساق الشجرة دون ٢٠ سنتيمتراً فالحرجة تسمى أجمة وبالفرنسية (Perchis) .

وقبل ان تبلغ الأشجار قدماً شجر الأتجام أي عندما تكون شجيرات مشبكة الأغصان مخلفة الطول فهي غيل وبالفرنسية (Fourré) . هذا كلها في الشجر التي تنبت من البزور فإذا نمت في عجز الأشجار المقطوعة أي كانت فراخاً أو أرآداً فالحرجة تسمى خيباً (Taillis) . وهذا الشكل لا وجود له في أشجار الفصيلة الصنوبرية مثلاً لأنها لا تفرخ بعد ان تقطع . والعيص جماعة الشجر ذي الشوك ج أعيصاص . ولعل ما يقابلها بالفرنسية لفظة (Broussaille) فهي تطلق على النباتات الشاكة التي تنبت في الحراج . وتلخص الحروف المذكورة مع مقابلها بالفرنسية على الصورة الآتية :

الحرجة	Forêt
الغابة	Futaie
الأجمة	Perchis
الغيل	Fourré
الخيبس	Taillis
العيص	Broussaille

مصطفى الشهابي

« لبحث نلر »

آراء وافكار

اصل لفظة «عربة»

ما كدت أطلع في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٣٥٦) قول القائل (ووضع ابن بطوطة ايضاً العربى للعجلة التى نقل الركاب) حتى خشيت أن يسرى هذا الوم الى سواء فجتت في نبتى السابقة (ص ٦٩٩) أنسأل عما اذا كان ابن بطوطة هو الذى وضع هذا اللفظ ؟ فبينت هناك ان ابن بطوطة ليس من اهل الوضع وانه راوٍ لهذا اللفظ لا واضع . ولما كان الشئ بالشئ يذكر استطردت الى قول حضرة الأب انتاس الكرملى ان لفظة (عربى) تركية الاصل (المشرق ٥ : ٥١٩) او تركية التركيب والوضع كما يريد الآن (لغة العرب ٨ ص ٢٨٦) وذهبت اذ ذاك الى انها من اصل سريانى وذكرت ما قاله لغويو السريان في مادتي (ايزرا وعربا) منحفاً ذلك بما قاله احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة المثنائية) عربية خطأ لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه) وهذا يؤكد ماقلته : لا اظن العربى من اصل تركي مديلاً كل ذلك بما قاله العلامة الزبيدي في التاج : والعربات سفن رواكد كانت في دجلة النهر المعروف . وهو ما قاله العلامة ابن منظور في لسان العرب . بقصد ان اثبت ان ما ذكره لغويو السريان لا يتعدى ما قاله لغويو العرب في مادة عربية . وقد كنت حينذاك وقفت على نص ياقوت الحموي في معجم البلدان في شأن عربية حيث قال : والعربية بلغة اهل الجزيرة السفينة تعمل فيها ربحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه قال (وهي مولدة فيما احسب) والاولى انها اعجمية كما ترى . وقد قلت عندئذ وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان (جناح دولاب العربية) في الماء ويرجع ان اللفظ اعجمي وقد كان معروفاً في بغداد خاصة . فظهر الآن من قول ياقوت انها كانت معروفة في الجزيرة ايضاً . وان اصل اللفظ من لغة اهلها اي السريانية . وقلت اخيراً ان العربية كانت من اعتاد^(١) الحرب عند الشعوب القديمة فتوسعوا في معناها ونقلوها

(١) انكر الأب انتاس الاعتاد جمعاً لعتاد وانا اكتفي بما اثبته اللغويون في هذا

من معنى الرحى التي تكون في الماء الى معنى المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى . على ان الأب انتسب الكرملي لم يرقه كل ذلك فماد في مجلته لغة العرب^(١) يؤكد ان العربية تركيبة الاصل وانه لما قال تركيبة لم يقل انها كذلك بلعظها خاني بل اراد ان يقول تركيبة التركيب والوضع . . . الى ان قال : اما ان العربية تركيبة فهو لا يشك فيها لانه رآها مدونة بهذا المعنى في كتاب (ديوان لغات الترك) مؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) واي في اواخر المائة الحادية عشرة قال وانت تعلم ان المؤلف تركي صنف كتابه في بغداد نقل العاظم عن الترك كما تعلم ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان الا بعد

الجمع قال في لسان العرب الاعتد جمع قلة للعتاد وهو ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد ويجمع على اعتدة ايضاً . قال : وفي رواية انه احتبس ادراعه واعتاده قال الدارقطني قال احمد بن حنبل قال علي بن حفص واعتاده واخطأ فيه وصحف وانما هو اعتدة (اي جمع قلة) وجاء في رواية اعبد بالباء الموحدة جمع قلة للعبد . وفي معنى الحديث قولان احدهما انه كان طوبى بالزكاة عن اثمان الدروع والاعتد على معنى انها كانت عنده للتجارة فاخبرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) انه لازكاة عليه فيها وانه قد جعلها حبساً في سبيل الله . والثاني ان يكون اعتذر لخالد ودافع عنه يقول اذا كان خالد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وتقرباً الى الله وهو غير واجب عليه فكيف يستبيز منه الصدقة الواجبة عليه اهـ . وقال في المصباح « واخذ للامر عتاده (بالفتح) وهو ما اعده من السلاح والدواب وآلة الحرب وجمعه اعتد واعتدة مثال زمان وازمن وازمنة . وفي حديث ان خالداً جعل رقيقه واعتده حبساً في سبيل الله . ويروى واعبد بالباء الموحدة والاول اظهر للحديث الصحيح . اما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس ادراعه واعتاده في سبيل الله اهـ بلفظه وهذا كاف لاثبات ان اعتاد جمع كثرة للعتاد وانه جاء في كلام القوم من اقدم الايام . ولا ابالي بعده سائر ما جاء به الأب انتسب من هذا النمط فاني لا اريد ان اجعل مجلة المجمع ميداناً للقال والقال كما لا ينبغي .

(١) سنة ٨ جزء ٤ ص ٢٨٥ وما يليها واعاد نشر رده ملخصاً في مجلة المجمع العلمي .

مئات من السنين ٠٠٠ الى آخر ما جاء به وانا ارى انها سر يانية الاصل اخذها الترك عن السريان وتوسعوا في معناها ونقلوها من لمصرة والرحى في الماء الى المركبة او العجلة . لا يجهل الخبير ان السريان المشارقة او النساطرة قد كانوا على اتصال بالترك ، قال ابن العبري في مختصر الدول (ص ١٣٥) وآمن بعد هؤلاء أصناف من الترك ايضا . وجاء في سيرة مارآبآ (سنة ٥٤٠-٥٥٢ م) ان خان الهون البيض « وهم جيل من الترك كانوا يتوطنون بكثريانة » أرسل الى جاثليق النساطرة مارآبآ المشار اليه يطلب منه ان يرسل اليه أسقفًا ينصر القبايل التي كانت خاضعة لسلطانه ففعل وأنشأ أسقفيتين في هراة وسمرقند (سيرة مارآبآ ص ٢٦ وكتاب لابور ص ١٨٩) ومن سعى لتوثيق عرى العلاقات بين الترك والسريان المشارقة طيموتاوس الكبير في أواخر القرن الثامن فقد ذكر في احدى رسائله سنة ٧٩٢ م ان أمة الترك نهضت على يدي أساقفة ارسلهم اليها وروى توما المروجي في كتاب الرؤساء (ص ٢٥٢-٢٦٣) ان شو بجا يشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموتاوس الكبير الى جهات المرقانيين والأتراك فنهض كثيرين وشيد الكنائس . وقد تبعه اخواه بياهاالا وكرداغ اللذان سقفا طيموتاوس الموما اليه وأرسلها الى بلاد الأتراك صحبة خمسة عشر راهبا من دير مارآبآ .

وفي تاريخ بطارقة المشرق لماري بن سليمان ان طيموتاوس دعا الى الايمان خافات ملك الترك وغيره من الملوك . ومنذ ذلك العهد ترى للنساطرة عدة كرامى أسقفية في بلاد الترك وماجاورها عددها عمرو بن منى في تاريخه المعروف بالمجمل (ص ١٢٦) وانا لا أقصد نبيان انتشار النصرانية بين الأتراك بل أنوخي ذكر اتصال الترك بالسريان المشارقة او النساطرة من أقدم الايام فلا عجب ان استعار الأتراك من السريانية بعض الالفاظ كما استعاروا كثيرا من الالفاظ الفارسية والعربية وغيرها .

ومن المقررات الترك كانوا في العراق والجزيرة بل في بغداد نفسها . قال ابن خلدون ان الترك عند الفتح (العربي) لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة ايام سائر دولة بني أمية وصدرًا من دولة بني العباس فامتلاّت أيدي العرب من سبيهم واتخذوهم نولاً^(١) في المهن والصنائع ٠٠٠

(١) المجمع لعل صوابه 'ندلاً او خولاً .

ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية ادنى الى بلاد الترك من دمشق وكان اولوا عصبيتها الفرس في خراسان على مقربة من الترك شرع هؤلاء وأخص منهم بالدكر عشائر القانق لي والقلاج والتركمان سكان ما بين النهرين يتقدمون - في صدر الدولة العباسية في خراسان والعراق هرباً من أذى أبناء عمهم الأغور^(١) وطلباً للرزق (Le Cahun) . (int . a l hist. de l' asie)

ثم تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة الى الشرق الادنى حينما عوّل العباسيون على تجنيدهم بعد ان كانوا مماليك بالقصور في ايام الأمويين وفي زمن السفاح اول العباسيين (سنة ١٣٢ - ١٣٧ هـ) فان ابا جعفر المنصور ثاني العباسيين (سنة ١٣٧ - ١٥٨ هـ) كان اول من فطن للاستفادة من بأس الترك فألف منهم شرذمة قليلة لا شأن لها وانما بقي الشأن الاكبر يومئذ للعرب وللخراسانيين الفرس (المسعودي ج ٢ ص ٢٤٦) .

ثم اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطفيهم من موالي الترك والروم والبربر ملأوا منهم المراكز في الاعياد والمجاهد والحروب حتى اتخذ المعتصم مدينة سامرا^١ انزولهم وكان اسم الترك يعمهم جميعاً فكان الروم والبربر تبعاً لهم ومندرجين فيهم .

وفي اثناء ذلك كان يتنازع السلطة في الدولة العباسية عنصران قويان العرب وهم اصحاب الدولة والفرس وهم اهل عصبيتها الذين قاموا بتأسيسها حتى اذا انتصر المأمون باخواله الفرس على اخيه الامين وعصيته العرب نفرد الفرس بالسيطرة . ومع ذلك فلم تكن حاشية الخليفة لتخلو من الترك السافذي الكلمة يذكرونهم طولوت جد الدولة الطولونية بمصر . ثم لم يمض الا القليل حتى قام الترك مقام العرب في منازعة الفرس النفوذ . ولا سيما منذ صار الامر الى المعتصم ثامن العباسيين (سنة ٢١٨ - ٢٣٢ هـ) فكثرت اذ ذاك الترك في ارجاء العراق (راجع فلسفة التاريخ العثماني ص ٣٢ وما يليها) فلا يستغرب اذا اقتبس الترك مثل لفظة (عربية) عن السريان المراقبين وقد كانت على جبل ذراعهم سواء أكان في بلادهم ام في العراق والجزيرة . فلا يقتضي لها مئات او آلاف من السنين حتى تنتشر وتشتع بين الترك كما ادعى حضرة الاب . بل لا يستغرب اذا

(١) كلما رسمها بعضهم ورسمها آخرون (الاو بنور) .

ذكرها محمود بن الحسين الكاشغري في (ديوان لغات الترك) في أواخر القرن الحادي عشر دون ان يشير الى أصلها السرياني .

وقد ذهب بعضهم الى أن لهجات القبائل التركية على كثرتها تعود الى اصل واحد هو التركي القديم ومنه التركي الحديث . وذهب آخر الى ان اللهجة التركية التي انتقلت الى الشرق الأدنى عن الطريق الاول كشنو وفرغانة وسمرقند الى فارس والعراق تسمى (اللهجة الخاقانية) والتي انتقلت عن الطريق الثاني ضفاف جيحون في خراسان الى الشواطئ الجنوبية من بحر طبرستان (الخزر) فمقاطعات قوه قاف الى الاناضول ندعي (اللهجة الأغورية) وهي الباقية في الاناضول على السنة التركمان . وكيف كان الامر فقد ثبت ان هذه اللغة لم تكتب بالحرف خاصة بها بل كتبت بحروف لغات عديدة فقد عثروا على كتابات تركية مكتوبة باليونانية واللاتينية والسريانية والرونية (Le runnique) ثم كتبت بالحروف العربية والارمنية . وقد غلب على بعض القبائل ولاسيما الأغور كتابة لغتهم بحرف خاص نقلوه عن الكلدانية وعرف بالحرف الأغوري وهو يكتب عمودياً من الشمال الى اليمين . الى ان كتبت التركية الآن بالحروف اللاتينية لقطع آخر صلة بالعرب واللغة العربية . فاذا كانت الانترك القدماء اقتبسوا الكتابة السريانية او الحروف الكلدانية فليس يستغرب اذا اقتبسوا عن اللغة السريانية بعض اللفاظ فتأمل .

واذا انقصت الجلد الثاني من (منتخبات اللغات العثمانية) تجد مؤلفه يذكر في مادة (عربية) عرب . عرباء . عربان . عربده . عربده جو . عربستان . عربون . عربية . عربي . عربيد . فتتحقق ان (عربية) لا تمت الى أصلي تركي . واذا طالعتم قاموس اللغة العثمانية المعروف (بالدراري اللامعات) تراء يقول في مادة (عربية) عرب — عرب اسود زنجي . عرب داريسي قبح اسود . عرب صاجي مشوش مضطرب . عرب كؤله المملوك الاسود . عربجه عربي . عربده جو (ع ف) معربد . عربستان بلاد العرب عربه عجله (عربية) فتأكد ان لفظة (عربية) لا نشق من اصل تركي . ولا بد من تنبيه حضرة الأب الى ان احمد وفيق باشا لا يبحث في اللغة العربية او اليونانية بل يبحث في لغته التركية وقد تابعتني في بحثه عن هذه اللغة فقط فلا يفيد الأب

ما عني نفسه به وعدده من الالفاظ التي عربيها العلامة سليمان البستاني في الالباذة بحرف العين في اولها ووسطها وآخرها كما لا يفيد ذكر غيرها من الالفاظ التي عربيها العرب بالعين بدلاً من الألف ولو بلغت الوفاً عديدة . فان احمد وفيق باشا لما رأى لفظة (عربية) مدونة في اللغة التركية بهذا الرسم قال عربية خطأ محض وعل ذلك مبرهنًا عليه بقوله لان حرف العين لا وجود له في اللغة التركية فلفظ عربية غير تركي لانه مبدوء بحرف العين الذي لا اثر له في التركية وهو ما اردته عندما تمثلت بقول ذلك العالم المدقق فتبعه سر وتدبر .

وغريب من حضرة الأب ان يقول في حاشية صفحة ٢٨٦ من مجلته ونقول الآن : (عفارم) وفي التركية (افرين) الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر أصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها في لغتنا بهذا الحرف الحلقي ؟ وهو قول جميل جداً ولكنه لا يمدح حجة للأب بل حجة عليه يؤيد به قول احمد وفيق باشا السابق الذكر حيث قال : ان حرف العين لا وجود له في التركية . فقال العرب (عفارم) بالعين وقال الترك (افرين) بالالف وعليه لا ينكر اصل اللفظ الغريب الخالي من العين لاننا نقلناه في لغتنا العربية بهذا الحرف الحلقي . ولكنه ينكر في اللغة التركية لان العين لا وجود لها في هذه اللغة مما لا يختلف فيه اثنان .

وقال حضرة الأب في ص ٢٨٨ من مجلته ان لفظ العربية بمعنى العجلة لم تشع بين الناطقين بالضاد قبل المائة الرابعة للهجرة او المائة العاشرة للميلاد . فاذا كان ذلك فمعن اخذها العرب عن الترك ام عن السريان ؟ وكما توسع بها العرب ونقلوها من معنى السفينة بالماء الى معنى سفينة البر التي نقل الركاب تصرف بها الترك ايضاً فنقلوها من معنى الرحى بالماء الى معنى المركبة .

والاغرب ان حضرة الأب انتاس في رده وتقده تراه على خلاف عادته لا يرجع على اشتقاق اللفظ من اصل تركي بل يعتمد في قوله ان اصل (عربية) تركي على مثل صاحب مرآة اللغات ومؤلف الدرر الثمانية وصاحب طبعة اللغات وغيرهم ولا سيما محمود الكاشغري مؤلف (ديوان لغات الترك) مما لا يجدي نفعا في هذا البحث ولا يثبت ان

العربة تركية الاصل و بالنتيجة لا يجردها من اصلها السرياني . واذا كان السرياني عرفوها بمعنى المعصرة او الرحي او ما اشبه ذلك فقد توسع بها الترك ونقلوها الى معنى العجلة او المركبة كما فعلوا في غيرها من الالفاظ بما لا يحتاج الى دليل او برهان . وبهذا القدر كفاية للتأمل البصير فقد اخضعت القصد ووفيت الامانة حقها في بيان الحقيقة ولكل احد ان يتبع الرأي الاقرب الى الصواب .

الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي



استدراك

كتب اليّ عالم من علماء العراق بقول : خطأت في الصفحة ١٩٠ من الجزء الثالث استعمال البق والصنار والفندق وأدجبت استعمال البعوض والذب والبندق بدلاً منها على حين ان الالفاظ الاولى لا غبار عليها . وخطأت استعمال حرفي الذبق والعنم للنبات المسمى بالفرنسية (Gui) وباللاتينية (Viscum album) وهما صحيحان . قلت لاشك ان البق في كتب اللغة يطلق على جنسين من الحشرات هما أنواع البعوض (Moustiques) ونوع بنات الحصير ذوات الرائحة الكريهة (Punaise) . ولكن الشامبين الا القليل منهم لا يعرفون ان لفظة البق تطلق على البعوض . اما هذه اللفظة الأخيرة فلا يجهلها احد من المتعلمين ولذلك يجب في الكتب المدرسية ككتاب الامتياز الهاشمي ان تسمى حشرات الـ (Moustiques) بعوضاً وحشرات الـ (Punaises) بقاً وهذا التخصيص ضروري جداً في الكتب التي تدرّس في المدارس . ومن البديهي لديّ ان لفظي الصنار والفندق صحيحان . ولكن من هو الذي يعرف في الشام على الأقل لفظة الصنار المعربة عن جنار الفارسية . انه لا يعرفها احد على العكس من لفظة الذب الشائعة . وكذا لفظة بندق فانه لا يلفظها احد في الشام بالفاء فلماذا السبب « ثم لا صباب أخرى يطول شرحها » رجحت استعمال الذب والبندق بدلاً من الصنار والفندق في الكتب المدرسية خاصة اذا كان العراقيون لم يألوا

سوي لمظني الصنار والفندق فعندئذ توضحان بين هلالين بجانب حرفي الدلب والبندق .
 اما الدبق فهو مواد لزجة لانيات . ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات الـ (Gui)
 لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل
 النبات المسمى (Ilex) وغيره . فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الدهن كل الاشجار
 التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار . اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرد الى الدهن سوى
 نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) .

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من تحلية هذا النبات » اطلاقها على نبات
 الـ (Gui) بل نطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) .

مصطفى الشهابي



مطبوعات حديثة

﴿ مرجريت ﴾

- أو -

غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفعة خمسين صفحة من كتاب دون ان يواثبني البسير من التعب
 إذ الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جالت لقراءتها جلستين ، فما نهضت حتى
 أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو ان المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون
 لهذه الرواية آخر أفق عنده .

خلاصة هذه الرواية ان « مرغريت » وهي بغية من بغايا باريز بارعة الجمال أحبت
 فتى اسمه « ارمان » ولما علم والد « ارمان » بهذا الحب ألح على « مرغريت » في هجر « ارمان »
 فهجرت « مرغريت » رافة بوالده على فرط حبها إياه .

لا تظن ان هذه الخلاصة تطلعك على شيء من جمال (غادة الكيليا) فاذا أردت ان
نعم بهذا الجمال فاقرأ (غادة الكيليا) مرة ومرتين وثلاث مرات وانما أضمن لك انك
لا تكاد تفرغ من قراءتها حتى تحدثك نفسك بالعودة الى هذه القراءة .

لله در صاحبها ! لله در (دوماس) ما أقدره على اللعب بالنفوس ، أوتي من الفن شيئاً
عجيباً ، أراد ان يصور لنا فضيلة البغايا ، أراد ان يصور لنا هذه المخلوقات التي دفعت
بها الطبيعة الى مواطن الفحش لسبب من الاسباب او لحاجة من الحاجات فتم له ما أراد
وصور البغي في اكل صورها فاذا قرأت وصفها علمت ان هذه الطائفة من النساء لها
حياة خاصة وشعور خاص وكلام خاص فلو أحبت ان تخاطبين بمثل ما تخاطب به
المحصات لما نجوت من شر مخربتهن .

على ان هذا الوصف ما كان الغاية التي رمى اليها (دوماس) في روايته وانما ذهب
في الرواية مذمباً أبعد وحاًق في جوارح أعلى ، أراد ان يفهمنا معاشر الهازئين بالبغايا
المحقرون لمعشتهم ان الفضيلة قد انبت في متابتهن واذا ظهرت هذه الفضيلة في أفيائهن
ظهرت بظهورها أعمال تعجز عنها أكل المحصات خطأ . أحبت « مرغريت » الفتي
« أرمان » حباً ملك عليها كل شيء في العالم ، والمرأة اذا دخل العشق قلبها ضاعت مشيئتها
وعميت بصيرتها فلا تتهرب شيئاً في سبيل عشقها كائن ما كان ، أحبته حباً جماً فكان
من المدهون ان تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، ولكن الذي وقع دلنا على خلاف هذا
الامر ، فبدلاً من ان تضحي بكل شيء في سبيل عشقها ، ضحّت بنفسها في سبيل هذا
العشق وقتلت عاطفتها لتحي عاطفة والد « أرمان » رحمة لهذا الشيخ ورأفة بابنته
وبمستقبل ابنه .

وعلى هذه الصورة كانت (مرغريت) النابتة في منبت السوء رمز الخلق الكريم

والقلب الشريف .

ليست مهارة (دوماس) في استخلاص هذه الحكمة الاجتماعية فقد نكون البغي أشرف
الشريفات وقد تكونت المحصنة أرذل الرذيلات ، واذا بحثنا عن سيرة البغايا أحطنا
بامرار كثيرة ، قد تفحش المرأة لسبب من الاسباب ، او لحاجة من الحاجات ، وقد
تفحش لتفحش نفسه ، فمن البغايا محصات النفوس ، ومن المحصات بغايا النفوس ، وهذه

في الحكمة الرائعة التي يجب عليك ان تقرأ (عادة الكيليا) من اجلها ولكن اقرأ (عادة الكيليا) لتعرف سلطان الألفاظ على الأرواح ولتدرك اثر الفن في القلوب . فبين انت تسمع كلام (أرمان) وهو ينقم على (مرغريت) لانها وعدته فأخلفت الميعاد اولاً أنها تهزأ به وبين انت تشارك (ارمان) في رأيه في البغايا وتقمته عليهن ، اذ بك تقرأ كلام (مرغريت) فترجع الى رضاك وتقلع عن تقمك وتشارك (مرغريت) في حجتها القاطعة فكأنك مسلوب الارادة وما سلبك هذه الارادة الا فن (دوماس) وعبقريته الساحرة . فهو الذي يلعب بقلبك لعب النسيم بالفصوص ، فتارة يميل بك الى الرضي عن البغايا فترضى ، وتارة يميل بك الى الغضب عليهن فتغضب وهذا كل شيء في الفن . . .

وما يحتاج الكاتب الى اكثر من هذه المقدرة ليكون في جملة الخالدين على شباب الايام وعلى هرمها .

اما الدكتور احمد زكي فقد استطاع ان يؤدي البناء عبقرية (دوماس) في أروع معارضها ، وهل يطلب الى المترجم شيء اكثر من حسن هذه التأدية ، فما نقصته سلامة الذوق في انتخاب الألفاظ ولا أعوزته لطائف اللغة الشعرية .

واذا سألناه في بعض ألفاظ استعملها في غير مواضع استعمالها ، منها قوله : 'طرف شبيقة والشتى في اللغة المشتاق ، الدكتور يريد ان يقول : الطرف الرائعة أو اذا سألناه في جرأته على استعمال كلمات أعجمية كالمسلمين والدنكلات والألواج ، أو اذا سألناه في بعض صفات أضافها الى الموصوفات على غير ارادة المؤلف (دوماس) توخياً منه ان يجعل النغمات أرفع في الآذان ، اذا سألناه في هذه الهفوات البسيرة استطعنا ان ندوق ما يستر هذه الهفوات من الحسنات الكثيرة ، وأظهر هذه الحسنات تناسق ألفاظه الموسيقية من اول الرواية الى آخرها .

شفيق جبيري

عضو المجمع العلمي

الجواهر

« في تفسير القرآن الكريم »

اهدانا السيد مصطفى البابي الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الاجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسمى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءاً تأليف العلامة الاستاذ طنطاوي جوهرى . وقد قضى الاستاذ سنين طويلة في تحبير هذا التفسير وما يثم وقد بلغ فيه سورة فاطر . ومن تصفحه أدرك سعة علم الاستاذ كما أدرك مبلغ العناية الذي كابده في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، وتنسيق مباحثه . وأول ما يحظر للناظر فيه انه لا ينظر في تفسير قرآن وانما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن تضمنت شرحاً لآياته ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً وفلسفة وسياسة واجتماعاً وزجراً ووعظاً وتنبهاً وتحذيراً حتى انه لم يخجل من ذكر نظرية (انيشتين) والاستشهاد بها على ما هو بصده من تفسير الوحي الآمى وكثيراً ما يقع نظرك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فينبين لك اذ ذاك وجه المناسبة ولوضيئة بين هذا البحث وبين الآية المفسرة . افتح مثلاً الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت ارقام متسلسلة ثم نقرأ تحت الرقم الاول ما نصه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام . ويجب ان يتمتع به في الحال . وبينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق انك نقرأ تفسيراً للقرآن فتراجع أدراجك الى ما سبق من المباحث مبحثاً مبحثاً فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصنت وجعلناها وابنها ان هذه امتكم كل الينا راجعون) .

فتفسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب العجول . ولا للضجر الملول . وانما ألف للزميت الوقور . الجليد الصبور . ونرجو ان يكثر امثال هؤلاء بين ابنائنا .

وانا لنشكر المؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن أمنها خير الجزاء .

« المغربي »

مختار الشعر الجاهلي

« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ مصطفى السقا طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي بمصر
في ٣٣٦ صفحة

من تصفح هذا المصنف الجديد في آدابنا العربية سره منه امران (الاول) ان
الطبع التجاري الذي كان يقصد من ورائه مجرد الربح أخذ يتضاءل رويداً رويداً في
مطابعتنا . (والامر الثاني) ان المشتغلين في آدابنا العربية عادوا فأدركوا أنه لا يمكن ان يكون
انا أدب جديد مالم يُبين على أدب قديم وان العناية بالادب القديم يجب ان تسبق العناية
بالادب الجديد فينبغي أولاً أن تستقصي منابع الادب القديم وتنتقى مواده وتصحح كتيبه
وتضبط نصوصه ضبطاً يطمئن اليه قلب الطالب عند دراستها . كما يطمئن اليه قلب
الاستاذ عند استخراج القواعد واستنتاج النتائج منها . والكتاب الذي تقرظه منذ الساعة
هو من تلك المصنفات الحديثة التي روعي فيها كلا الامرين . وقد اصدر مؤلفه جزءه
الاول وضمته شعر الطبقة الاولى من الجامعيين وبعض اشعار الطبقة الثانية منهم : فهو
يذكر ملخصاً مفيداً من ترجمة الشاعر ثم قطعاً من شعره بأرقام متسلسلة ويطبق عليها في
ذيول الصفحات تفسيراً لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل . وقد لاحظنا أن الاغلاط
فيه طفيفة جداً : مطبعية كانت او لغوية من ذلك كلمة (الود) في قول امرئ القيس
ص ٥٣ (تخرج الود الخ) فقد ضبطت بالشكل بضم الواو مع ان الصواب فتحها مطلقاً
سواء أ كانت بمعنى الوند أو اسماً لجبل . ومنها كلمة (الممر) في قول امرئ القيس
ص ٥٣ ايضاً .

(قد غدا يحملني في أنفه لاحق الاوطلين محبوبك عمر)

فقد ضبط (عمر) بضم الميم الاولى وكسر الثانية بصيغة اسم الفاعل وفسره
بالمعتدل الخلاق . والصواب فيه ان يكون بصيغة اسم الفاعل (بضم فتح) من امر الجبل
اذا قتله قتلاً شديداً ومعناه في صفة الجسم أن يكون قوياً شديداً الأمر كالجبل
المحكم القتل وبذلك يتلاءم بقوله قبله (محبوبك) وتفسير (الممر) باعتدال الخلق

غير ظاهر لغةً ولو قال . موثق الخلق لكان اصوب . والاعتدال في الجسم المتوسط فيه بين الطول والقصر وبين السمن والنحافة . يقولون جارية حسنة الاعتدال اي القوام . وبالجملة فانه اذا صح وصف الفرس بالاعتدال .

(سلي الليل عني كم تسققت أدبهم على خاصر الجنبين معتدل عالي)
فانه لا يصح تفسير (الايمرار) بالاعتدال ولا (الامر) بالمعتدل .

« المغربي »

كتاب رغبة الآمل « من كتاب الكامل »

تأليف الاستاذ سيد بن علي المرصفي طبع منه سبعة أجزاء كل جزء في نحو
٢٠٠ — ٢٦٠ صفحة بتطبعة النهضة بمصر

سيد بن علي المرصفي مصنف هذا الكتاب هو أستاذ الاستاذين في الآداب العربية وحامل لوائها في البلاد المصرية كان يضع على كامل المبرد هذا الشرح وهو يقرأه على الطلاب وقد طبع منه الى اليوم سبعة أجزاء فقط وصل فيها الى (باب السب) وشرحه في ذيل الصفحات يستغرق ثلث الصفحة وأحياناً نصفها وآونة أكثر من ذلك مع ضبط كثير من كلمات المتن بالشكل . اما التحقيق والتدقيق في الشرح والتفسير فحدث عنه ولا حرج . وللشارح ملاحظات كثيرة على المؤلف وتعليقات غاية في الجودة والاصابة . وآثار العناية بطبع هذه الأجزاء ظاهرة ، حتى اننا بعد تصفح كثير من صفحاته لم نظفر بسوى كلمة واحدة وردت في بيت لذي الرمة يصف سيفاً استشهد به الشارح وهو :

(وأبيض موشي القميص نصبت على خصر (مقلاة) مفية جديلاً)

(مقلاة) كذا بالقاف والتاء انربوطة . وصوابه (مقلاة) بالقاف والتاء المربوطة من فلي

المفازة بقلها اذا تحللها ومنه قوله :

(ساهمت عبك مرء عيشك قاعداً أفلا فليت بهن ناصية الفلا ؟)

او هي (مقلات) بقاف وتاء مفتوحة . يقال ناقة مقلات اذا لم يكن لها ولد . اذ ان

عدم الولد ربما كان أعون للناقة على الاغذاذ والجدد في السير فلا يشغلها الحنين الى ولدها عن المضي فيه أو يقال انها اذا لم يكن لها ولد كانت قوية على السير فلان تكون هزيلة ولا ضعيفة الجسم بسبب الولادة والارضاع . ولعمري ان المؤلف قد خدم بمؤلفه هذا المكتبة العربية عامة وكتاب الكامل خاصة فله الشكر وطول العمر . «المفريجي»



تنبيه — . اصلاح الاخطاء التي وردت في الجزء من الماضيين الثالث والرابع :

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٣٤	١٦	هذه ثلاثة عشرة كلمة	هذه ثلاث عشرة كلمة
١٨٠	٦	ونحن اول ممن	ونحن اول من
١٨٠	٨	الاب انتاس	الاب انتاس
١٨٣	١٨	ولا بد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه	ولا بد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه
٢٣١	٢٣	جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين	جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين
٢٣٥	٧	وسجنه ثم اعدمه	وسجنه ثم قتله
٢٣٦	٢٣	في سنة اثنين وثلاثين	في سنة اثنين وثلاثين
٢٣٦	٢٤	في سنة اثنين واربعين	في سنة اثنين واربعين
٢٥٥	٩	يعرف قاره	يعرف قارته
٢٥٥	٢٠	يجدون في اعمال	يجدون في اعمال
٢٥٦	٤	اثني عشر قطعة	اثني عشرة قطعة

Bibliotheca Alexandrina



0652781